

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٠٢ - شعبان ١٤٢٢ هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 302- OCT./NOV. 2001

- برنامج لوحة وطني
- المعلوماتية في خطة التنمية السعودية
- الخطوبة والزواج في الأدب العربي
- أهمية الفن المسرحي في تعليم اللغة
- دور أدب الطفل في التنشئة الثقافية
- جسور بودابست
- الاتصالات اللاسلكية المتنقلة في الألفية الثالثة

رُندة
بلد السهول الخُضر

نحلق في الأعالي

مجموعـة عبداللطيف العيـسى  





سواء كنت تبحث عن سيارة جديدة نوفرها لك من شركة عبداللطيف العيسى للسيارات وكلاء جنرال موتورز وإيسوزو .

أو سيارة مستعملة مضمونة نوفرها لك من أوتوستار الشركة العمومية للسيارات

أو سيارة للإيجار اليومي أو الطويل الأجل نوفرها لك من شركة الأفضل لتأجير السيارات

وكل ذلك بالطبع تجده لدى احدى شركات مجموعة عبداللطيف العيسى

الشركات التابعة





الشركة العمومية للسيارات

شركة عبداللطيف العيسى للسيارات

وكيل معتمد



الرياض، المركز الرئيسي: طريق الدائري الشمالي هاتف: ٢٧٥٥٠٠٠



الفيصل
الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا نمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

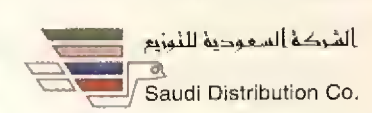
الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

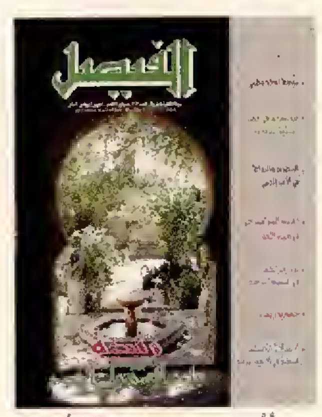
السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢ - ..، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٩٦٣ - ..، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦ - ..، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤ - ..، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٩٦٢ - ..، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٩٧٣ - ..، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١ - ..، الجزائر - مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ - ٢١٣ - ..، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥ - ..، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO - SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٣٨



مطابع هلا
٤٨٢١٣١٣



رُنْدة: بلد السهول الخُضر

رندة مدينة إسبانية من قواعد الأندلس العربية، ومع ذلك لم يعد بها غير مئذنة واحدة مرممة، فقد قامت الكنائس والكاتدرائيات على أنقاض المساجد والجوامع. وتبدو آثار العرب في إسبانيا اليوم محل اعتزاز وطني؛ لأنها جزء من تاريخ هذه البلاد، كما أنها مصدر رزق سياحي. وتجتمع المتعة والتأزم في نفس الزائر العربي، فالمتعة منبعها الشعور بعظمة تاريخنا، أما التأزم فسببه الحسرة على ضياع خير الإسلام العميم في تلك الأصقاع.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

ما المعايير؟

أحييكم على جهودكم المحمودة في سبيل إخراج تلك الثقافة الرائعة والينبوع الجميل الذي يعطي ما لذ وطاب من صنوف العلم والمعرفة..

«الفيصل» شدتني إليها من أول يوم تعرفت فيه إليها، ومن ذلك اليوم وأنا أتابعها خطوة بخطوة، وهي لا تفارق مكتبتي، وما أنفك أراجعها بين الحين والآخر شكراً كثيراً لجهودكم الجبارة التي تحكي الأصالة والذوق الرفيع.

كنتُ قد أرسلت إليكم مشاركة، ووصلني منكم جواب الاستلام، ومن ذلك الحين لم ترسلوا لي اعتذاراً أو موافقة على النشر، ولا أدري أتجاهل وتساهل منكم أم لا مبالاة..؟

هناك بعض الأسئلة تدور في رأسي وهي:

- ما المعايير التي تتخذونها مرجعاً في نشر المشاركات المختلفة..؟
- لماذا لم تنشروا خلال هذه الفترة موضوعاً عن فلسطين؟ فهذا الأمر جدير أن تهتموا به.
- لماذا لم تفردوا في كل عدد ملفاً خاصاً يتحدث عن دولة من الدول الإسلامية وخصوصاً دول الاتحاد السوفييتي السابقة (استطلاع مثلاً) لأن معلوماتنا عنها قليلة جداً..

كما أرجو وألح في طلبي هذا أن تزودوني ببعض الأعداد القديمة لمجلتي المفضلة «الفيصل»، وكذلك بعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ولكم أسمى آيات الشكر والعرفان.

وأخيراً أتمنى أن أرى إحدى مشاركاتي الشعرية تتصدر إحدى صفحات مجلة الفيصل؛ لأننا بدورنا نعطيكم ثقتنا، فحريٌّ أن تعيروا مشاركاتنا اهتمامكم وثقتكم، ونحب أن نرى ثمرة جهودنا في الأدب والشعر تزين مجلتنا الموقرة.

أرجو نشر رسالتي في باب «رسائلكم» وكذلك عنواني للمراسلة.

وتقبلوا خالص تحياتي، وكلي أمل في الله عز وجل ثم فيكم أن تلبوا طلباتي..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مستنجد حسين الرصاص

الجمهورية اليمنية - محافظة عمران - حوث - مكتب بريد حوث.

التحرير:

نشكر لك الإطراء، ونطمئنك بأن كل رسائل القراء تجد ما تستحق من اهتمام؛ لأنها المقياس الحقيقي لأداء المجلة، والمرتكز لأي تطوير نتطلع إليه.

أما أهم المعايير المتبعة في النشر فهي الجدة والأصالة، وموضوعية الطرح، وحسن التوثيق مع ضرورة التزام قيمنا الإسلامية.

أما عن طلبك موضوعات عن فلسطين، فإن المتابع للمجلة يجد أنه قلما يخلو عدد من أعدادها من حديث عن فلسطين بشكل من الأشكال، كما أن الموضوعات التي تناولت دول آسيا الوسطى التي نالت استقلالها مؤخراً أكثر من أن نحصرها في هذه المساحة الضيقة.

ونأمل أن نتمكن من نشر إحدى قصائدك قريباً إذا كانت مجازة للنشر، كما سنحاول تلبية طلبك قدر المستطاع.

بين الماضي والحاضر

تحية عطرة ملؤها المحبة والمودة إليكم جميعاً يا من تسهرون على إعداد مجلتنا الغراء «الفيصل» التي تعد كنزاً حقيقياً بالنسبة إليَّ. ربما أجدُ صعوبة كبيرة في الحصول عليها، ففي الواقع حصلت من صديق على بعض الأعداد القديمة منها؛ وكم كانت رائعة حقاً إذْ شدني إليها كل موضوعاتها المتنوعة والجيدة فعلاً، وكذا حسن إخراجها الذي ميزها من باقي المجلات قلباً وقالباً. فكانت بحق الرائدة فيها.

لا أخفيكم أنني حديث العهد بالاطلاع عليها، فقد كان ذلك في بداية هذا العام فقط، ولم أطلع إلا على أعداد قديمة من عام ١٩٩٠م، فبادرت بمراسلتها مرتين، وكم كانت فرحتي باستقبالي للرد المتمثل في بعض الأعداد، ومنذ ذلك الحين وأنا أقلِّب صفحاتها دائماً. فلا وجود لأعداد جديدة منها عندي عداها، لأنه ويا للأسف الشديد لا توجد في السوق عندنا. وهنا أفصح عن رغبتي الجامحة في الحصول على أعداد جديدة منها مع فائق تشكراتي وتقديراتي المكللة بالاحترام لكم، ولمجهوداتكم الجبارة المبذولة في خدمة الثقافة.

دافعُ كتابتي لهذه الرسالة عدة أمور: منها رغبتي في الحصول على أعداد جديدة من المجلة. كما أود أن ألفت انتباهكم إلى ما لاحظته في مجلتكم بين ماضيها وحاضرها. إنني وجدت عدة أبواب قد اختفت وأراها من الأهمية بمكان، وعلى سبيل الذكر لا الحصر: «واحة المجلة» التي كانت تضم بعض النوادر والطرائف العربية، وبعض المعلومات البسيطة والقيمة في الوقت نفسه. فقد كانت بحق فسحة مريحة في المجلة، على الأقل تضفي مسحة خاصة عليها، وتنقل القارئ بين حين وآخر إلى جوّ مرح ليواصلها بعد ذلك القراءة الفاحصة لباقي موضوعات المجلة، فلا

يحدث له ذلك الملل والكلل.. هذه نقطة أولى.

النقطة الثانية وتتمثل في رأيي حول وضع باب خاص بالشخصيات البارزة في هذا القرن أو القرون السابقة، فكثير منهم لا يعرفهم القارئ العربي، وعلى سبيل المثال المفكر الكبير مالك بن نبي - رحمه الله - وغير كثير.

النقطة الثالثة تعقيب عما ورد في ردكم على طلب أحد القراء في وضع أرقام إنجليزية بدل الأرقام التالية، وجاء ردكم أن هذه الأرقام عربية، وهذا خطأ؛ لأن أرقام مجلتكم هندية (أي الأرقام: ٠ر١، ٢، ٣،..) أمّا الأرقام العربية فهي التي يقول عنها القارئ إنجليزية وهي في واقع الأمر عربية جاءت بحسب الزوايا .

النقطة الرابعة وتتمثل في رجائي ورغبتي في أن تنشروا عنواني لمن يرغب في مراسلتي، وكم يسعدني أن يكون لي هناك من أنحاء الوطن العربي أصدقاء خاصة إذا كانوا من متابعي مجلتكم الغراء.

محمد عبدالرحمن بونوة
ص.ب ١٢٣٣ - الجلفة ١٧٠٠٣
الجزائر.

التحرير:

كما اعتدنا في المجلة، فإن اقتراحاتك ستكون محل نظر واهتمام، لنرى منها ما يمكن أن يكون محل التطبيق، واقتراحك بإيجاد باب الشخصيات البارزة معمول به، بل إن هذا الباب يمتد اهتمامه إلى الشخصيات المجهولة على الرغم من عطائها الثر.

وما أثرته عن الأرقام تم تناوله بعمق، وانتهى الرأي إلى أن الأرقام التي تستخدمها المجلة حاليًا هي الأرقام العربية.

أين الكشاف؟

لقد عودتنا مجلتنا الفيصل أن ترسل إلينا في نهاية كل سنة من عمرها فهرسا للسنة، وهذا أعظم هدية لنا.

ولا يخفى عليكم ما توفره هذه الفهارس من زمن في الحصول على الموضوعات المطلوبة من أعداد السنة الشائعة، ولكن هذه المرة لم نحصل عليه إطلاقًا، ولقد قتلنا الزمن في البحث عنه، والسؤال عند كل المكاتب ولكن لم نجده. وأخيراً وصل إلى علمنا أنهم لم يتحصلوا عليه، ولعل المانع خير.

كما أرجو من سيادتكم إرسال نسخة إلى شخصي الضعيف أمام صرح الفيصل الثقافي.

ولكم مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

عوض سرور طه
ص.ب: ٥٧٤ - مطار الخرطوم الدولي - ١١١١٢
الخرطوم - السودان.

التحرير:

نشكر لكم اهتمامكم، ونفيدكم أن الكشاف لم يصدر بعد، ولكن نطمئنك أنه سوف يصدر قريباً متضمناً كل ما صدر في الفترة الماضية.

ردود سريعة

الأخت زريقة منصورية - ولاية باتنة - الجزائر:

نشكر لك وصفك المجلة بالروعة، واهتمامك بالاطلاع على ما هو مفيد من الكتب تستحقين عليه الثناء والإشادة، ونأسف لعدم إمكان إرسال ما طلبته لإكمال تعليمك، ويمكنك مراسلة الجهة المختصة مباشرة، ونأمل أن يكون قد وصلت إليك بعض طلباتك المذكورة في خطابك.

الأخت زهراء أحمد العباد - الدمام:

كثرة الفائزين في المسابقة من خارج المملكة مردها إلى كثرة المشاركين من القراء من مختلف الدول العربية والإسلامية، كما أن الأمر محسوم بالقرعة، حتى لا يكون هناك مجال للمحاباة، ونتمنى لك حظًا سعيداً وأن يبتسم لك الحظ في إحدى المرات القادمة.

الأخ سالم أبو بكر ناصر سعيد - عدن - اليمن:

لا نعرف مدى اهتمام القراء بجمع الطوابع، وهل الطابع الذي عليه صورة طائرة بوينج يعد قديماً، وقد صدر في عام ١٩٦٤م؟ وهل يستحق مبلغ الـ ١٨٠٠ جنيه إسترليني الذي تقول إنه السعر المحدد لها في الكتالوج العالمي للطوابع الصادر في عام ١٩٩٩م؟ عموما نقترح عليك الاتصال على هاتف الجمعية السعودية لهواة جمع الطوابع وهو ٤٧٢١٢٨٩.

وقد تجد من القراء من يهتم، ويتصل بك على عنوانك: (ص.ب ١٢٠٨ التواهي - عدن - الجمهورية اليمنية)، والبريد الإلكتروني Salem na-seer@yahoo.com

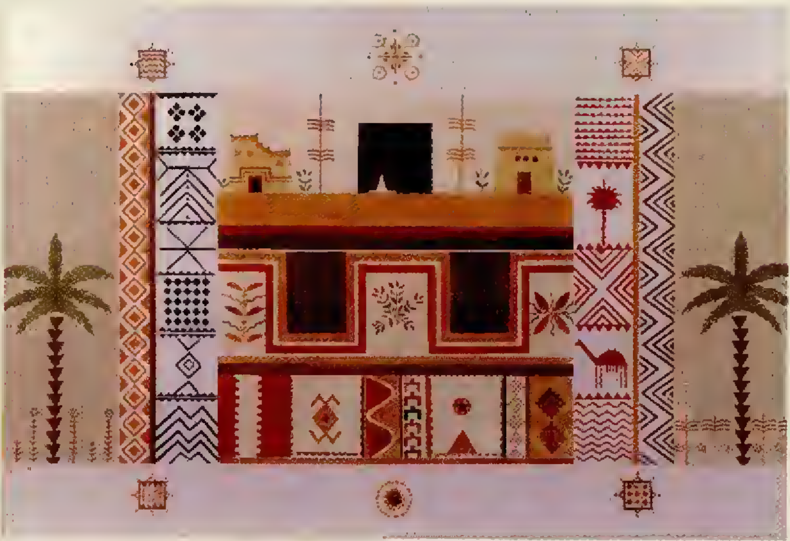
الأخ علي بوطاوي - جيجل - الجزائر:

المعلومات التي تريدها عن المسجد الحرام والمسجد النبوي تجدها في العددين ٢٧٠ و٢٦٧ ففي العدد الأول استطلاع شامل عن مكة المكرمة، وفي الثاني استطلاع عن المدينة المنورة، وهناك أعداد أخرى كثيرة من المجلة تناولت، تاريخ المسجدين، والتوسعات التي تمت بهما في العصور المختلفة.

برنامج لوحة وطني واستثمار العمل التشكيلي تربويًا واجتماعيًا

عبدالرحمن إبراهيم السليمان
الدمام - السعودية

ضمن برنامج يسعى إلى دعم مسيرة الفن التشكيلي السعودي، وخلق التواصل الفني لفناني المملكة، وتجميل البيئة المدرسية السعودية، تأتي «لوحة وطني» واجهة حضارية ومرآة جمالية تجسدت فيها إبداعات هذا الوطن.



«أصالة وطن» رائدة عاشور

انطلق برنامج لوحة وطني في المحرم من سنة ١٤٢١هـ تزامنًا مع اختيار الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م. فقد قامت فكرة هذا البرنامج على إقامة مسابقة تشكيلية دُعي إليها فنانو المملكة لاستثمار العمل الفني التشكيلي تربويًا واجتماعيًا بحيث تتم الاستفادة منه باتخاذها وسيلة تربوية ترسخ مفهوم المواطنة، وتنمي حب الوطن عند الطلبة، وذلك باستخدام وسيلة التربية عن طريق لغة الشكل، وتوظيفها لتكون وسيلة مكملة للفظ والرقم.

وتعتمد آلية تنفيذ البرنامج على تحويل اللوحات الفائزة إلى جداريات توضع في مدارس التعليم العام الحكومية بمساحة ٣×٥ أمتار بعد أن يتم تكبيرها، وتعلّق في باحات المدارس التي تبلغ قرابة العشرين ألف مدرسة في مختلف أنحاء المملكة، ثم توزيعها - المدارس - إلى فئات.

يعدّ برنامج لوحة وطني أحد البرامج التعليمية المهمة في إطار: التربية، فاللوحات المختارة وبجميع الصيغ المطروحة تلامس ثقافة قريبة، وتمس ـ مباشرة ـ حضارة هذا الوطن وتراثه ومنجزاته.

العشرون فنانًا وفنانة ممن اختيرت أعمالهم الفنية من بين العدد الكبير الذي تقدم به فنانون وفنانات قدموا خلاصات جادّة من تجاربهم الفنية، التقت جميعها في التعبير عن الوطن. فكان من بين عناوين أعمالهم: الوطن العظيم، معالم من الوطن، الأصالة، حب الوطن، النخيل بوادي حنيفة، وطني، وطني في عيني، آثار المملكة، أصالة وطن، مظاهر النهضة، وغيرها من التسميات.



«منظر حر» محمد الغامدي

أما الفنانون الذين اختيرت أعمالهم الفنية فهم: طه صبان، وعبدالله حمّاس، ونوال مصلي، ورضا معمر، وعبدالرحمن السليمان، ومحمد الغامدي، ومحمد سيام، وأحمد فلمبان، ورائدة عاشور، وزمان محمد جاسم، وسامي البار، ومحمد عسيري، ومنى القصبي، ومنصور المطيري، ومحمد الرباط، وناصر الرفاعي، وسعيد العلاوي، وشيرين الحرازي، وسارة كلكتاوي، ومنال الصالح. وهناك مقدار من الاختلاف بين الأعمال في توجهاتها الفنية، أو تقنياتها، فإننا في عمل نوال مصلي مثلاً، وهي فنانة تشكيلية تشارك في المعارض منذ سنة ١٤٠٢هـ نلمس تأكيداً لحلولها الانطباعية، التعبيرية التي لخّصت معها عناصرها، واكتفت بتأثير تلويناتها الحادة أحيانًا في استخداماتها للأحمر أو الأصفر، وفي لوحتيها «ربوع بلادي»، و«النخيل بوادي حنيفة» تعيد في معالجة جديدة مشهداً لمكان تتصاعد فيه النخيل، وعلى تحديد المنازل الطينية المهملة (الأطلال). الألوان تتناغم كما في النخيل بدرجات خافتة على خلفية داكنة، وسيقان النخيل التي خطتها بعفوية جاءت بالأحمر الذي تردد في بعض الأجزاء من اللوحة، وبجرأة تضع أضواءها على الأبنية، وبلمسات عريضة رأسية، وبين لونها الطيني الذي اختارته من الأوكر، ولونها الفاتح (الظل) تبعث الفنانة حيوية عملها الساكن بتلوينها الداكن في جزء كبير من اللوحة، وببساطة تميزت بها أعمال هذه الفنانة التي تذكرنا بأعمال الفنانين الوحشيين.

أما عملها «ربوع بلادي» فهو حل ذكي لمشهد كثيراً ما عرفناه ـ بتفاصيل الأبنية التقليدية، والمزارع ـ اكتفت بالتعبير عن رمزيته وأصالته وبحلول لونية مختلفة لا نعرفها إلا في أعمالها بين الفنانين السعوديين على الأقل. وفي عمل آخر هو «معالم من الوطن» للفنان ناصر أحمد الرفاعي (و: ١٣٧٩هـ) يقدم عالمًا مأهولا بالأبنية وبالإيحاء بتضاريس ارتفعت معها منازله، وعلى تلوينات دخانية أحيانًا وصباحية مشرقة أحيانًا أخرى، فاللافت في لوحته هو التراكم اللوني والتجاور المساحي الذي يتخذ شكلاً هندسياً أقرب إلى المربع والمستطيل، وأحيانًا إلى شكل بيضاوي غير محدود المعالم، إنه عالم لوني يمتزج بعفوية، وبفعل انزياحات الألوان عندما تخفف كثيراً بالماء أو التربنتين، ويظهر بين هذا الجو المعتم أبنيته برؤوس المآذن التي برزت في دلالة على إشراقة وطنية، وسط كل الصخب الذي أوحته لنا ألوانه. الفنان حاصل على الماجستير في التربية الفنية من جامعة إنديانا



«مظاهر النهضة» لمحمد سيام



«كانت معاناة» أحمد فلمبان

كمنازل ونخيل وقباب، وغيرها في أجزاء اللوحة، بينما تتصدر الكعبة المشرفة لوحتها في الوسط تقريباً، أما المعالجات فتبدو حذرة وفطرية. وعلى نحو انجمعت فيه معالم المملكة.

تلتقي معظم الأعمال، وعلى اختلاف معالجة كل فنان، في تأليفاتها؛ فمثال عبدالله الصالح بعملها المسمى بـ «محاولات الحاسب الآلي» تؤلف عناصرها على نحو مدرسي تغلب فيه درجات الأزرق الفاتحة، وتختار له كماً من العناصر مثل الكعبة المشرفة وجزء من طائرة وبرج مياه الرياض، وطريق وباخرة، وبرج الإذاعة، وأجهزة كمبيوتر، وقلاع.. وغيرها...، والواقع أنه تأليف متواضع لا أعتقد أنه يرقى إلى الاختيار، ويمكننا هنا الموازنة بين هذا العمل، وأعمال أخرى بالاتجاه نفسه، على اختلاف المستوى، فنجد أن التأليف والاختيار في عمل منصور المطيري (١٣٨٨هـ) أكثر إحكاماً مع بدائية، أو حتى مدرسية بعض المعالجات أو رسم بعض الوحدات، أو حتى البساطة والتفكك في عمل سعيد العلاوي المعنون بـ «مسيرة الخير»، والذي يرسم فيه رؤوس بعض الأبنية المعمارية أو المعالم السعودية، وقباباً، وتنتهي أسفل بوحدات زخرفية معينة.. بينما تنفصل هذه العناصر عن أخرى في الجزء الأيسر من اللوحة، وهي التي يتمثل فيها برج مياه الرياض وثلاث نخلات. فالعمل هنا أشبه بمقطعين غير متصلين، ولا يمثلان إحكاماً تصميمياً بمقدار الحرص على التمثيل بالعناصر والوحدات المختارة والتي أرادها أو اختارها من مشاهد أو رموز أو أبنية محلية، كما أن عملاً آخر هو (الأصالة) لمحمد العسيري يبدو أقرب إلى عمل العلاوي، لكنه يختلف عنه في الربط بين العناصر، وفي اختياراته اللونية.

الأمريكية عام ١٩٨٧م، وقد عمل بقسم التربية الفنية في جامعة الملك سعود بالرياض، ويعمل حالياً في كلية المعلمين بجازان، له نشاطات فنية، وشارك في معارض جماعية، وأقام معارض فردية في الرياض وجازان. الأقرب من الأعمال ـ المختارة لهذا المشروع ـ لعمل الرفاعي لوحة «وطني في عيني» للفنانة منى عبدالله القصبي، يلتقي عمل منى مع عمل الرفاعي في النظرة التي التقطا بها عناصرهما، وعلى اختلاف مقدار المعالجة التي تتضح عفويةً طفوليةً عند منى، ذلك أن العناصر تصغر، وتتوزع

العسيري ينشئ عمله على التأليف بين عناصر معمارية (مئذنة وشكل لمنزل، وشرفات شكل أشبه بنخلة)، وكذا جهاز لحاسب آلي، ويتعامل مع هذه العناصر هندسياً، فهناك الدائرة والأشكال الأكثر استطالة أو تربيعاً على فضاءات سماوية أو جدارية، وألوانه ترابيــة تميل إلى إيحاءات لونية صخرية أحياناً. في لوحته البساطة ومحاولة الاقتراب من ربط الماضي بالحاضر ببعض عناصره، وهذه البساطة عند العسيري يميل إليها الفنان زمان محمد جاسم (و:١٩٧١م) بمساحاته المستطيلة التي تؤلف لوحته، وفي هذه المساحات تتشكل الزخارف والوحدات المستوحاة من الأزياء الشعبية، أو المنسوجات، لكنها لا تباشر ولا تؤلف أو تشطح كثيراً نحو عناصر نجدها عند مشاركين آخرين، وهو ما منح لوحة زمان روحها أو شكلها الذي اختلف عن معظم الأعمال المقدمة التي افتعل بعضهم اختيار عناصرها من هنا أو هناك للربط مع المشروع وفكرته، وهو إشكال قد تقع فيه بعض لجان تحكيم بعض المشروعات والمسابقات المماثلة التي لا تحدّدُ صيغاً أو مفردات بقدر تأكيد أصالة المنتج الفني، وصدقه.



«آثار المملكة» رضا معمّر



«حب الوطن» سامي البار

قدّم سامي البار (و:١٣٨٨هـ) عملاً فنياً مختلفاً تناول فيه الحرف العربي الذي تألفت به كلمة أو عبارة من هذه الكلمات (وطني، حبيب، أحب وطني، وطني في قلبي...) وعلى أن مثل هذا الفعل أو الاختيار يوقع بعضهم في فخ المباشرة أو السذاجة إلا أن الفنان الشاب استطاع تحقيق معادل جمالي ومغاير للتعبير عن موضوع حيوي، استفاد فيه من صدق رسوم الأطفال وعفويتها، وتعبيراتهم، وعلى توزيع مساحي استطالي يتلون بالفاتح والداكن، مهتماً بالملامس وبعثرة الكلمات والحروف، بتلوينها كما يحب طفل في المرحلة الابتدائية، وربما في صفوفها الأساسية. سامي البار يعمل معيداً في كلية المعلمين بالمدينة المنورة بعد حصوله على شهادة البكالوريوس من فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ويشارك في بعض المعارض المحلية منذ أعوام.

معاناة ورخاء

ومثّل عمل الفنان أحمد فلمبان (و:١٩٥١م) المعنون بـ «كانت معاناة» مفردات وعناصر محلية تتبيّن ملامحها لا تفاصيلها. هناك مئذنة، وبرج مياه، وقبة جامع، ونخيل،

وشيء أقرب إلى شكل غطاء طاحونة صخرية، وإيحاء برأس رجل من الخلف، تظهر غترته، وعقاله، هذه العناصر يؤلفها فلمبان بخبرة وقدرة على ترابطها. معالجاته أقرب إلى التأثيرية، إلا أننا، وأمام ملامسة معالجاته وخشونتها نرى هذه المعالجات تتحول إلى تعبيرية وحرارة تلوينية تنبعث من أعماله المعروفة.

الضوء ينبعث في مساحة كبيرة من أطراف اللوحة وما بين العناصر هناك إيحاءات أقرب إلى الأغبرة أو الضبابية، لكنها في أطراف اللوحة هي الفجر، والمستقبل الذي يتفاعل به الفنان بعد أن عانى هذا الوطن من الحروب والحياة الصعبة. لقد أراد الفنان التعبير عن الرخاء والازدهار - اللذين عمّا المملكة منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - حتى الآن. وأحمد فلمبان حاصل على البكالوريوس من أكادمية الفنون الجميلة بروما سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، وشارك في عدد من المعارض المحلية والدولية، وأقام آخر معارضه الفردية في جدة قبل عام تقريباً.

«من ربوع بلادي» نوال مصلي

تشابه

التقى رضا معمر (و:١٣٧٨هـ) وسارة كلكتاوي، ومحمد عبدالرحمن سيام، ومحمد الرباط في تناول وتركيبة متشابهة من حيث العناصر، والتي استوحيت من المعالم المعروفة على أرض المملكة، وسنجد أن من بين هذه المعالم - العناصر - علم المملكة، الذي يشترك فيه جميعهم، بينما نجد عناصر أخرى متكررة عند أكثر من فنان مثل المسجد النبوي الشريف والقلاع أو المنازل التقليدية، أبراج الصناعة أو الإعلام، وسائل نقل كالسيارات أو الطائرات، مآذن وقباب، وغيرها وهي عناصر أو تأليفات وجدناها على درجة أقل في أعمال أخرى - سبقت الإشارة إليها - وقد تعامل بعض الفنانين كالرباط مع تأليف عناصره بتربيعات لونية وبأثر فرشاة التلوين لتربط بين العناصر، وبينها وبين خلفية العمل، بينما نجد الحواشي والأطراف الجانبية خالية منها كخلوها من أي عناصر، ويتعامل بطريقة تجزيئية تعتمد التقطيع الرأسي الفنان محمد سيام (و:١٣٧٤هـ) في بانوراميه احتوت على عناصر متعددة، وصيغت بخبرات الفنان في اتجاه ومعالجات عرفناها (لافتة) في أعماله السابقة، ونراها تعتمد على المنظور، وتوظيف موفق للأضواء في عمل (آثار المملكة) للفنان رضا معمر. يتخذ معمر مشهديته - مع بعض الإضافات - من المباني التقليدية، اهتم بإيضاح زخارفها، ونمط بنائها. وأضاف لها علمين في حل فني ذكي، استغل معه المساحة وأوجد في عمله حيوية بعلميه الخفاقين، والفنان من خريجي معهد التربية الفنية، ومشاركاته كثيرة في المعارض السعودية.

سارة كلكتاوي اعتمدت على لقطة مباشرة أضافت إليها وبعثت فيها حيوية بمعالجاتها، وتلويناتها التي اختارت لها درجات الأخضر والبنفسجي والبرتقالي، بينما الأبيض والأصفر يبعثان الإشراق الدائم على أرض الوطن.

عفوية

وتقيم شيرين الحرازي (و:١٣٩٤هـ)لوحتها على تقطيعات تنقسم معها مربعات يتضمن كل مقطع عناصر رسمتها بعفوية نجد من بينها الحروف العربية والبيوت، والنخيل، وحركة رقص، وغيرها، أما ألوانها فإعلانية، وهي الأصفر والأحمر والأزرق في معظم المقاطع.

الحرازي معيدة في كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية بجدة، ومشاركاتها على نطاق الجامعة.

تميز

وطرحت لوحة محمد عبدالله الغامدي المسمّاة «منظر حر» صيغة مختلفة، ومتميزة بين أعمال المجموعة، في إنشاء اعتمد على التقسيم الأفقي أولا، ثم التقطيعات الرأسية التي تخفّ في جزء وتزيد في آخر. ومع تقسيمه الأفقي يلوّن وسط اللوحة بألوان أو درجات داكنة بينما يضيء في الجزأين الآخرين، ومعه خفّت العناصر، واكتفى الفنان بتجزيئاته الملونة في الجزء الأسفل في إيحاء بمعمار لجوامع أو منازل، بينما الجزء الأعلى يتضمن مبنى على شكل قلعة تتركز في وسط العمل الفني. والغامدي حاصل على دبلوم هندسة الطائرات من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٢م، وله مشاركات محلية، ودولية.

صراحة

وفي عمل «نوافذ» للفنان عبدالله حمّاس (١٣٧٣هـ)- تأكيد وحدات وعناصر معمارية تنضاف إليها النخلة وبعض الحلي في تشكيل يقوم على التركيب الهندسي في عمل مقسم ثلاثة مقاطع، يوظف له الفنان ألوانًا صريحة من الأحمر والأخضر والأصفر، كما يؤدي الأبيض وظيفة إحياء وبعث إشراق لوحته. وحمّاس أحد الفنانين التشكيليين السعوديين الذين بعثوا لوحة اكتنزت بالمكان المحلي وبمعطياته الجمالية خاصة من منطقة عسير. والفنان يشكل حضوراً بارزاً في الساحة المحلية بعروضه الجماعية والفردية، وقد أقام معارضه الخارجية في الرباط وباريس، ويشارك في عدد من اللقاءات الفنية العربية والدولية.

واقع وأصالة

ويتميز عمل «واقع الحياة» للفنان طه صبان ١٩٤٨م بتلخيص عناصره المعمارية إلا بما يوحي بمئذنة أو نافذة أو باب أو قبة. خطوط العمل هندسية صارمة أحيانًا، ومرنة لينة أحيانًا أخرى. أما الوحدات والمفردات فتنشغل بها معظم أجزاء اللوحة، وإن اعتمد على المشهدية المباشرة في لقطته، وهو الذي يلتقط موضوعه من مكان شعبي. صبان أول رئيس لبيت التشكيليين وأحد مؤسسيه، يشارك في المعارض الجماعية منذ نهاية الستينيات الميلادية، وأقام معارض مشتركة داخل المملكة. ويميز لوحة «أصالة الوطن» للفنانة رائدة عاشور (و:١٩٥٨م) حسها الجرافيكي، وعملها يقوم على فكرة تنجمع فيها عناصر ومفردات، ووحدات زخرفية شعبية في حل تبسيطي يعيدنا إلى الرسوم الشعبية أو الإسلامية في لوحتها «نخلتان



«نوافذ» عبدالله حمّاس

وجمل وزخارف مستوحاة من السدو ومنازل والكعبة المشرفة...»، وهي عناصر تتناولها الفنانة بتسطيح وشاعرية، حيث التلوينات المحدودة من البرتقالي والأحمر وبعض درجاتهما أو من درجة مطفأة من الأخضر، خلاف الأبيض الذي تقع عليه العناصر. «الشكل العام». وأرى من وجهة نظري أن عمل عاشور من الأعمال اللافتة التي تم اختيارها ضمن أعمال المشروع.

بقي أن نؤكد أهمية مثل هذا المشروع الكبير الذي يحقق، ومن خلال العمل الفني (اللوحة) تربية ذوقية، واستغلالاً حضارياً للفن في دوره الطبيعي نحو ترسيخ معالم الوطن، وبعث جمالياته ورموزه بريشة مبدعيه التشكيليين، كما أن فيه دعماً لمسيرة الفن التشكيلي السعودي وفنانيه.

المعلوماتية في خطة التنمية السعودية السابعة

سعد علي الحاج بكري
الرياض ـ السعودية

تقضي الحكمة ألا نجول بالبصر إلى ما حولنا اليوم فحسب، بل أن نسعى بالبصيرة أيضًا إلى رؤية آفاق المستقبل. فحصاد المستقبل يأتي من البذور التي نزرعها اليوم. وفي النظر إلى ما حولنا اليوم نرى أن المعلوماتية، خصوصًا بعد وجود «الإنترنت» وتطوره ليست فقط تقنية إلكترونية متقدمة يفهمها المتخصصون، بل هي وسائل مفيدة يستطيع الجميع استخدامها والاستفادة منها، سواء في المكاتب والمحلات التجارية، أو في المزارع والمصانع، أو حتى في المنازل والحياة الشخصية.

ولعلنا نجد بالبصيرة أن المعلوماتية ستصبح في المستقبل أسلوب حياة يتميز بكفاءة غير مسبوقة، مما يجعل أصحاب المعلوماتية أكثر قدرة على التطور والتقدم من أولئك الذين قد يتكاسلون عن الاهتمام الفعّال بها. من هنا تأتي أهمية التخطيط والخطط المستقبلية، ومكانة المعلوماتية في هذه الخطط.

تقصد هذه المقالة إلى عرض خطة التنمية السعودية الخمسية السابعة من منظور المعلوماتية، خصوصًا أن هذه الخطة طرحت مبدأ وضع خطة وطنية تختص بشؤون المعلوماتية، وتعطي المقالة كذلك توصيات حول توجهات المستقبل.

البداية بإلقاء الضوء على خطط التنمية السعودية الخمسية بغرض إظهار التجارب السابقة في التخطيط، والتي يمكن الاستفادة منها في المستقبل، وبغرض إبراز استمرارية هذه الخطط وتطورها تبعًا للمتطلبات المحلية والمتغيرات الدولية، وعلى رأسها في الوقت الحاضر مسألة «المعلوماتية». ثم يكون تناول الأسس الاستراتيجية للخطة السابعة، التي تشمل التوجهات الرئيسة للخطة في شتى المجالات. ويأتي التطرق إلى هذه الأسس من منطلق أن المعلوماتية باتت عاملاً مشتركًا تحتاج إليه المجالات كافة من أجل تطوير كفاءتها وتحسين نوعية معطياتها.

ومن الأسس الإستراتيجية للخطة السابعة ننطلق نحو قضايا «العلوم والتقنية» في الخطة، مع التركيز في «المعلوماتية» على أنها جزء أساسي مرتبط بهذه القضايا. ثم نناقش بعد ذلك «الاهتمام الخاص» الذي توليه الخطة «للمعلوماتية» بما في ذلك أهداف تطوير المعلوماتية وسياستها، والخطة الوطنية المقترحة الخاصة بالمعلوماتية. ونحاول أخيرًا وضع بعض التوصيات حول التوجهات المستقبلية التي ينبغي أخذها في الحسبان.

الخطط السابقة

بدأت المملكة العربية السعودية، عام ١٩٧٠م، بوضع



ركزت الخطط التنموية الأولى في البنية الأساسية

خطط تنمية خمسية، بمعنى أن كل خطة كانت تهتم بتوجهات التنمية خلال فترة مستقبلية تبلغ خمس سنوات.

وبين عام ١٩٧٠م وعام ٢٠٠٠م كانت هناك ست خطط خمسية، جاءت بعدها الخطة السابعة التي نحن بصددها لتغطي الفترة حتى عام ٢٠٠٥م. وتشترك هذه الخطط في توجهات «الأمن الوطني»، والتنمية «الاقتصادية والاجتماعية»، والاهتمام بتنويع مصادر الدخل، وتطوير القوى البشرية، والاستفادة منها(١).

تميزت الخطط الوطنية الأولى بالتركيز في «البنية الأساسية» التي تشمل وسائل تأمين الخدمات الأساسية من خدمات صحية، وتعليم، ومياه، وكهرباء، ونقل، واتصالات، وغير ذلك. وتميزت أيضاً بالتوجه نحو بناء مؤسسات التطوير العلمي والتقني. وقد طرحت الخطة الثالثة مسألة تطوير الكفاءة الإدارية. وأبرزت الخطة الرابعة موضوع تطوير دور القطاع الخاص. وشملت الخطة السادسة اهتماماً خاصاً بالعلوم والتقنية والمعلوماتية، واستمرت السابعة بذلك، وطرحت فكرة الخطة الوطنية للمعلوماتية.

وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالتطوير العلمي والتقني والمعلوماتية ليس هدفًا لذاته، بل لعله وسيلة تساهم في تحقيق أهداف التنمية. فهذا التطوير هو استثمار في العمل على تحسين الصناعات المختلفة وتوسيعها، وتحقيق استفادة أفضل من الوسائل الصناعية المُنتَجة محلياً أو المستوردة من الخارج، إضافة إلى دعم كفاءة إنتاجية الأعمال والخدمات بشتى أنواعها. ويؤدي ذلك إلى توسيع مصادر الدخل وتوليد الثروة، كما يؤدي إلى تحسين فرص العمل وإيجاد وظائف جديدة، وهو ما يحقق أهداف التنمية المنشودة.

وفي إطار التطوير العلمي والتقني برزت من خلال الخطط الوطنية مؤسسات متعددة مهمتها العمل على المساهمة في هذا التطوير. ومن هذه المؤسسات: هيئة المواصفات والمقاييس السعودية التي أنشئت عام

١٩٧٢م، والهيئة الملكية للجبيل وينبع التي أنشئت عام ١٩٧٥م، ووزارة الصناعة التي أنشئت عام ١٩٧٦م، والشركة السعودية للصناعات الأساسية «سابك» التي أنشئت عام ١٩٧٦م، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية التي أنشئت عام ١٩٧٧م، ومؤسسة التعليم الفني والتدريب المهني التي أنشئت عام ١٩٨٠م، وشركات برنامج التوازن الاقتصادي التي بدأت قبل أكثر من عشر سنوات، ومؤسسات أخرى، إضافة إلى التوسع في مختلف مراحل التعليم وتخصصاته. وقد شكلت هذه المؤسسات البنية الأساسية للتطوير العلمي والتقني، والعمل على تحقيق أهداف خطط التنمية.

وتأتي الخطة الخمسية السابعة استكمالاً لسابقاتها، ولكن برؤية تتناسب مع التطورات التي تعاصر الفترة التي تغطيها. وسوف نتحدث فيما يأتي عن هذه الخطة، وعن معطياتها بشأن المعلوماتية، التي تعدّ قضية التنمية الأولى في هذا العصر. ولعلنا نبدأ بالأسس الاستراتيجية للخطة تمهيداً لمناقشتها من منظور العلوم والتقنية بشكل عام، وللتركيز في اهتمامها بالمعلوماتية بشكل خاص.

الأسس الإستراتيجية

تستند خطة التنمية السابعة إلى سبعة عشر أساساً استراتيجيًا(٢). ويمكن النظر إلى هذه الأسس على أنها تنقسم ثلاثة أقسام رئيسة:

ـ قسم يختص بدعم الخدمات الأساسية. وقد أوردت الأسس الإستراتيجية خدمات كل من الدفاع والأمن، والتعليم، والخدمات الاجتماعية والصحية، إضافة إلى الخدمات العلمية والتقنية، بما في ذلك خدمات المعلوماتية. وفي إطار هذه الخدمات ركزت الأسس الإستراتيجية في مسألة الدراسات السكانية التي تراعي المتغيرات الكمية والنوعية للسكان وتوزعهم الجغرافي.

ـ وقسم يتعلق بتحسين كفاءة الإدارة الحكومية. وقد اهتمت الأسس الإستراتيجية بالمسائل الإدارية المرتبطة بكفاءة الخدمات الحكومية، وصيانة التجهيزات واستخدامها، وترشيد الإعانات، وفاعلية استغلال الموارد، وتحقيق التوازن في الميزانية، وفي التنمية، بين مختلف المناطق، واعتماد الترشيد على أنه أساس يدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ـ ثم قسم يرتبط بقضايا التطوير التي تتطلب «تعاونًا محليًا» بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية. وقد ركزت الأسس الاستراتيجية في هذا المجال في دعم دور القطاع الخاص في التنمية، وترسيخ مفهوم الخدمات التطوعية في المجتمع، والعمل على سعودة سوق العمل، والاهتمام بالبيئة، إضافة إلى العناية بإعادة التأهيل والتدريب من أجل الاستفادة من التقنيات والتجهيزات وزيادة الإنتاجية.



التوسع في مراحل التعليم وتخصصاته من أهداف خطط التنمية من أجل ترسيخ التطوير العلمي والتقني

ولاشك أن العمل المستقبلي في إطار الأسس الإستراتيجية السابقة الذكر يتطلب تطويراً معلوماتياً فعالاً. فالخدمات المعلوماتية، والتقنيات التي تستند إليها، مطلوبة لتطوير الخدمات الأساسية، وتحسين كفاءة الإدارة الحكومية، ودعم قضايا التعاون المحلي. وتجدر الإشارة إلى أنه، لكون بعض الخدمات المعلوماتية تتصف بالخصوصية، من حيث الأنظمة المحلية التي تستند إليها، ومن حيث الأمن المطلوب لبعض المعلومات المتداولة، ومن حيث استخدام اللغة العربية، فإن إنتاج بعض هذه التقنيات محلياً، وليس استخدامها فقط، بات ضرورة ينبغي أخذها في الحسبان.

وسوف نتحدث فيما يأتي عن اهتمام الخطة السابعة بالمعلوماتية. وفي سبيل ذلك سنتطرق - أولاً - إلى الخطة من منظور العلوم والتقنية الذي يشمل المعلوماتية، ونتبع ذلك بالتركيز في توجهات الخطة بشأن المعلوماتية.

العلوم والتقنية

ركّزت خطة التنمية السابعة في مسألة العلوم والتقنية، وبينها المعلوماتية، في ثلاثة فصول من فصول الخطة الخمسة عشر. ومن خلال مراجعة هذه الفصول، نجد أن هذا التركيز يرتبط بثلاثة محاور رئيسة.

- أول هذه المحاور يتعلق بمكانة العلوم والتقنية والمعلوماتية في القضايا الوطنية الأساسية التي تهتم بها الخطة. وقد جاء ذلك في فصل «التوجهات الاستراتيجية» من الخطة الثالثة. ويرتبط المحور الثاني بالرؤية المستقبلية التي تتطلع إليها الخطة بشأن العلوم والتقنية عموماً، والمعلوماتية بوجه خاص. وقد جاء ذلك في فصل «المنظور الاقتصادي بعيد المدى» من الخطة الرابعة.

ويتطرق المحور الثالث إلى أساليب العمل التي تسعى الخطة إلى دعمها من أجل تحقيق الرؤية المستقبلية المنشودة. وقد جاء ذلك في فصل «تنمية الموارد البشرية» من الخطة الخامسة.

ويلاحظ تدرج هذه المحاور من العام إلى الخاص، أي من القضايا الوطنية العامة إلى العلوم والتقنية والمعلوماتية، ومن الرؤية والأهداف إلى العمل على التنفيذ. وسوف نتحدث عن كل من هذه المحاور فيما يأتي.

في إطار القضايا الوطنية، طرحت الخطة ست قضايا أساسية. وتتضمن هذه القضايا: المياه، والتعليم، وتنمية الإيرادات غير النفطية، والاهتمام بالعلوم والتقنية، والمعلوماتية، وتحسين الكفاءة الإنتاجية للأجهزة الحكومية. ويلاحظ هنا أن قضيتي العلوم والتقنية والمعلوماتية شكلتا ثلث القضايا الأساسية المطروحة(٣).

وفي مجال الرؤية المستقبلية للعلوم والتقنية والمعلوماتية تورد الخطة هدفاً إستراتيجياً مهماً يقضي

الاهتمام بالتطوير العلمي والتقني والمعلوماتية ليس هدفاً لذاته، بل لعله وسيلة تساهم في تحقيق أهداف التنمية

بتضييق الفجوة التقنية بين المملكة والدول الصناعية بحلول العام ٢٠٢٠م. وفي إطار هذا الهدف يطرح الفصل ثلاثة توجهات رئيسة(٤).

- أول هذه التوجهات يتعلق بالاهتمام بالبحث العلمي والتطوير التقني.

- ويحدد التوجه الثاني ثلاث تقنيات إستراتيجية ينبغي أن تُعطى الأولوية في الاهتمام هي: تقنيات تحلية المياه، والغذاء، إضافة إلى الدفاع.

- أما التوجه الثالث فيركز في استغلال العلوم والتقنية، وبينها المعلوماتية، في تنمية القوى البشرية، والارتقاء بها إلى المستويات الدولية لتكون قادرة على التعامل مع التقنيات المتطورة.

وتتحدث الخطة أيضاً، عن الأساليب التي ينبغي أخذها في الحسبان من أجل تعزيز العمل في التوجهات السابقة، وتحقيق الرؤية المنشودة(٤). وتشمل هذه الأساليب التوعية، والتعليم، وتشجيع البحث والتطوير، ودعم الإبداع. كما تشمل أيضاً التعاون بين المؤسسات

صاحبة العلاقة، بما يتضمن التعاون على كل من المستويين المحلي والدولي.

وبالإضافة إلى ما سبق تطرح الخطة مراحل لأسلوب نقل التقنية(٤). وتشمل هذه المراحل: عملية اختيار التقنية المطلوبة مثل: التقنيات الإستراتيجية الواردة سابقاً، ووضع الأنظمة بشأنها، والتركيز في التعليم والتدريب والبحث العلمي في مجالاتها، ودعم الاستثمار في إنتاجها والاستفادة منها.

وفي إطار تنمية الموارد البشرية، تقدم الخطة أساليب أخرى لتحقيق هذه التنمية، تماثل الأساليب السابقة، إذ إنها ترتبط بتطوير التعليم، وتشجيع العطاء العلمي والتقني.

وتشمل ـ إضافة إلى ذلك ـ مسألة التخطيط للمعلوماتية والاستفادة من معطياتها. وتنطلق هذه الأساليب من معرفة الوضع الراهن، والعمل على تحديد الأهداف، ووضع السياسات والبرامج التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف. وفي هذا الإطار تركّز الخطة في كل من مسألتي كفاءة العمل ودور القطاع الخاص(٥).

ومن النظر إلى الخطة من خلال قضايا العلوم والتقنية، وبينها المعلوماتية، ننتقل إلى موضوع الاهتمام الخاص الذي توليه الخطة قضية المعلوماتية.

الاهتمام بالمعلوماتية

في الحديث عن الاهتمام الخاص الذي تعطيه خطة التنمية السابعة لقضية تطوير المعلوماتية، وتوصيتها بوضع خطة وطنية خاصة بشأنها، سنتبع التسلسل الآتي.

ـ سنطرح ـ أولاً ـ الأهداف المحددة لهذا التطوير.

ـ ثم نتطرق إلى السياسات المقترحة من أجل تحقيق هذه الأهداف.

تشمل أهداف التطوير المعلوماتي، طبقاً للفصل الخاص بتنمية الموارد البشرية(٥)، ثلاثة جوانب رئيسة.

يتعلق أول هذه الجوانب بالدور المطلوب للخطة المعلوماتية المقترحة. وقد تم التعبير عن هذا الدور كما يأتي: «توظيف المعلوماتية لدعم التنمية الاقتصادية، وخدمة العلوم والتقنية». وبالطبع تساهم خدمة العلوم والتقنية في تعزيز التنمية. أما الجانب الثاني فيرتبط بإعداد البنية المعلوماتية. ويشمل هذا الجانب موضوعات تتعلق بإعداد المعلومات، وتحديثها باستمرار، وتطوير أنظمة معلوماتية وشبكات اتصال تسهل توفيرها للاستخدام. أما الجانب الثالث فيتعلق بالسعي إلى نشر تقنيات المعلوماتية وخدماتها في المجتمع من أجل الاستفادة منها في شتى المجالات العامة والخاصة.

وهناك جانب آخر للأهداف جرى ذكره بشكل غير مباشر، في الفصل ذاته(٥)، هو جانب الاهتمام بإنتاج تقنيات المعلوماتية، وليس استيرادها وتسويقها فقط. وجاء ذلك في إطار مناقشة دور القطاع الخاص في التطوير المعلوماتي.

المعلوماتية وسيلة لشتى المجالات، لذا لا يمكن وضع تفاصيل الخطة المعلوماتية من دون مشاركة من أصحاب العلاقة الذين سيستخدمون المعلوماتية ويستفيدون منها في تطوير أدائهم وإنتاجيتهم

وفي مجال السياسات المقترحة لتحقيق الأهداف، تم التركيز، في فصل تنمية الموارد البشرية(٥)، في أربعة توجهات رئيسة.

ـ من هذه التوجهات: التوعية العامة، إذ يرتبط هذا التوجه بالإنسان، مصدر التنمية وهدفها. وقد جرى تحديد وسائل الإعلام وبرامج التعليم لكونها مصادر لهذه التوعية.

ـ ومن هذه التوجهات أيضاً الاهتمام باللغة العربية. ففي ذلك توسيع لمدى الاستفادة من المعلوماتية من ناحية، وحفاظ على الهوية العربية في عصر المعلوماتية من ناحية ثانية.

ـ وتشمل هذه التوجهات كذلك تطوير مصادر معلومات وطنية، والعمل على تكامل قواعد المعلومات بما يحقق خدمات متجانسة بكفاءة عالية.

وتتضمن التوجهات أيضا العمل على تعزيز دور القطاع الخاص في المساهمة في التطوير المعلوماتي.


تعمل خطط التنمية على دعم دور القطاع الخاص

تشمل أهداف التطوير المعلوماتي ثلاثة جوانب رئيسة: يتعلق أول هذه الجوانب بالدور المطلوب للخطة المعلوماتية المقترحة، أما الجانب الثاني فيرتبط بإعداد البنية المعلوماتية، ويتعلق الجانب الثالث بالسعي إلى نشر تقنيات المعلوماتية وخدماتها في المجتمع من أجل الاستفادة منها في شتى المجالات العامة والخاصة

وهناك توجهان آخران، في إطار سياسات التطوير المعلوماتي، وردا في فصل التوجهات الاستراتيجية(٣).

ـ يتعلق أحد هذين التوجهين بتوفير المعلومات التي تحتاج إليها الأجهزة الحكومية، كمًا وكيفًا، وفي الوقت المناسب، وذلك من أجل تطوير أداء هذه الأجهزة.

ـ أما التوجه الثاني فيرتبط بتطوير الخدمات المعلوماتية التي تقدمها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، والتي تشمل خدمات «الإنترنت» وغيرها، إضافة إلى تسهيل الحصول على هذه الخدمات للجهات التي تحتاج إليها في القطاعين العام والخاص.

وهكذا نجد أن خطة التنمية السابعة في المملكة العربية السعودية تملك رؤية أولية بشأن المعلوماتية من حيث وضع الأهداف العامة للتطوير المعلوماتي، ومن حيث تحديد الأساليب العامة التي ينبغي أخذها في الحسبان لتحقيق هذه الأهداف. وتبقى هناك في المستقبل مراحل أخرى يحتاج إليها هذا التطوير، وسوف نحاول في البند الآتي تقديم بعض التوصيات حول هذا الموضوع.

الخلاصة والتوصيات

قبل وضع التوصيات حول تعزيز التطوير المعلوماتي في المستقبل، هناك بعض الملاحظات حول ما ورد في هذه المقالة من حقائق:

ـ أولى هذه الملاحظات أن خطط التنمية السابقة أفرزت تجارب عملية ينبغي الاستفادة منها في التخطيط المستقبلي للمعلوماتية، وأن هذه الخطط تشترك في أهداف استراتيجية عامة من جهة، وتركز في معطيات المرحلة الخاصة بها من جهة ثانية.

ـ وثانية هذه الملاحظات أن المعلوماتية تأتي في طليعة المعطيات المهمة التي يجب الاهتمام بها في هذه المرحلة التي نعيش فيها. ويأتي ذلك من منطلق أهمية المعلوماتية في تطوير كفاءة الأعمال، وتحسين نوعية المنتجات والخدمات في شتى المجالات. ويأتي ذلك أيضًا من منطلق أن الانتشار المتسارع للمعلوماتية في شتى أنحاء العالم، يحتم ضرورة استخدامها من أجل مواكبة التنمية على مستوى العالم.

ـ وثالثة هذه الملاحظات أن خطة التنمية السابعة، مع

أنها لم تعط للمعلوماتية من حيث عدد الصفحات كثيراً بالموازنة مع صفحاتها التي تجاوزت «٤٠٠ صفحة»، كما أنها لم تضم المعلوماتية إلى قائمة التقنيات الاستراتيجية، إلا أنها وضعت المعلوماتية بين قضايا التنمية الأساسية، وأوردت أهدافًا إستراتيجية لا يمكن تحقيقها من دون الاعتماد على المعلوماتية، كما أنها أعطت أسسًا للتطوير المعلوماتي، وطرحت فكرة وضع خطة وطنية خاصة بالمعلوماتية.

إن الخطة الوطنية الخاصة بالمعلوماتية المقترح وضعها هي ما يجب الاهتمام به الآن. وفي هذا الإطار يمكن الخروج بجملة توصيات، نبسطها فيما يأتي:

إن وضع خطة وطنية للمعلوماتية يتطلب توجهًا استراتيجيًا. ولعل الهدف الوارد في الخطة السابعة(٤)، والقاضي بتضييق الفجوة التقنية بين المملكة والدول الصناعية بحلول العام ٢٠٢٠م يصلح أيضًا للمعلوماتية. كما أن الأسس الإستراتيجية للخطة، تصلح من حيث ارتباطها باستخدام تقنيات المعلوماتية، أن تكون جزءاً من التوجه الإستراتيجي المطلوب.

ويحتاج وضع الخطة المعلوماتية أيضًا إلى قاعدة ينطلق منها. ويتطلب بناء مثل هذه القاعدة دراسة الوضع الراهن المحلي، كما يتطلب أيضاً الاطلاع على «الخطط الأخرى» التي تم وضعها، ويجري تنفيذها في شتى أنحاء العالم.

ولأن المعلوماتية وسيلة لشتى المجالات، لذا لا يمكن وضع تفاصيل الخطة المعلوماتية من دون مشاركة من أصحاب العلاقة الذين سيستخدمون المعلوماتية ويستفيدون منها في تطوير أدائهم وإنتاجيتهم. وهنا يبرز دور ما يمكن أن نسميه بالتخطيط التعاوني الذي لا يقتصر على مساهمة المتخصصين، بل يشمل أيضاً مشاركة أصحاب العلاقة الذين سيستفيدون من المعلوماتية. ولاشك أن مثل هذا التخطيط يمكن أن يساهم إيجابيًا في التحول التدريجي إلى العمل معلوماتيًا أو إلكترونيًا، عبر الإنترنت كما هو التوجه، على مستوى العالم، في الوقت الحاضر.

وعلى غرار المؤسسات الرائدة التي أُنشئت سابقًا لدعم التطوير العلمي والإنتاج التقني، مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، والهيئة الملكية للجبيل وينبع، وشركة الصناعات الأساسية، وغيرها، يمكن للخطة الوطنية للمعلوماتية أن تأخذ فكرة إنشاء مؤسسة أو مؤسسات مثيلة في الحسبان لدعم التطوير المعلوماتي الذي يعزز التنمية المنشودة.

ولأن الخطة المعلوماتية المقترحة تفيد شتى المجالات، ومختلف القطاعات، بل والأفراد، فإن مسؤولية وضع الخطة يجب أن تتوزع على أصحاب العلاقة. ويشمل هؤلاء القطاع الحكومي، والمؤسسات الصناعية والتجارية، ربما من خلال الغرف التجارية والصناعية، والمهنيين، ربما من خلال الجمعيات المهنية، كجمعية الحاسبات السعودية واللجنة الهندسية، والأفراد، ربما من خلال نوادي المدارس، ومؤسسات التدريب أو إعادة التأهيل من أجل التوافق مع متطلبات عصر المعلوماتية.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن مقياس نجاح أي خطة لا يكمن فقط في كفاءة تصميمها وقابليتها للتنفيذ، ولكن في تنفيذها الفعلي، والقدرة على الاستفادة منها، وهذا هو المأمول في الخطة الوطنية المنشودة للمعلوماتية في عصر بات يأخذ اسم شهرته من المعلوماتية.

المراجع

١. منجزات خطط التنمية، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٠م-١٤٢٠هـ (١٩٧٠م-٢٠٠٠م).
٢. خطة التنمية السابعة: الأسس الإستراتيجية، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠-١٤٢٥هـ (٢٠٠٠-٢٠٠٤م)، الصفحات: ٤١٧ - ٤٢٦.
٣. خطة التنمية السابعة: التوجهات الإستراتيجية / القضايا العامة الأساسية، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠-١٤٢٥هـ (٢٠٠٠-٢٠٠٤م)، الصفحات: ١١٨-١٢٩.
٤. خطة التنمية السابعة: المنظور بعيد المدى للاقتصاد السعودي / دور العلوم والتقنية والمعلوماتية في التنمية المستقبلية، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠-١٤٢٥هـ (٢٠٠٠-٢٠٠٤م)، الصفحات: ١٠٤-١٠٨.
٥. خطة التنمية السابعة: تنمية الموارد البشرية / العلوم والتقنية / المعلوماتية، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠-١٤٢٥هـ (٢٠٠٠-٢٠٠٤م)، الصفحات: ٣٠٧-٣١١.

الخطوبة والزواج في الأدب العربي

ابتسام مرهون الصفار
عمان ـ الأردن



تتفاوت الشعوب في احتفائها بالمناسبات الاجتماعية، خاصة ما يتعلق بالخطوبة والزواج وما يتعلق بهما من عادات وتقاليد. كما تتفاوت في تسجيلها لتلك الرسوم لا تسجيل تاريخ وتوثيق، وإنما تسجيل أدب شعرًا أو نثرًا، وهذا ما نقصده في هذه المقالة من تتبع رسوم الخطوبة والزواج من خلال المصادر الأدبية عامة، والشعرية خاصة. لقد رسخت في المجتمع العربي تقاليد استمدت من طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل والروابط الاجتماعية التي تربط العوائل بعضها ببعض، ثم تبلورت هذه العلاقات عند ظهور الإسلام، وتوجت بما منحه الدين الإسلامي السمح من حقوق وواجبات، فكانت رسوم الخطوبة والزواج مزيجًا من العادات التي عرفها العربي قبل الإسلام، ومظهرًا من مظاهر السلوك الاجتماعي الذي هذب سلوك الأفراد والجماعات بعد ظهور الإسلام.

من هنا كانت وقفتنا الأساسية على الرسوم التي رسخت بعد الإسلام حتى أواخر العصر الأموي، ولم تتجاوزها إلى العصر العباسي لما شهده العصر الأخير من تطور كبير في جوانب الحياة عامة.

زواج الأباعد

وإذا كانت هناك أقوال كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تحث على زواج الأباعد؛ لأنه يقوي الروابط الاجتماعية فعلاً، فإن هناك أشعاراً صورت ما يتركه زواج الأباعد من روابط المودة والألفة، وأن زواج المرء من قوم بينهم عداوة قد يؤدي إلى خلق جو من التصافي والتسامح.

كان خالد بن يزيد(١) بن معاوية يقول: إن أبغض خلق الله إليه، هم آل الزبير حتى تزوج امرأة منهم اسمها رميلة، فصاروا أحب خلق الله إليه وفيها يقول:

أحب بني العوام طراً لحبها
ومن حبها أحببت أخوالها كلبا
أحنُّ إلى بنت الزبير وقد علت
بنا العيس خرقا من تهامة أو نقبا
أقلّوا عليّ اللوم فيها فإنني
تخيّرتها منهم زبيرية قلبا(٢)

والشاعر جرير يذكر أن زواجه من أم نوح ابنه جعله يحب جميع الموالي، ويبدو أنها كانت من أهالي الري، فيقول إنه يفضلها على ألفين من النساء، وإنه أحبَّ أهلها لحبها وإنه لا يرى الملاحة والجمال إلا في أهل الري:

إذا عرضوا ألفين منها تعرضت
لأم حكيم حاجةٌ في فؤاديا
لقد زدتِ أهل الري عندي ملاحة
وأحببتِ أضعافا إليّ المواليا(٣)

شروط الاختيار

أما الشروط التي كانوا يفترضون وجودها في الخاطب والعريس فإنها تتلخص جملة في توافر القيم الخلقية التي ارتضاها العرب في عصر ما قبل الإسلام، أضيف إليها الدين والتقوى بعد الإسلام، هذا بالنسبة إلى الرجل. أما بالنسبة إلى الفتاة فالأقوال كثيرة في الحث على الزواج من ذوات الدين والعقل(٤). ويتفاوت الناس باختلاف الظروف والأزمان فيما يشترطونه من صفات تتوافر في الزوج أو الزوجة، المهم أننا نجد خلاصة لها تتمثل بوجوب التكافؤ بين الزوجين. ومن هنا فخر أشراف العرب وفرسانهم أمام أبنائهم بأنهم أحسنوا اختيار زوجاتهم، وأنهم قد مهدوا لهم الفخر بأنسابهم. من هنا امتن أبو الأسود الدؤلي على بنيه لأنه اختار لهم أمهات يفخرون بشرفهن وأصلهن؛ ولأن كرم الأصل لابد أن يظهر على كرم الخلق والسلوك قائلاً: أحسنت إليكم كباراً وصغاراً قبل أن تولدوا. قالوا كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من النساء من لا تسبون بهن(٥).

وقد خاطب العُجَيْر السّلوليّ. وهو شاعر أموي، ابنته مفتخراً بآبائها من بني جابر، وأنه اختار أمها من نسائهم:

ولقد وضعتك غير مُترك
من جابر في بيتها الضخم
واخترت أمك من نسائهمُ
وأبوك كل عزوّر شهم(٦)

أما الفخر بكون الزوج كفؤاً لزوجه فقد كان مدعاة لتسجيل مأثرة من المآثر التي يسجلها الشاعر إزاء خصومة فكان من دواعي فخر الفرزدق على جرير أنه تزوج حدراء وهي كفأة له، وقومها أكفاء لقومه، ولا يرقى جرير وقومه إلى هذا الشرف:

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم
على دارميّ بين ليلى وغالب
هم زوجوا قبلي ضراراً وأنكحوا
لقيطًا وهم أكفاؤنا في المناسب(٧)

وقد فخروا بالمرأة الكريمة النسب، وامتدحوا الممدوح بأنه من كريمة من قبل أبويها. يقول نصيب مادحاً بشر بن أبي مروان:

يا بشر يا بن الجعفرية ما
خلق الإله يديك للبخل
جاءت به عجز مقابلة
ما هن من جرم ولا عكل(٨)

والمقابلة الكريمة النسب من قبل أبويها.

ويسبق الموافقة على الخطوبة السؤال عن الخاطب، فقد تسأل الفتاة نفسها المتقدم إلى خطبتها، أو يسأل من يعرض عليه أمر الخطوبة عن الخاطب وقومه. نجد هذا في إشارات متفرقة سترد في مواضعها.

أما سؤال الرجل عن الفتاة أو المرأة المخطوبة فلم ترد فيه أخبار كثيرة، ولعل سبب ذلك أن أمر الخطوبة لا يتم إلا بعد أن

يصل الخاطب إلى قناعة في الزواج بمن يتقدم لخطبتها، ومع ذلك نجد خبراً في سيرة الشاعر الأُقَيْشِر الأسديّ يذكر فيه أن رجلا من حضرموت خطب امرأة من بني أسد فأقبل يسأل عنها، وعن حسبها، وأمهاتها حتى جاء الأُقَيْشِر فسأل عنها فقال له: من أين أنت؟ قال: من حضرموت فأنشأ يقول:

حضرموت فتشت أحسابنا
وإلينا حضرموت تنتسب
إخوة القرد وهم أعمامه
برئت منكم إلى الله العرب(٩)

فالأقيشر هنا لم يستسغ سؤال الحضرموتي عن الفتاة الأسدية، وساءه ذلك؛ لأنه يرى أن قومها أرفع نسبًا من أن يسألها أو يسأل عن قومها رجل من حضرموت.

أما خطوبة الفتاة من نفسها فهناك أخبار كثيرة عن محاولات خطوبة تخطب فيها الفتاة من نفسها أو من واحد من ذويها أو ولي أمرها... ويبدو أن العرب ما كانوا يجدون في عرض بناتهم للزواج إذا وجدوا رجلاً كفئًا لها.

حرية

وقد سجل النثر العربي في العصر الأموي محاولات طريفة بين الخاطب والفتاة المخطوبة تدل على جرأة المرأة آنذاك، والحرية التي تمتعت بها في المجتمع العربي الإسلامي.

قيل: إن خالد بن صفوان خطب امرأة من نفسها، ويبدو أنه كان معتداً بحسبه وشرفه وجاهه، فخاطب المرأة وكأنه متأكد من موافقتها على الزواج منه فعدد صفاته الشخصية قائلاً:

«وفيَّ خصال سأبينها لك، فتقدمين عليَّ أو تدعين.

قالت: وما هي؟ قال: إن الحرة إذا دنت مني أملتني، وإذا تباعدت عني أعلتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري، ويأتي عني ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذته.

فقالت له: قد فهمنا مقالتك، ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها إلا لبنات إبليس، فانصرف رحمك الله»(١٠).

ومن مجالس الخطوبة التي ذكرتها كتب الأدب، وأوردت فيها تفصيلات حوار بليغة بين الخاطب والفتاة ما ذكر من خطبة ابنة قاضي البصرة الملاءة بن زرارة التي ذكر فيها أن فتى قرشيًا قدم البصرة طالبًا لنفسه أشرف بناتها، فلما دل على ابنة القاضي ذهب إلى مجلس القضاء، وسأل أباها أن يزوجها له، فيجيبه القاضي معلنا أن ابنته لا يفرض عليها رأي، وأن أمرها بيدها، ونصحه أن يخطبها إلى نفسه.

وهكذا نجد قاضيًا في العصر الأموي لم تمنعه هيبة القضاء، ولا مكانة الخاطب من إعلان وجوب سؤال الفتاة نفسها، فيذهب الشاب برفقة تاجر إلى منزل الفتاة، ويستأذن على أمها فتلقاهما بمثل كلام أبيها، ثم تشير إليها إلى حجرة ليدخلا عليها، وهنا تصف الرواية الفتاة وملابسها:

«فاستأذنا، فأذنت لنا، فوجدناها جالسة، وعليها ثوب قوهي رقيق مصفر... ومصحف على كرسي بين يديها، فأشرجت المصحف، ثم نحته، فسلمنا فردت، ثم رحبت بنا»(١١)، وبعد أن علمت الفتاة من الشاب رغبته في الزواج منها سألته عما بيده، ثم كان حوار بينهما انتهى برفض الفتاة فخرج الخاطب وصاحبه وهما متعجبان من جرأتها على الكلام والحوار.

من الشروط التي كانوا يفترضون وجودها في الخاطب والعريس توافر القيم الخلقية التي ارتضاها العرب في عصر ما قبل الإسلام، أضيف إليها الدين والتقوى بعد الإسلام

ومن هنا نجد أن المجتمع كان يستسيغ خطبة الفتاة من نفسها، كما يبيح لها حرية المحادثة مع المتقدم لخطبتها لمعرفة أحواله ومؤهلاته مادام ذلك في حدود الأدب.

ومن النصوص التي تصور مجالس خطوبة أو طلب خطوبة ما ذكر من دخول سعيد بن خالد على أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر ليخطبها، وأنه دخل عليها وهي جالسة وعليها قبة نمور، قد اشترت غشاءها بألف دينار(١٢).

ووصف مجلس آخر خطبة فتاة قدم عليها رجل من بني أسد ليخطبها زمن زياد ابن أبيه، وقد نص راوي الخبر على مشروعية جلوس النساء لمحاورة خطّابهن بقوله: «وكان النساء يجلسن لخطّابهن» فوصف الخاطب دخوله عليها، ورؤيته لسلوكها، ومحادثتها له مباشرة، وأنها كانت قاعدة على جلد أسد، وأمامها قصعة عظيمة من الثريد مكللة باللحم. ويبدو أنها كانت رافضة لهذا الخاطب، لأنها كانت

تأكل الثريد واللحم بطريقة غير لطيفة، وكأنها تريد إثارة نفوره منها، ثم شربت بشن عظيم مملوء لبنًا، وأنها بعد أن أتمت أكلها خيرته أن يتقدم لخطبتها، أو يتأخر، فيخرج الخاطب إلى غير عودة(١٣).

وللفتيات شروط

وهناك أخبار لفتيات أو نساء اشترطن شروطًا خاصة، وطالبن بها الرجل المتقدم إليهن. فقد اشترطت السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام حين تقدم إليها زيد ابن عمرو بن عثمان ألا يعصى لها أمرًا، ولا يغيرها، ولا يمنعها شيئًا تريده، ولا يمنع أحدًا يدخل عليها فوافق(١٤).

واشترطت ابنة محمد بن عروة بن الزبير على طليقها الحكم بن يحيى بن عروة، وكان قاضيًا على المدينة أن تقبل به زوجًا على أن يكون عطاؤه لها ما شاءت، وغلة أرضه، وبضع بناته إليها، تزوجهن من شاءت، ولا يغير عليها، فإن فعل فأمرها بيدها(١٥).

وقد تخطب الفتاة من نفسها فترفض الموقف أو الظرف الذي فوتحت به، فعمر بن أبي ربيعة خطب امرأة من ولد الأشعث حين رآها في الحج، وتحدث معها. فقالت: أما هاهنا فلا سبيل إلى ذلك، ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطبًا تزوجتك. وقد ذكر في الخبر أن أمها كانت معها حين خطبها. وقيل أيضًا إن عمر بن أبي ربيعة ارتحل إليها وخطبها من أهلها فرفضته(١٦).

وبلغ من حرية المرأة أن يتقدم لخطبتها أكثر من شخص في الوقت نفسه، وكل له مكانته في مجتمعه، فلا تجد حرجًا في إعلان تفضيلها لواحد منهم دون أن يجد الآخرون ضيرًا أو إهانة، وإنما يفهمون الموقف بأنه حق من حقوق المرأة في حرية اختيارها لمن تريد الزواج منه.

فهناك خبر عن امرأة تقدم لخطبتها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورجل آخر، فتزوجت الأخير، وحدث أن التقت بعد مدة بالإمام علي وحادثته دون أن تجد حرجًا(١٧).

وقد رفضت أخت أبي سفيان أربعة عشر رجلاً تقدموا لخطبتها كلهم ممن شهد معركة بدر، وتزوجت عقيل بن أبي طالب قائلة: إن عقيلاً كان مع الأحبة يوم قتلوا(١٨). أي إنها رفضت البدريين لأنهم قتلوا أهلها المشركين، وقبلت بعقيل لأنه كان في صف أهلها المشركين، ولم يمنعها إسلام الناس جميعًا من إعلان السبب النفسي الذي دعاها إلى تفضيل عقيل على سائر من تقدم لخطبتها، وكلهم ممن يتشرف بخطبته أو الزواج منه.

وقد ذكر خبر طريف عن الأصمعي عن امرأة تقدم إليها رجل فسألته أن يسأل عنها، ودلته عمن يجد عنده أخبارها «اسأل عني بني فلان وبني فلان فيقول لها: وما علمهم بذلك فتقول: في كلهم نكحت»(١٩).

ومع كون الخبر طريفًا يراد به المتعة إلا أنه يدل على واقع بعض النساء آنذاك في تعدد زيجاتهن أو في مخاطبتهن لمن يتقدم لخطبتهن.

وهناك أخبار لرجال ساءهم رفض فتاة ما لهم، فرجل يدعو على فتاة رفضته ألا تُسعد بعده(٢٠).

بلغ من حرية المرأة أن يتقدم لخطبتها أكثر من شخص في الوقت نفسه، وكل له مكانته في مجتمعه، فلا تجد حرجًا في إعلان تفضيلها لواحد منهم دون أن يجد الآخرون ضيرًا أو إهانة

وخطب الشاعر أبو جلدة فتاة من بني عجل يقال لها خليعة بنت صعب فأبت أن تتزوجه وقالت: أنت صعلوك فقير، لا تحفظ مالك، ولا تلفي شيئًا إلا أنفقته في الخمر، وتزوجت غيره، فقال أبو جلدة ذاكرًا خطبته لها مفتخرًا بفروسيته، وأنها لو شهدت وقعاته مع الأبطال، ومقارعتهم في الحرب لتمنت أن تكون خادمًا له، مع ذلك لم يهجها بل اكتفى بالدفاع عن نفسه:

لما خطبت إلى خليعة نفسها
قالت خليعة ما أرى لك حالا
أودى بمالي يا خليع تكرمي
وتخرقي، وتحملي الأثقالا
إني وجدكِ لو شهدت مواقفي
بالسفح يوم أجلل الأبطالا
سيفي لسَرَّكِ أن تكوني خادمي
عندي إذا كره الكماة نزالا(٢١)

وقد تهيبوا من خطبة البنات اللاتي يعترض أهلهن على

زواجهن، أو يتعنتون في طلباتهم، وقد عدوا الإخوة الذين يردون أكثر من خاطب لأختهم مشائيم، كما ذكر ذلك الشاعر الأموي الحزين الذي نصح ابن عم له كان قد استشاره في خطبة فتاة ونصحه ألا يخطبها، لأن أهلها يتعنتون ويرفضون الخطاب وفعلاً رُدّ ابن عمه، ورُفض فقال الحزين:

نهيتك عن أمر فلم تقبل النهى
وحذرتك اليوم الغواة الأشائما(٢٢)
فصرت إلى ما لم أكن منه آمنًا
وأشمت أعدائي وأنطقت لائما(٢٣)

ومن الطبيعي أن يتحرج الخاطب إنْ لم يكن مؤهلاً من خطبة فتاة محفوفة بالأب والإخوة والأعمام؛ لأنه يتوقع الرفض والرد، فقد ذكر أن رجلاً خطب فتاة فنصحه شاعر بالتريث قائلاً فيها:

يظل خطّابها ميلاً عمائمهم
كأن أنضاءهم أنضاء حجاج
لها أبٌ سيد ضخم وإخوته
مثل الأهلة يستثنيهم الهاجي(٢٤)

وقد كانت الفتاة تخطب من أبيها أحيانًا، وهنا تصرح معظم الأخبار أن الآباء كانوا يشترطون موافقة بناتهن، ولهم في ذلك محاورات طريفة سجلتها كتب الأدب.

وهناك روايات تذكر موافقة الآباء دون النص على أخذ رأي الفتاة، وهذا لا يعني أنهم لم يرجعوا إلى أخذ آراء بناتهم عند زواجهن قدر ما يعني اهتمام الراوي بالخبر فيما بعد الموافقة، كأن يكون فحوى الخبر المروي عن الشروط التي اشترطها الأب، أو كيفية إعلانه الموافقة، وما إلى ذلك من ظروف تحيط الخبر المروي. فقد كان شرط عوف بن محلم الشيباني لقبوله خطبة عمرو بن حجر لابنته أن يسمي بنيها، ويزوج بناتها، وكان جواب الخاطب «أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا. وأما بناتنا فينكحن أكفاءهن من الملوك. ولكني أصدقها عقاراً من كندة، وأمنحها حاجات قومها لا ترد لأحد منهم حاجة»(٢٥).

الخطبة من الأب

وخطبة الفتاة من أبيها هي الأكثر شيوعًا في العصر الجاهلي، وكانوا لا يرون ضيراً في طلب الزواج من ابنه رجل ما علناً إن كان الزواج متكافئًا، فحين ذهب لقيط بن زرارة وكان فارساً جواداً ليخطب ابنة قيس بن مسعود الشيباني حادثه علانية وهو في مجلس قومه، فخجل الأب قائلا هلا ناجيتني؟ وهنا يعلن الخاطب بأنه لا يضمر سوءاً حتى يخفيه: «إن ناجيتك لم أخدعك، وإن عالنتك لم أفضحك، قال: من أنت؟ قال: لقيط بن زرارة» فوافق الأب لمكانة لقيط الفارس في قومه، وزوجه في ليلته، وساق عنه مهر ابنته(٢٦).

ومن أخبار خطبة الفتاة من أبيها المشهورة خطبة هند بنت عتبة حين طلقها زوجها الفاكه بن المغيرة، فطلبت من أبيها أن يخبرها إذا تقدم لطلبها أحد، فخطبها بعد ذلك سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها ذاكراً لها صفات خاطبيها بقوله:

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما
رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يُعاش بفضله
وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريمٌ مرزأ
وما منهما إلا أغر سميدع
فدونك فاختاري فأنت بصيرة
ولا تُخْدَعي إن المخادع يخدع(٢٧)

فلم ترض هند بطريقة تخيير أبيها لها، وأرادت تفصيلات أكثر، فلما ذكر أبوها صفاتهما نثراً اختارت أبا سفيان، فنظم سهيل قصيدة ينتقص فيها أبا سفيان، ويعلن أن تفضيل هند له، وزواجها منه حمق وغفلة قائلا:

نبئت هنداً تبَرَ الله سعيها
تأبّت وقالت وصف أهوج مائق
وما هوّجي يا هند إلا سجية
أجر لها ذيلي بحسن الخلائق

وحين ألح سهيل في تنقص أبي سفيان، قال أبو سفيان يهجوه:

رأيت سهيلا قد تفاوت شأوه
وفرّط في العلياء كل عنان
وأصبح يسمو للمعالي وإنه
لذو جفنة مغشية وقيان(٢٨)

ومع هذه النقائص تبقى صورة حرية المرأة في اختيار من تقدم للزواج بها واضحة بين غضون الأخبار والمناقضات.

الوسيط

وهناك وسيلة للخطبة أو فلنقل لرؤية الفتاة أو وصفها لمن يتقدم لخطبتها إذا تعذر عليه رؤيتها وهو الوسيط، رجلا كان أو امرأة. أما الرجل الوسيط، فقد ذكر أنه كان هناك مخنث في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على النساء، ويصفهن لمن يريد الزواج، فمنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من الدخول على نسائه(٢٩)، وكذا ورد خبر عن امرأة كانت تجلس في المسجد تجيب الناس، وتستقصي أخبارهم وما يبتغون من النساء طلباً للزواج(٣٠).

وقد عرف في العصر الأموي رجل لقب بالدلال من أهل المدينة قيل: إنه كان مشغولاً بمخالطة النساء، ووصفهن للرجال، وكان من أراد امرأة سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف النساء واحدة واحدة حتى ينتهي إلى وصف من تعجبه، ثم يتوسط بينهما، وكان يتوسط أحياناً لتقدير المهر(٣١).

ونجد في أخبار العصر الأموي ما يستدل به على أن بعض الرجال كانوا ينيبون عنهم رجالاً ليخطبوا لهم، فيتحدث الواسطة مباشرة مع الفتاة فتقبل أو ترفض، ذكر أن الشاعر عبدالله بن همام السلولي بعث شاباً إلى امرأة ليخطبها له، فما كان من المرأة إلا أن عرضت نفسها على الشاب الوسيط قائلة: وما يمنعك أنت؟ فيدهش الشاب، ويسألها إن كانت ترغب فيه حقاً أم لا؟ فتعلن موافقتها على الزواج، فيتزوجان(٣٢).

وكذا قيل في قصة زواج السيدة عائشة بنت طلحة من عمر بن عبيدالله بن معمر بعد وفاة زوجها مصعب إذ إن بشر بن مروان بعث عمر بن عبدالله ليخطبها له، فقالت له عائشة: أما وجد بشر رسولاً إلى ابنة عمك غيرك! فأين بك عن نفسك؟ أي إنها عرضت نفسها على ابن عمها الذي قدم وسيطاً. فوافق وتزوجا(٣٣).

وقد تقبل الفتاة بدور الوسيط وتسأله عن صفات الخاطب ومؤهلاته، وقد توافق أو ترفض، وهناك خبر عن فتاة سألت الوسيط عن حرفة الخاطب الذي أرسله فعاد إليه وسأله عما يجيب فقال الخاطب أبياتاً يفخر فيها بشجاعته قائلاً:

وسائلة ما حرفتي؟ قلت حرفتي
مقارعة الأبطال في كل مشرق
إذا عرضت لي الخيل يوماً أريتني
أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي
وأصبر نفسي حين لا حر صابر
على ألم البيض الرقاق البوارق

فلما أنشد الوسيط الأبيات أمام المرأة ردته قائلة: قل له: أنت أسد، فاطلب لنفسك لبوة، فلست من نسائك، وأنشدت أبياتاً من الشعر منها:

الا إنما أبغي جواداً لماله
كريماً محياه قليل الصدائق
فتىً همه مذ كان خوداً كريمة
يعانقها بالليل فوق النمارق

واستمرت تعدد الصفات التي ترى وجوب توافرها في الرجل الذي يتقدم لخطبتها(٣٤).

وقد يكون الوسيط امرأة يرسلها الخاطب فتنظر خبر الفتاة التي يروم خطبتها، وهو أسلوب عرف منذ العصر الجاهلي، واستمر أجيالاً طويلة، قد نجده حتى في عصرنا هذا. ذكر أن عمرو بن حجر جد امرئ القيس أراد ابنة عوف بن محلَم، فوجه إليها امرأة يقال لها عصم لتنظر إليها فدخلت على أمها وأخبرتها خبر الخاطب، فأوصت الأم ابنتها ألا تخفي شيئاً عن المرأة(٣٥) لئلا يخدع الخاطب أو يظن أنه يخدع. مما يدل على موافقة هذا السلوك للأعراف الاجتماعية سواء للخاطب أو العروس أو أهلها.

وقد تكذب المرأة الواسطة، وتدعي في الفتاة صفات تفتقر إليها، وهنا تكون خيبة الأمل، أمل الخاطب المخدوع حين يتزوج، ويجد الفتاة على غير ما وصفت له. ذكر أن شاعراً يدعى جهماً تزوج امرأة فوجدها عجوزاً فطلقها، وقال فيها شعراً، وسماها قماحة، والأرجح أنه لقب لقبها ليشير إلى نفوره منها، وليس اسمها حقيقة يقول:

وما لمت نفسي مذ قطمت بلحية
كما لمت نفسي في عجوز بني شمس
فان مات جَهْم غيلةً فاقتلوا به
قماحة إن النفس تقتل بالنفس(٣٦)

ولم تكن المرأة الواسطة ممثلة وجهة نظر الرجل فحسب، بل قد تدل المرأة على رجل ليتزوجها، وهنا يقف الرجل ليعلن صفاته للمرأة الواسطة لتبلغ به المرأة التي عرضت عليه



الزواج. فقد ذكر أن رجلاً أجاب امرأة دلته على امرأة ليتزوجها بأبيات شعر يفصح فيها عن شخصيته، وكأنه يعلن رفضه لهذا العرض، لأن الخصال التي ذكرها عن نفسه لا يمكن أن تقبل بها فتاة، فهو لا همة له، ولا دين، ولا مال!! قال:

أقول لها لما أتتني تدلني
على امرأة موصوفة بجمالِ
أصبْتِ لها والله زوجًا كما اشتهت
إن احتملت منه ثلاث خصالِ
فمنهن عجز لا ينادي وليده
ورقة إسلام، وقلة مال (٣٧)

الإعلان

ومع اختلاف الوسائل والسبل التي يتعرف فيها الرجال إلى النساء والفتيات وينتهي أمرهم ببدء الخطوبة، التي قد تنتهي بالزواج، يبقى إعلان الزواج مرهونا برسم آخر من الرسوم التي عرفها المجتمع العربي والإسلامي فيما بعد، وهو إعلان أهل العروس موافقتهم على الزواج بخطبة ينتدب بها واحد من أهلها، وقد تكون الخطبة لإعلان العقد الشرعي فينتدب لها واحد من أهل العريس أو العروس أو ينتدب لها شخص مرضي.

ونجد في خطب المشهورين في العصر الجاهلي ما تضمن وصية الخاطب وجوب معاملة الفتاة بالحسنى والخلق الكريم. فعامر بن الظرب حكيم العرب المشهور كانت خطبته يوم قبوله لصعصعة بن معاوية زوجًا لابنته أم عامر بن صعصعة خطبة رائعة وصورة لأحاسيس أب وافق على قبول الخاطب لأنه كفء وصالح وشريف، ومع ذلك يسأله أن يحسن معاملة ابنته بقوله: «إنك أتيتني تشتري مني كبدي، فارحم ولدي، قبلتك أو رددتك»، ثم يعلن لقومه موافقته على زواج ابنته معبراً عنها بلفظ: كريمة بكل ما تحمله هذه الكلمات من معاني الإجلال والتكريم قائلاً: «يا معشر عدْوان، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة»(٣٨).

وقد تطورت خطبة النكاح في العصر الإسلامي فاشترط فيها افتتاحها بالبسملة والثناء على الله سبحانه وتعالى الذي أحل الزواج، وأقره في كتابه الكريم(٣٩).

واشترطوا فيه الإيجاز، من ذلك ما ذكر من خبر زواج الحجاج من هند بنت أسماء إنه كلّف أيوب بن القرية أن يخطب هندًا، ولا يزيد على ثلاث كلمات، فأتى قومها فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير معطيكم ما تسألون أفتنكحون أم تردون؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا(٤٠).

ومن رسوم خطبة النكاح أن الخطيب فيها يجلس خلاف كل الخطباء الذين وصفهم الهيثم بن عدي ونقل قوله الجاحظ بقوله: «لم تكن الخطباء تخطب قعودًا. إلا في خطبة النكاح»(٤١).

وقد ذكر أن جلوس الخطيب في خطبة النكاح قد يسبب لبعضهم حرجاً ربما لأن وقوفه يمنحه شيئًا من التفرد والشعور بالقوة والتميز الذي يحتم عليه أن يكون جريئًا.

يفهم هذا من تعليق ابن المقفع على مقولة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عرف ببلاغة القول واصفًا الصعوبة التي يعانيها من خطبة النكاح «ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح». أي ما تشق ولا تصعب عليّ خطبة مثل خطبة النكاح. وقد سئل ابن المقفع عن تعليل هذا، فقال: «ما أعرف إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه، ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق، ولأنه إذا كان جالساً معهم

كانوا كأنهم نظراء، وأكفاء، فإذا علا المنبر صاروا سوقته ورعيته»(٤٢). وحاول بعضهم أن يجد تعليلا آخر لمقولة الخليفة عمر. وهو أن الخطيب لا يجد بدا من تزكية الخاطب فلعله - أي الخليفة عمر - كره أن يمدحه بما هو ليس فيه، فيكون قد قال زورا وغرّ القوم من صاحبه. وقد رفض الجاحظ هذا الرأي قائلاً: «ولعمري إن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة، فأما عمر بن الخطاب - رحمه الله - وأشباهه من الأئمة الراشدين، فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمن يستحق المدح»(٤٣).

المهر والصداق

ومن رسوم الزواج تقديم الصداق للمرأة الزوجة، وهو رسم معروف في العصر الجاهلي إذ عرفت قبيلة كندة بأنها أغلى الناس مهوراً، ربما مهرت الواحدة ألف بعير، ولا يُمهر بأقل من مئة بعير، فصارت مهور كندة مثلاً في الغلاء(٤٤). ونسب ابن قتيبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «اللهم اذهب ملك غسان، وضع مهور كندة»(٤٥).

كان أشراف العرب وفرسانهم يفتخرون أمام أبنائهم بأنهم أحسنوا اختيار زوجاتهم، وأنهم قد مهدوا لهم الفخر بأنسابهم

وعند ظهور الإسلام أباح الإسلام الصداق، وفرضه على الرجال وجعله رسماً من رسوم الزواج. وقد بلغ من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب التسامح بالزواج بعد أن يرتضي خلق الزوج أو دينه أن يمهر الزوج زوجه مهرا رمزياً «انظر ولو خاتماً من حديد»، وحين لم يجد الرجل أي صداق يمهر بها زوجه أباح الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصدق هذا الرجل زوجه بما معه من القرآن الكريم(٤٦)، وكان كل ما يملكه الرجل هو علمه بآيات من القرآن الكريم يستطيع أن يقدمها لزوجة فيعلمها لها.

وذكر أن صداق السيدة خديجة قبل البعثة كان عشرين بكرة أي عشرين ناقة(٤٧). وكان معدل صداق زوجاته بعد البعثة مبلغ ٥٠٠ درهم(٤٨) إلا في حالات نادرة مثل حالة أم حبيب، وحالة صفية التي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم صداقها عتقها(٤٩).

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تيسير متطلبات الزواج، وعدم التعنت في طلبات تثقل كاهل الزوج، ورويت عنه أقوال تبارك الزواج السمح الذي لا مغالاة فيه:

«اعظم النكاح بركة أيسره مؤونة»(٥٠) كما عدّ الزواج الذي يتم بمهور عالية بلا بركة(٥١).

وسار على هذا التسامح جيل كبير من الصحابة اهتدوا بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وفهموا أن الزواج تكافؤ، ورضى يتم حين تصدق النوايا، ويحسن الاختيار، فزوج الصحابي سعيد بن المسيب ابنته على درهمين، وأصدق عبدالرحمن ابن عوف امرأة من الأنصار ما مقداره خمسة دراهم. وقد ذكر أن امرأة من الأنصار خطبها رجل فأبت أن تتزوجه حتى يسلم - وكان مشركًا - وقالت إذا أسلم فهو صداقي، فكان صداقها إسلامه(٥٢). وهناك من كان لا يرضى إلا بالمهر القليل إذا ارتضى دين الرجل أو خلقه، فقد قيل: إن الحسن (لعله البصري) أراد أن يزوج ابنته من رجل فقيل عن حاله ويساره كيت وكيت، وله مئة ألف ما يحركه فقال: أما والله ما اجتمعت مئة ألف عند رجل إلا من ظلم، وأبي أن يزوجه. كما أنكر عبدالملك بن مروان مغالاة الاصبع بن عبدالعزيز بن مروان في إصداقه السيدة سكينة صداقا كثيراً لم تحدده الرواية محتجاً بحسبه الذي يقدمه بين يدي من يروم الزواج بها.

وقد حاول الخليفة عمر بن الخطاب تحديد المهور فخطب في الناس يومًا وقال: «لا تغلوا في صداق النساء، فإنه لو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله عزّ وجل كان أولاكم به النبي صلى الله عليه وسلم ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن الرجل ليغلي بصداق امرأته حتى تكون لها عداوة في نفسه»(٥٣). وفي هذا توجيه رائع لما يتركه التعنت في المغالاة بمتطلبات الزواج أو فرض المهور العالية من أثر نفسي عميق في نفسية الزوج حين يخضع لطلبات الزوجة أو أهلها قبل الزواج، فيظهر تعنته أو غضبه وحقده حين يتم الزواج. ويصدق هذا على أوضاع الأسر في المجتمع العربي الإسلامي في كل عصوره.

ومع وجود أحاديث وأخبار تحث على عدم المغالاة في المهور، ذُكِرَت أخبار أيضًا لمهور عالية(٥٤). وهناك روايات سوغت غلاء مهور بعض النساء الشريفات، فالسيدة فاطمة بنت الحسين بن علي خطبها الرجال بعد وفاة زوجها الحسن بن الحسن بن علي فاشترطت مهرًا تسد به دين زوجها المتوفى قائلة: على ابن عمي ألف ألف (ولا ندري أهي دينار أم درهم). فخطبها ابن عمرو بن عثمان، فاستكثر الصداق، فشاور عمر بن عبدالعزيز فقال: ابنة الحسين، وابنة فاطمة!! انتهزها. قال: فتزوجها على ألف ألف، ثم بعث بالصداق كاملاً فقضت دينها، ثم تزوجها(٥٥).

وعرفت السيدة عائشة بنت طلحة بغلاء مهورها، فقد تزوجها مصعب بن الزبير على ألف دينار، ثم تزوجها ابن عم لها، وهو عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي فأصدقها مئة ألف دينار(٥٦). وكان مهر أم حكيم بنت يحيى حين تزوجها الوليد بن عبدالملك أربعين ألف دينار(٥٧).

كان المجتمع يستسيغ خطبة الفتاة من نفسها، كما يبيح لها حرية المحادثة مع المتقدم لخطبتها لمعرفة أحواله ومؤهلاته مادام ذلك في حدود الأدب

وهناك أخبار وصفت الصداق الذي قدم لفتاة ما دون أن يذكر مقداره فقد ذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أصدق فتاة وكل أمرها إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدقها صداقًا وضعه الخليفة عمر في ردنه وقدمه للفتاة(٥٨).

أما الشعراء فقد اختلف ذكرهم للمهور، ومقاديرها اختلاف دوافع ذكروها في أشعارهم، فأوردوها من خلال معاني المديح أو الفخر أو الهجاء، ووظفوها توظيفًا لطيفًا مما سنورده هنا.

فخر وهجاء

فقد عيّر بعض الشعراء مهجويهم بقلة مهور نسائهم، وبالغوا في ذلك، فجعلوا نساءهم يظهرن من خلال صورة الهجاء بلا مكانة اجتماعية، ولا شرف يعتد به، وليس هناك من يحميهن من الأسر، لذا كنّى الشاعر عن هذه المكانة بالصداق، وأنهن يقعن أسيرات بأيدي الأعداء، فهن يدفعن إلى أزواجهن بلا مهور!!

تؤتى النساء مهورهن سياقة
ونساء سرق ما لهن مهور(٥٩)

كما عيّر جرير الأخطل بأن رجال قومه يقعون أسرى بأيدي الأعداء. وأن مهور نسائهم حقيرة جدًا؛ لأنهن يقعن أسيرات أيضًا فجعل مهر التغلبية فلسين.

والتغلبي على الجواد غنيمة
والتغلبية مهرها فلسان(٦٠)

ويشير الفرزدق إلى هذا أيضًا حين يهجو جريرًا بأن نساء قومه يتزوجن بمهور واطئة، فتساق المعزى إليهن، بينما تساق إلى غيرهن من الكريمات الخيول والهدايا، والعطايا، يقول:

تساق من المعزى مهور نسائهم
ومن شرط المعزى لهن مهور(٦١)

ويبالغ جرير أيضًا فيجعل صغار المعزى، والعليلات منهن مهر نساء مهجوه فيقول:

ترى قزم المعزى مهور نسائهم
وفي قزم المعزى لهن مهور(٦٢)

وعلى أية حال لا يصح مهر دون صداق، وإن كان قليلا وعن تراض، ولذلك هجا الفرزدق رجلاً بأنه لا يستطيع الزواج؛ لأنه لا يستطيع أن يقدم أي مهر، فإن شاء زواجًا بلا مهر فعليه بملازمة الصحراء المقفرة، ليتزوج من بنات الجن:

عليك الدوّ إن بمستواه
نساء الجن في البلد الرقاق
فتنكح ما اشتهيت بغير مهر
ولا عدوى عليك ولا صداق(٦٣)

ومقابل هذا فخر الشعراء بمهور بناتهن كناية عن علو مكانتهن، ومكانة آبائهن فجرير يمدح بني جعفر بأنهم يحمون نساءهم النجيبات اللاتي عرفن بغلاء مهورهن وهن محصنات في حماية فرسان أبطال:

فلا تأمنن الحي قيسًا فإنهم
بنو محصنات لم تدنس حجورها
ميامين خطارون يحمون نسوة
مناجيب تغلو في قريش مهورها(٦٤)

وبقدر ما يبالغ جرير في الحط من شأن أعدائه أو مهجويه بوصف مكانة نسائهن المنحطة يبالغ في وصف مهور نساء قومه، فهي تتجاوز المال إلى الهدايا والجواري:

سبعون والوصفاء مهر بناتنا
إذ مهر جعثن مثل حر البيذق(٦٥)

بينما نرى الفرزدق نفسه يفخر بإغلاء مهر إحدى زوجاته، وهي أعرابية، ويفضلها على زوجته النوار، ويرى أنها أحق بالمهر الغالي؛ لأنها عربية أصيلة، وليست كاللاتي ربين في حجور الموالي:

لجارية بين السليل عروقها
وبين أبي الصهباء من آل خالد
أحق بإغلاء المهور من التي
ربت وهي تنزو في حجور الولائد

وقد قيل: إن الفرزدق تزوجها على مئة ناقة، وإن الحجاج لامه في هذا المهر فأجابه: وهي في جود الأمير؟ يريد أن المئة ناقة لا تساوي شيئًا إزاء ما عرف به الحجاج من كرم وعطاء لمدوحيه، فتهتز أريحة الحجاج ويشتري الإبل ويجعل مهر الأعرابية من عطائه(٦٦).

وأشار الفرزدق إلى صداق حدراء زوجه الأعرابية هذه في أبيات أخرى يذكر المئة ناقة، مفتخراً بتقديمها وبمن قدمت لها فهو كفؤ لها:

فقالوا سمعنا أن حدراء زوجت
على مئة شم الذرا والغوارب
فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم
عليّ وأرمي بين ليلى وغالب
ولو تنكح الشمس النجوم بناتها
إذًا لنكحناهن قبل الكواكب(٦٧)
فنَلْ مثلها من مثلهم ثم لمهمُ
بمالك من مال مراح وعازبِ
هم زوجوا قبلي ضراراً وأنكحوا
لقيطًا وهم أكفاؤنا في المناسب

وقد عير إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري لأنه زوج ابنته على مهر مقداره عشرون ألف درهم، فقال مدافعاً عن نفسه؛ لأن هناك من زوج بناته لغير العرب، كما أن غيره عرفوا بحب المال وإكثار المهور قائلاً:

فما تركت عشرون ألفًا لقائل
مقالاً فلا تحفل مقالة لائم
فإن تك قد زوجت مولى فقد مضى
به سنة قبلي وحب الدراهم(٦٨)

وبين غلاء المهور أو قلتها وجدنا أبياتاً من الشعر تشير إلى رجل كان يزوج بناته، ويدفع صداقهن من ماله.

قال حمزة بن بيض يمدح بلال بن أبي بردة:

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي
توافق عند الأكرمين توامي
توافق عند المشتري الحمد بالندى
نفاق بنات الحارث بن هشام(٦٩)

فقيل له: وما بلغ من نفاق بنات الحارث قال: كان يزوجهن ويرسلهن ومهورهن إلى بعولتهن(٧٠).

وشكا بعض الشعراء من غلاء المهور، وربطوا بين ما يعانيه الجنود من الحاجة والجوع وما يتمتع به الأغنياء من كثرة الأموال والمغالاة في المهور بقول أنس بن زنيم مشيراً إلى زواج مصعب بن الزبير والصداق الذي قدمه للسيدة عائشة بنت طلحة موازناً ذلك بحالات الجنود بل سادات الجنود وشكواهم من الجوع:

بضع الفتاة بألف ألف كاملِ
وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي
وأبثه ما قد رأى لارتاعا(٧١)

فهو في البيت الثاني يشير إلى الخليفة عمر بن الخطاب وأنه لو كان حيًا لارتاع لسماعه خبر المغالاة بالمهور، وهو الذي حاول جاهداً أن يوجه المسلمين إلى تطبيق شريعة الله في التوسط في الأمور، والابتعاد عن المغالاة في المهور.

وورد في الأغاني أن البيتين وقبلهما بيت ثالث أرسلها الشاعر عبدالله بن همام السلولي(٧٢)، وأنها كانت أحد أسباب عزل مصعب عن العراق(٧٣).

حفلات الزواج

أما رسوم حفل الزواج فإن أخباره في العصر الجاهلي والقرن الأول الهجري من العصر الإسلامي أخبار قليلة نادرة، ولكنها قد تقدم لنا صورة فيها ملامح أو بدايات لرسوم تطورت

فيما بعد، مسايرة لتطور المجتمع ومازاد عليه من مظاهر الأبهة والتزين والبذخ.

كانت حفلات الزواج لا تتجاوز الوليمة البسيطة بنحر جزور أو شاة حسب قدرة الزوج وأهله، فقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أولَم يوم زواجه بالسيدة خديجة، وقيل: إنه نحر جزوراً أو جزرين وأطعم الناس(٧٤). وأنه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج «أولم ولو بشاة» وقد علق السيوطي على الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يولم لعلمه بحاله من الغنى، وأنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب حين تزوج ابنته(٧٥) السيدة فاطمة: «يا علي، لا بد للعرس من وليمة». كما ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أولم حين تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل(٧٦). ولم تذكر الروايات صفة هذه الولائم ولا مراسيمها، إنها تدل على أنها أصبحت ملازمة لإقامة

كانت الفتاة تخطب من أبيها أحياناً، وتصرح معظم الأخبار أن الآباء كانوا يشترطون موافقة بناتهن، ولهم في ذلك محاورات طريفة سجلتها كتب الأدب

الأعراس وهناك خبر يؤكد هذه الملازمة مضمونه أن الخليفة عمر بن الخطاب مرَّ على باب فشهد فيها زحاماً، وسمع بها جلبة، فسأل عن أصحابها، فعرف أنهم يقيمون مراسيم زواج فتساءل: أين مناخلكم؟(٧٧) كناية عن دهشته لعدم رؤية ما يدل على إقامتهم الوليمة أو تهيئهم لإقامتها.

ويطالب أعرابي بعد إعلانه نيابة عن قومه الموافقة على الزواج، يطالب بعد إلقائه خطبة موجزة أن يقدم الطعام إعلاناً لمراسيم الزواج قائلاً:

«أما بعد، فقد توسلت بحرمة، وذكرت حقاً، وعظمت عظيماً فحبلك موصول، وفرضك مقبول، وقد زوجناك إياها، وسلمناها لك. هاتوا خبيصكم»(٧٨). والخبيص، كما هو معلوم، ضرب من الحلوى يعمل من التمر والسمن.

ويبدو أن ولائم الزواج بدأت تتطور في العصر الأموي حتى وجدنا من يهيئ طعاماً خاصاً يقدم في الأعراس ينتظر من يأتي إليه، ويشتريه منه، فقد ذكر أن إسماعيل ابن يسار النسائي، وهو شاعر أدرك الدولة العباسية وأن أباه كان يهيئ طعام العرسات، ويجعله معداً أبداً، فمن طرقه وجده عنده(٧٩).

وهذا يدلنا على أن هناك من كان يقوم بتهيئة الطعام للأعراس، وهو أشبه ما يكون بمتعهد الحفلات في الوقت الحاضر، وقد ميزوا في تسمية أنواع طعام الولائم من خلال تسمياتها، فطعام الإملاك وليمة، وقيل هو النقيعة، وقيل طعام، وطعام الزفاف العُرس، وبعضهم أطلق عليه الوليمة أيضاً، وقد قال الشاعر في رواية يجمع فيها أنواع الولائم بدلالاتها المعنوية:

كل الطعام تشتهي ربيعة
الخرس والأعذار والنقيعة

ويروى العرس. أما الخرس فهو طعام النفاس، والنقيعة طعام القادم من السفر، والأعذار طعام الختان(٨٠).

ولم يرد في وصف مسيرة العرس أو زفاف العروس إلا اليسير في القرن الأول الهجري، ومردّ ذلك حتماً إلى بساطة رسوم الزفاف آنذاك قياساً إلى ما سيتطور إليه الحال في العصر العباسي، فمما ورد فيه هذا الوصف ما قاله خالد بن يزيد بن معاوية حين تزوج ابنة عبدالله بن جعفر واصفاً مسيرها: محاطة بأهلها المحملين على البغال الدهم والشهب، وأن العروس كانت مقنعة على حدج يحمله بغل «والحدج مركب من مراكب النساء ليس برحل ولا هودج»، يقول:

جاءت بها دهم البغال وشهبها
مقنعة في جوف حدج مخدَّر
وقابلة بين النبي محمد
وبين علي والحواري وجعفر(٨١)

أما النثار فهو لفظ له علاقة بمراسيم الزواج أو حفل الزواج تحديداً؛ لأنه يطلق على ما ينثر على رؤوس الناس في حفلات الأعراس وقد روى الجاحظ خبراً مضمونه أنه رأى خطبة سيد قوم لفتاة من أحياء العرب، وأنه وقف خاطباً معلناً الموافقة على الزواج، وبعد ذلك أمر فتيانه بقوله «هاتوا نثاركم»، فقلبوا على رؤوس الناس غرائر التمر(٨٢).

وإذا كان ما شهده الجاحظ من نثر غرائر التمر على رؤوس الناس مصوراً لرسم زواج في العصر العباسي إلا أنه تم في حي من أحياء العرب، فهو أقرب لمراسيم الزواج في البادية، ومن ثم

أقرب إلى الحياة في العصر الأموي، لأن البادية لم تتطور في كثير من معالم حياتها، بينما ظهر أثر التحضر والتطور في معالم الحياة في المدينة في العصر العباسي خاصة في بيوت الأثرياء من الأمراء والخلفاء والوزراء. ولنكتف بذكر خبر زواج مشهور في العصر العباسي ليوازن بما قدّمناه من مراسيم الزواج في العصر الأموي، وهو زواج الخليفة المأمون من بوران ابنة الحسن بن سهل، وأن أباها نثر ما لم ينثره قط ملك في جاهلية، ولا إسلام، إذ نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رق بأسماء ضياع وجوار، وأسماء ديار ودواب، وغير ذلك، فإذا وقعت البندقة بيد الرجل فتحها فيجدها على قدر حظه وسعده، ثم نثر بعد ذلك الدنانير والدراهم ونوافج(٨٣) المسك على عامة الناس. ويقال: إن الحسن بن سهل أنثر في ذلك العرس على المأمون ألف حبة جوهر(٨٤).

وإذا وازنا بين هذا النثار: المفرط في الغلو والإسراف، ونثار الأعرابي التمر على رؤوس الناس عرفنا ما يجلبه المال والرغبة في التظاهر به من مغالاة تكون غالباً مخالفة للدين والشرع لما يثيره ذلك من توقع رغبة بعض الناس في تقليده أو تقديم نثار له شأن بين يدي العروسين، كما أن هذه الموازنة تمثل أنموذجين لحفلي زواج واحد لأعرابي، وآخر لخليفة، وشتان بين ما يملكان من مال وجاه وسلطان بينما كانت مراسيم الزواج في العصر الأموي موائمة للحياة العربية في صفائها، وميلها إلى البساطة غالباً، موافقة في كثير من حالاتها لتوجيه الإسلام في عدم المغالاة في المهور أو تهيئة متطلبات الزواج، لأن الأصل في الزواج تآلف النفوس على المودة والإيمان والخير لتكوين عائلة مستقرة متآلفة تسهم في بناء المجتمع والأمة، وما هذه المراسيم المغالى فيها إلا مظاهر إن لم تؤثر سلباً في الحياة الزوجية فيما بعد، فهي تؤثر حتماً في المسيرة الاقتصادية للأمة.

المراجع والهوامش

١ـ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خطيب وشاعر فصيح توفي سنة ٩٠هـ. تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٢٣.
٢ـ الأغاني، ١٧/٣٤٤، والحماسة البصرية، ٢/٢٨٨/ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.
٣ـ ديوان جرير، ٢/٥٦٥.
٤ـ انظر العقد الفريد، ٦/٨٢، ١٠٠.
٥ـ انظر المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي، ١٥٠.
٦ـ الأغاني، ١٣/٧٠.
٧ـ نفسه، ٩/٣٣٤.
٨ـ نفسه، ١/٣٣٤.
٩ـ الأغاني، ١١/٢٦٤.
١٠ـ عيون الأخبار، ٤/١٤.
١١ـ العقد الفريد، ٦/٩٨.
١٢ـ الحدائق الغناء، ٨٦.
١٣ـ العقد الفريد، ١/٨٧.
١٤ـ المردفات من قريش المدائني ضمن نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، المجموعة الأولى، ٥٦.
١٥ـ نفسه، ٧٤، وانظر أخبار النساء، ابن القيم الجوزية، ٧٤.
١٦ـ الأغاني، ١/٨٧.
١٧ـ عيون الأخبار، ٤/١٧.
١٨ـ الأغاني، ١١/٣٢٠.
١٩ـ العقد الفريد، ٣/٤٧٣.
٢٠ـ نفسه، ٤/٩٩.
٢١ـ الأغاني، ٩/١١، ١٣/١٣٨.
٢٢ـ الأغاني، ١١/٣٢٠.
٢٣ـ الأغاني، ١٥/٣٣١.
٢٤ـ ربيع الأبرار، الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي، ٤/٢٨١.
٢٥ـ العقد الفريد، ٦/٨٣.
٢٦ـ العقد الفريد، ٦/٨٤.
٢٧ـ نفسه، ٦/٨٧.
٢٨ـ نفسه، ٦/٨٨.
٢٩ـ نفسه، ٦/١٠٥.
٣٠ـ نفسه، ٨/٢.
٣١ـ المرجع السابق.
٣٢ـ الأغاني، ٤/٢٧٠.
٣٣ـ الأغاني، ١١/١٨.
٣٤ـ العقد، الفريد، ٦/١٠٢.
٣٥ـ الأغاني، ١١/٧٩، أو ينظر أخبار النساء، ٤١١.
٣٦ـ عيون الأخبار، ٤/٤٧.
٣٧ـ العقد الفريد، ٦/١١٥.
٣٨ـ العقد الفريد، ٦/٨٣.
٣٩ـ عيون الأخبار، ٤/٧٤.
٤٠ـ عيون الأخبار، ٣/٦٩.
٤١ـ البيان والتبيين، ١/١١٨.
٤٢، ٤٣ـ البيان والتبيين، ١/١١٧.
٤٤ـ عيون الأخبار، ٤/٧١، وربيع الأبرار، ٤/٢٨٨.
٤٥ـ عيون الأخبار، ٤/٧١، وانظر عيون المهور عبر التاريخ، د. بدري محمد فهد، مستل من مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٨م، ص٤٧٥.
٤٦ـ سنن النسائي، ٥/١١٣، وصفوة الأحكام، ٦٧، وانظر المهور في التاريخ، ٧٨.
٤٧ـ السيرة النبوية، ١/١٩٠.
٤٨ـ الطبقات الكبرى، ٨/٨٢، الطبعة الأوربية.
٤٩ـ انظر المهور عبر التاريخ، ٤٧٧.
٥٠ ـ عيون الأخبار ٤/٧١.
٥١ ، ٥٢ ـ نفسه، وانظر المهور عبر التاريخ ٤٧٨.
٥٣ـ المهور عبر التاريخ ٤٧٩.
٥٤ـ انظر مثلاً عيون الأخبار، ٤/٧٤، وربيع الأبرار ٤/٢٩٣.
٥٥ـ الحدائق الغناء، ١٣٣.
٥٦ـ الحدائق الغناء، ٦١، والأغاني ٨/١٨١.
٥٧ـ ربيع الأبرار، ٨/٢٨٨٢.
٥٨ـ الأغاني، ١/٨٤.
٥٩ـ ديوان جرير، تحقيق نعمان أمين طه، ٢/٣٦٧.
٦٠ـ نقائض جرير والأخطل، ٢٠٧.
٦١، ٦٢ ـ ديوانه، وانظر الحياة الاجتماعية في الشعر الأموي، ٣٢.
٦٣ ـ ديوان الفرزدق، ٢/٥٨٥، وانظر الحياة الاجتماعية، ٣٢.
٦٤ـ ديوان جرير، ٢/٨٨٠.
٦٥ـ نفسه، ٢/٩٣٧.
٦٦ـ الأغاني، ٩/٢٣٢.
٦٧ـ ديوانه، ١/١١٢.
٦٨ـ عيون الأخبار، ٤/١٦.
٦٩ـ ربيع الأبرار، ٤/٢٨٣.
٧٠ـ عيون الأخبار، ٤/١٦.
٧١ـ المردفات من قريش، /٧.
٧٢ـ الأغاني، ٣/٣٥٦ دار الثقافة، الطبعة الرابعة.
٧٣ـ انظر حياة الشعر في الكوفة، ٤٩٥.
٧٤ـ إنسان العيون، ١/١٥٤.
٧٥ـ انظر المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي، ص٣٣.
٧٦ـ المردفات، ٦٣.
٧٧ـ ربيع الأبرار، ٤/٢٨٠.
٧٨ـ عيون الأخبار، ٢/٧٥.
٧٩ـ الأغاني، ٤/٤٠٨.
٨٠ـ أمالي الشريف المرتضي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/٣٥٦.
٨١ـ الأغاني، ١٧/٣٤٧، ولسان العرب مادة (حرج).
٨٢ـ عيون الأخبار، ٤/٧٤.
٨٣ـ نوافج جمع نافجة، وهي وعاء مسك.
٨٤ـ انظر تفصيلات هذا الزواج في المهور عبر التاريخ مستل ٤٨٤.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٩)

جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ـ يوليو ـ أغسطس ٢٠٠١م

الفائز الأول: **عبدالحكيم عبده محمد عبدالله ـ صنعاء ـ اليمن.**
الفائز الثاني: **إبراهيم صبحي الناطور ـ دمشق ـ سورية.**
الفائز الثالث: **عمر محمد علي عوكل ـ عمان ـ الأردن.**
الفائز الرابع: **محمد أحمد عويس علي ـ القاهرة ـ مصر.**
الفائز الخامس: **عبدالسلام عبدالله محمد ـ الرياض ـ السعودية.**
الفائز السادس: **لواحظ عبدالفتاح علي بهنسي ـ دمنهور ـ مصر.**
الفائز السابع: **بهاء الدين محمد علي ـ دقهلية ـ مصر**
الفائز الثامن: **محمد شكري التريكي ـ المروج ـ تونس.**

حل مسابقة العدد (٢٩٩)

١ـ ابن النديم: وراق عربي أشهر آثاره كتاب «الفهرست»

٢ـ **قد يُدرك المتأني بعض حاجته**
وقد يكون مع المستعجل الزلَلَ

قائل البيت: القطامي التغلبي.

٣ـ الديوبتومتر: مقياس الانكسار العيني.

٤ـ المندولين: آلة موسيقية شبيهة بالعود.

٥ـ أعمدة الرجاجيل: آثار شهيرة في محافظة الجوف شمال السعودية.

أسئلة مسابقة العدد ٣٠٢

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:

وتلفتت عيني، فمذ خفيت عني الطلول تلفّت القلبُ؟

☐ الشريف الرضيّ ☐ عمر بن أبي ربيعة.

(٢) الروكوكو: ☐ أسلوب في التزيين وفن العمارة يتميز بالزخرفة البالغة. راج في النصف الأول من القرن الـ ١٨

☐ حديقة منشأة بين الصخور، أو مزخرفة بالصخور.

(٣) الاستريوغرافيا: ☐ فن توزيع الأصوات الموسيقية وضبطها ☐ فن تصوير الأجسام الصلبة على سطحٍ مستوٍ.

(٤) «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» كتاب شهير من تأليف: ☐ أبي عبدالله محمد الإدريسي ☐ ابن بطوطة.

(٥) سبارتاكوس: ☐ عبد روماني تزعم ثورة قام بها العبيد ضد روما

☐ فيلسوف يوناني. قال: إن الماء أصل الأشياء كلها.

الاسم: .... **المدينة:** .... **ص.ب:** .... **هاتف:** ....

العنوان: .... **الدولة:** .... **الرمز البريدي:** .... **ناسوخ:** ....

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



رُنْدة
بلد السهول الخُضر

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
الرياض ـ السعودية



أحسن إليَّ غاية الإحسان صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أحسن الله إليه في الرحلتين الأندلسيتين، وسيعقبهما إن شاء الله رحلات حتى أستوفي البلدان الأندلسية.. وبمقدار غيابي الممتع عند المشاهد والآثار يعتور ذلك انقباض واختناق من ذلك الوجود العربي الإسلامي في هذا الخصب الإسباني الذي أصبح في خبر كان.. وهو لم يكن في خبر كان على استحياء، بل بصوت جهوري يملأ الفم، وينعش الروح، ويُفَتِّق العقل، ويُنْطق الأعجم.. وتجربتي قراءةً ورحلةً: أن حضورنا العربي الإسلامي في الأندلس يقوم في معظمه على التاريخ المدوَّن من مطبوع ومخطوط وما يُحتمل اكتشافه من تراث مفقود، ثم يلي ذلك المآثر العمرانية الباقية، والطبيعة الماثلة التي هي ظرف مكاني لوجودنا التاريخي.

ومهما كانت آثارنا المدوَّنة المفقودة من الكثرة إلا أن الراجح أن الباقي من مطبوع ومخطوط أكثر؛ بدليل المقارنة من كتب الفهارس والتراجم، وبدليل أن المفقود سيكون منه كثير من المنقول في المصادر المطبوعة والمخطوطة.. وبعكس ذلك المآثر المادية فالمفقود أكثر وإن بقيت الآثار الكبرى في مثل قرطبة وإشبيلية.. والبرهان على ذلك أن آلاف المساجد لم يبق منها أثارة، ولكن القاعدة الأغلبية: (١) أن كل كنيسة أثرية في حي عربي فهي على أنقاض مسجد، والكاتدرائية على أنقاض جامع.. وقل مثل ذلك عن آلاف البيوت والقصور، ومئات المكتبات والحصون.. خذ مثال ذلك مدينة رُندة من قواعد الأندلس لم نجد بها سوى مئذنة واحدة مُرَمَّمة.. وقد بقيت الآثار الكبرى مصدر اعتزاز إسباني وطني وإن كانَ صُنَّاع المجد عرباً مسلمين؛ لأن الانتصار على ذلك التاريخ، واحتضانه من جانبه الحضاري من اعتزاز الغالب.. كما أن زيارة الآثار مصدر رزق سياحي؛ لهذا نشطوا لإبراز بعض الآثار، والباقي طُمس بالبنيان الجديد، وكنت أشرتُ في رحلتي السابقة إلى أن بعض الآثار والحفريات اكتُشف في بعض المنازل التي انتزعت ملكيتها.

قراءة محاكمة

ومهما كان عند الزائر من لغة أجنبية - ولاسيما الإسبانية والبرتغالية -، ومهما كان عنده من إلمام بالتاريخ الأندلسي: فستظل زيارته للباقي من الآثار عنصراً مساعداً من أجل تصور المقروء، وإنما يتكامل التاريخ الأندلسي من القراءة المحاكمة لما كتبه العرب وما كتبه مؤرخو إسبانيا والبرتغال والرحَّالون قبل طمس المعالم.

قال أبو عبد الرحمن: وعيب رحلتي الأندلسية - إضافة إلى أنها سنوية أقل من أسبوع - أنني لا أتمكن من الاتصال بالجغرافيين والمؤرخين الإسبان في كل بلد؛ للتأريخ للمتغيرات العمرانية والثوابت المشاهدة، ولكنني أُعوِّض عن ذلك برحلات من فعلوا ما فاتني من أمثال عمدة المتأخرين في ريادة الدراسات الأندلسية الأستاذ محمد عبد الله عنان (٢)، وإفادة المراكز، والمصورات والخرائط، والدراسات المدونة للعرب والأجانب.

ومع ضرورة الاطلاع على دراسة الأجانب للمعادلة بين مأثورنا، إلا أن التحيز ضد أمتنا نجده في الأمور الماثلة؛ فلا بد من تصنيف مؤرخي الأجانب ما بين متحيِّز ضدنا بغير حق، ومتعاطف معنا بمبالغة، ومحايد؛ فمن المتحيزين جيمس دكي (يعقوب زكي) في كلامه عن الحديقة الأندلسية.. يقول: «أما البيت ذو الصحن الداخلي، وهو الشكل المعماري الذي يضغط مفهوم الحديقة، ويعطيه الشكل النمطي، فلم يدخل إلى إسبانيا عن طريق العرب، بل كان هو الشكل المعتاد في شبه الجزيرة الأيبيرية.. وهو شكل وجد العرب أنه يناسب ذائقتهم» (٣).

قال أبو عبدالرحمن: الذائقة العربية تُبدع أحياناً، وتصطفي أحياناً، وتُهذِّب أحياناً، وتُبقي الشيء على وضعه أحياناً.. ولكن لابد في مثل نص دكي من برهان على وضع الحديقة قبل الوجود العربي، ولابد من مقارنة بالحدائق والبيوت في بلاد العرب الأخرى أيام مجدهم الحضاري.

وأعود إلى ما أسلفته عن اجتماع المتعة والتأزم في نفس الزائر العربي، ولا تناقض في ذلك؛ لأن لكلٍّ من المتعة والتأزم وجوداً في أدغال النفس البشرية في آن واحد.. أما المتعة فمعروفة جلية في عظمة تاريخنا الجهوري.. نعم جاؤوا عرباً مجاهدين صقلت بداوتهم وعنصرهم الكريم مرحمة الإسلام ورحابته، ثم كانوا صنَّاع حضارة لم تخطر ببال الأمم



الكاتب يدون بعض مشاهداته في مطعم بعد قرية مونيبانو في طريق إشبيلية في أثناء السفر إلى العاصمة البرتغالية لشبونة



مئذنة بميدان شارع سان أنطونيو ملاصقة لمنزل حديث ، وقد قامت المنازل على أنقاض المسجد

التي لا تتصورهم سوى بُداة جهلة.. مع أن دخولهم معجزة على تنائي ديار الخلافة وقواعد المدد، وصعوبة التضاريس.. وإن من يُحلّق على جو مالقة (مَلَقَة الآن)، ويرى سلسلة الجبال، ووعورة الثنايا والمسالك ليعجب من بأس هؤلاء المجاهدين.. على أن تمام متعة الرحالة لا تتم إلا بسلوك جادّة الفاتحين، ومسالك الذاهبين والآيبين على الدواب، وفي هذا اليوم صعوبة بإطلاق، ومع الصعوبة فقد لا تتوافر الخرائط لكل المسالك، وقد يكون كثير من تلك المسالك ذُلل بآليات العصر الباهرة.. وأما التأزم فمن ضياع خير الإسلام العميم في تلك الأصقاع.. يمثله عقيدة وعملاً ذوو العمائم والوجوه العريضة الملتحية المباركة !!.

خلائق معدومة

إن أكثر السحنات والملامح - كما يقولون - عربية، ولكن الصفاء العربي والبيوت المفتوحة للضيف والصديق والجار والقريب خلائق معدومة.. تجد عجوزين يتباريان إلى المطعم تهزهما الريح في أرذل العمر وفي المدينة الأولاد والحفدة والأسباط والعشيرة لا أحد يهتم بأحد.. ترى الطفل مدللاً بين والديه فإذا بلغ السادسة عشرة - وبالأكثر الثامنة عشرة - أخرج من بيته، وأصبح مخلوقاً آخر غريباً، وليس في قاموسهم بر وعقوق، وحقوق ضيف وعانٍ وجار، وزكاة وصدقة، ونفقة على من يعول، وعاقلة ؟!!.. وأما مسألة الملامح العربية فمؤكدة على الرغم من آلاف العرب الذين ماتوا في المعارك، وعشرات الألوف التي قُتلت صبراً وتعذيباً بمحاكم التفتيش، وعلى الرغم من عشرات الألوف التي فرّت إلى المغرب (٤)؛ لأن التلقيح العربي بدأ منذ الفتح للأندلس من فعل المُجَّان، ولأن عشرات الألوف بقيت: ما بين ماجن تنصّر طوعاً، وآخر تنصر ودُجِّن مُكْرهاً، ومخفٍ لدينه عرف فيما بعد بالموريسكي.

إعجاب وجبر خاطر

لم أر من مالقة في كلتا الرحلتين سوى مطارها، وكان النزول في ماربية بفندق بونتي رومانو (الجسر الروماني)، كما أن ماربية تعني البحر الجميل، وهي من ضواحي مالقة.. وفي هذه الرحلة خرجت مع زميليّ الدكتور فواز كيالي والرائد أبي نايف غازي بن نايف العتيبي من صالة الفندق إلى باحته - بعد أن أكرمنا صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بتواضعه الجم بزيارته ورفاقه الكرام - للبحث عن العشاء، وبينما كان فواز يبحث لنا عن مقعد رومانسي دعتني سيدة للجلوس، فأكثرت التحدث معي، وليس عندي غير هز الرأس؛ لأنني لا أفقه شيئاً من لغة القوم، فدعوت الدكتور ليترجم لي ما تقول؛ فإذا هي تبدي الإعجاب بكهيل حمّر الحناء رأسه وذقنه، ولا يزال بزيه العربي، واسمها ماريا من بلد سلمنكية التي هي طلمنكة بلد الشيخ أحمد بن محمد الطلمنكي شيخ الإمام أبي محمد بن حزم رحمهما الله.. وقد بلغتْ سن الإياس، وليس عليها أدنى أثارة من مسحات الجمال؛ فغلبني الطبع العربي؛ فدعوتها للعشاء؛ فلبّت الطلب، وأبدت سعادتها.. وكانت عيناها ترمقاني لا

تُغمضان، وشرحت لنا حياتها، وأن زوجها متوفًى، وأنها من أسرة محافظة، وأنها صاحبة أملاك، ووصفتني كثيراً بأنني رومانسي؛ فجبرت خاطرها (حسب طلبها) بأشعار عربية وزجلية يترجمها لها فواز منها:

والنرجس النعسان بلَّله الندى
فأضاء مثل الدمع في عينيك

ومنها قول ابن الرومي:

ويْلاهُ إنْ هي أقبلت أو أدبرت
وقعُ السهام ونزعهنَّ أليمُ

ومنها قول الزاجل:

مِشْ هاينْ أودَّعك
وأشوفك واسمعك
يا هي وحْدة من الاثنين
يا تاخذني يا ارجِّعك

وياليتني لم أفعل؛ لأنها ازدادت تعلقًا، وأعطتني من العمر خمسين عامًا؛ فأردتُ إبعادها بإخبارها بالواقع، وقلت: إن عمري ثلاثة وستون عاماً.. فاعترفت على استحياء بأن عمرها خمسة وخمسون عامًا؛ فتذكرت قول أحدهم - وأظنه الأخطل الصغير، وقد نقض التغزل وأوجع، ووصف المبسم والوجنات بالقطوب والجروح والثقوب:

ياعجوزًا تتصابى
رحم الله الشبابا

وأبلغ من ذلك قول إيليا أبوماضي في فندق.. إلا أن صويحباته عجائز لا عجوز واحدة:

لِمَنْ يضوعُ العبيرْ؟
لِمَنْ تغنِّي الطيورْ؟
لمَنْ تصفُ القناني؟
لِمَنْ تصبُّ الخمورْ؟
ولا جمالٌ أنيقٌ
ولا شبابٌ نضيرْ
بل مومياتٌ عليها
أطالسٌ وحريرْ
راحتْ تقعقعُ حولي
فكادَ عقلي يطيرْ

ولاذَ قلبي بصدري
كأنَّهُ عصفورْ
لاحتْ له في الأعالي
بواشقٌ وصقورْ
وقالَ: ضُويِقْتَ فاهربْ!
قلتُ: الفرارُ عسيرْ

ما لي جَناحٌ ولا لي
سيَّارةٌ أو بعيرْ
صبراً فهذا بلاءٌ
مقدَّرٌ مسطورْ
ورحتُ أسألُ ربي
وهوَ اللطيفُ الخبيرْ



مشهد لجمال الطبيعة وتنوعها في رندة



أينَ الحسانُ الصبايا
إنْ كـانَ هذا النشـورُ؟
ليتَ الحضورَ غيـابٌ
والغائبينَ حضورُ
بل ليتَ كـلَّ نسيـج
براقـعٌ وستـورُ

فقـد أضـرَّ وآذى
عينـيَّ هـذا السفورُ
هذي العصورُ الخوالي
تطـوفُ بـي وتـدورُ
مـن كلِّ شمطاء ولَّى
شبابُهـا والغـرورُ

كـأنمـا الفـمُ منهـا
مقطَّـبٌ مـزرورُ
كيسٌ على غير شيءٍ
من الحِلَى مصـرورُ
كأنمـا هـوَ جـرحٌ
مرَّت عليه شهـورُ

يا طالبَ الشهدِ أقْصِرْ
لم يبقَ إلا القفيرْ

كأنما الوجهُ منها
قد عضَّهُ الزمهريرْ

كالبدرِ حينَ تراهُ
بِعينِكَ «الناظورْ»

تبدو لِعينَيْكَ فيهِ
برازخٌ وبحورٌ

وأنجدٌ ووهادٌ
لكنَّهُ مهجورٌ!

مثلُ المسَنِّ ولكنْ
لا ماءَ فيه يمورْ

ما للبعوضةِ فيهِ
قوتٌ بلِ التضويرُ

ولا يؤثِّرُ فيهِ
نابٌ ولا أظفورُ

ولليدين ارتعاش
وللعظام صرير

أما العيونُ فغارتْ
ولا تزالُ تغورْ

مغاورٌ، بل صحارى
بل أكهفٌ، بل قبورْ

والخصرُ؟ عفوًا وصفحًا!
كانتْ لهنَّ خصورُ!



ساحة إسبانيا (بلازا دي إسبانيا) التي يتوسطها تمثال ريوس روساس، وهو على أنقاض من الأحياء العربية القديمة



أحد شوارع رندة، حيث المنازل قليلة الارتفاع

هنَّ السَّعالي ولكنْ
سَعالهنَّ كثيرُ

حديثهنَّ انتفاضٌ
وضحكهنَّ هريرُ

ومشيهنَّ ارتباكٌ
وتارةً تقديرُ

يغضبنَ إنْ مالَ ظلٌّ
وإنْ شدا شحرورُ

وإنْ تهادتْ غصونٌ
وإنْ تسَارى عبيرُ

وإنْ تمايلَ عشبٌ
وإنْ تماوجَ نورُ

فكل شيءٍ قبيحٌ
وكلُّ شيءٍ حقيرُ

وكيفَ يفرحُ قلبٌ
رجاؤهُ مدحورُ؟

ما للرمادِ لهيبٌ
ما للجليدِ خريرُ

من حولهنَّ الأقاحي
والوردُ والمنثورُ

وهنَّ مكتئباتٌ
كأنهنَّ صخورُ

لا يبتسمنَ لشيءٍ
أما لهنَّ ثغورُ؟

بلى.. لهنَّ ثغورٌ
وإنَّما لا شعورَا!

كأنَّما الحسنُ في الأرضِ
كلُّه تزويرُ

في فندقٍ أنا أم في
جهنَّمٍ محشورُ؟

وهل أنا فيه ضيفٌ
لساعةٍ أم أسيرُ

ليتني لم أزرْهُ
وليتَهُ مهجورُ

فليسَ يهنأُ فيهِ
إلا الأصمُّ الضريرُ(٥).

الحب والغفران

وألحت عجوزنا علينا بالمشي أكيالاً على الشاطئ، ودارت بنا في فندق آخر، وأطالت الشرح عن قانون اللاقنون، وهو



منازل رندة لها طابعها المميز وخلفها تبدو سلسلة من الجبال

العيب الشديد لمن تعشق أكثر من واحد !!.. وبالدبلوماسية والحنكة تخلصت من حبائلها، فودعتني بقبلات مسحتها بوضوء على عجل.. إلا أنها أحسنت إلينا برياضة المشي في جو شاعري - مكاناً لا أناساً - على الرغم من أننا مجهدون.

ومن عجيب أمنياتها التي أبدتها لنا: أنها لا تسأل ربها غير الصحة، والمصاري، والحب !!.. والمصاري الريالات بلغة الدكتور فواز، ويدخل في الحب كل مقدماته ومصاحباته من الموسيقى الغربية الصاخبة، وتقاطيع الغناء المشبهة للمواء.. إلى جميع أنواع الخمور.. فعجبت لقوم لا يحملون شيئاً من هموم الآخرة !!.. وأضفت لها هماً رابعاً وهو رضى الله بالطاعة وطلب «الغفران»؛ فعجبت، وقالت: لا علاقة للحب بالغفران !!.

في حصن تاج رندة

وفي الساعة الواحدة ظهراً من يوم السبت الموافق ١٤٢٢/٥/٢٨هـ (٢٠٠١/٨/١٨م) انطلقنا بالسيارة - يقودها عامي إسباني خلوق اسمه دييقوخيل كاراما بنتس - مشرقين من ماربية إلى ملقة (مالقة)، ثم تياسرنا شمالا إلى الغرب على طريق إشبيلية.. إلا أننا انعطفنا على اليسار غرباً إلى حصن تاج رندة، وهو على بعد ستين كيلا من ملقة، ورندة المدينة غرب ملقة مسامتة.. وطريقنا كما قال عنان: «تفصل بينهما - أي بين مالقة ورندة - منطقة تمتاز بوعورتها، وكثرة جبالها وآكامها، وقلة بسائطها ووديانها القفرة السحيقة.. وهي تكاد تخلو من الرقاع الخضراء إلا بعض غابات الزيتون المتناثرة هنا وهنالك، وتبدو البسائط قبل رندة بقليل.. ولكنها بسائط صفراء تخللها في الوقت نفسه منحدرات مدرَّجة، وكلها مغطاة بأشجار الزيتون، وليست بها أية زروع أخرى» (٦).

قال أبو عبدالرحمن: ورحلتاي السابقتان تحتاجان إلى معاودة مسبوقة بمعلومات وأدلاء ومرشدين ذوي خبرة تاريخية؛ بدليل أن بعض المعالم التاريخية التي اطلع عليها عنان لم أطلع عليها؛ لأن المرور بالمدينة سويعات لا إقامة أويمات، ولأننا نتصيد الأثر العربي بالخبرة المعمارية لمرافقي الدكتور فواز كيال لا بدلالة وإرشاد مسبقين من مؤرخ إسباني ومراكز تاريخية (٧).

لقد أسلفت أننا في صعود منذ غادرنا مالقة إلى أن صعدنا على حصن تاج رندة، وقد بني هذا الحصن على أصل روماني.. بدا لنا من أسفله أدراج (صدوع) تتدلى منها نباتات جبلية، وهو على قمة جبل ضمن جبال تحيط بسهل هو مدخل رندة العربية القديمة، وهذا الحصن شمال رندة، والسهل مخضر بأشجار الزيتون، والأشجار الجبلية غير المثمرة.. والحصن شرقي هذا السهل، وجسره على أصله العربي إلا أنه مرمم، ويمر به شارع معبد رئيس اسمه تنينتي كورو (أي النقيب كورو)..

وشمال الحصن فندق البَرَدُور (المحطة أو الاستراحة).

ولهذا السهل ميزة طبيعية، وهي ارتفاع الماء إلى ما يقرب من الجسر أيام الأمطار من ضغط الهواء ثم ينزل، وهكذا.

والمداخل العربية في السهل بادية للعيان، وقد سُميت أركو دي كريستو بمعنى (قوس المسيح عليه السلام).. والشارع



الجسر المطل على مدخل رندة (السهل الواقع شرق ساحة إسبانيا)، ويبدو الرائد غازي بن نايف العتيبي إلى جوار الكاتب

الرئيس المذكور آنفًا على الجانب الغربي لساحة إسبانيا (بلازا دي إسبانيا) يتوسطها تمثال الكاتب السياسي ريوس روساس مؤرخ بعام ١٨٧٨م.. ومن الأشياء المعروضة بدكاكين الميدان قطع برونزية، وجرار فخار؛ مما يدل على أن ذلك آثار تذكارية لمأثور الفخار العربي، وعمارة الديكور بالقطع البرونزية لتزيين المنازل.. وتمتد المدينة العربية إلى السور العربي شرقي الجسر أزيد من كيلومتر.. والسور من الحجارة المرصوصة ذات الأشكال الدائرية، وفوقه أبراج دفاعية ارتفاعها خمسة أمتار؛ فما بين السور والسهل هو مكان الأحياء العربية القديمة، وبجانب المدخل العربي للسور مدخل نصراني، وشمال السور الكاتدرائية الأثرية، وبيقين أنها على أنقاض جامع؛ فذلك هو القاعدة في كل كنيسة أثريّة داخل الأحياء العربية.. والمدينة على العموم سهول فيحاء تحيط بها الجبال الشاهقة، وهي خصيبة تسقيها مياه الجبال.. وشوارع المدينة الداخلية القديمة والجديدة كلها تقليد عربي ضيقًا وتعرجًا وسواقي وباحات.

قال أبو عبدالرحمن: ولم أجد مسجدًا واحدًا، وإنما وجدت مئذنة مُرمَّمَة بأعلى شارع سان أنطونيو.. وذلك العلوُ ميدانٌ صغير يتفرع منه شُويرع ينحدر إلى السهل المدخل المذكور



النظافة سمة لرندة



تآلف بين الطبيعة والمعمار، ومنظر لا يتكرر

آنفًا؛ فأول ما يقابلنا آبار محفورة تجتمع بها مياه السيول يسمونها منجم الملك العربي (لا مينا دلري مورو).. وأصل مورو من موريتانيا، وهي كلمة تحقير لا تفرّق بين العربي والإفريقي.. ومنها موريسكو.. أي هؤلاء القوم الذين أخفوا دينهم.. وريسك تعني المخاطرة مع الإخفاء.

وأول المنحدر قبيل الآبار متحف مقام على مبنى عربي ذي حديقة بالنظام العربي أيضاً.

والفوق عندهم أرِيبة، والتحت أباخو، وأرضية المنحدر بحص حجري مثبّتٌ بالأسمنت.. والبحص حصيات صغيرات براحة اليد متناسقة على شكل البلاط، وكل ما كان هكذا وهو حديث فهو تقليد عربي.. والمنحدر المذكور مرمم على أنقاض النظام العربي.. ويخترق السهل نهير به نقعٌ من الماء، وإنما يفيض من الأمطار اسمه قوادا بينه (وادي بينه) - واسمه عربياً وادي لبين - ينبع من جبال رندة الملبّة به قريباً ولا يتجاوز سهول رندة، وهم ينطقون الوادي باسمه العربي، ويعنون به النهر.. والألفاظ العربية بقيت بوضعها أو بتحوير، ولعل الله يجعل في العمر فسحة ونشاطاً، ويجعل في النشاط همة للتفقه في لغة الإسبان واستجلاء مأثورها العربي - وقد يكون منه العربي العامي؛ فهناك كتاب عامية الأندلس للزبيدي، وقد هذبه ورتبه ابن شهيد، وكنت أول من عرّف بهذا الأثر - في أحد كتبي (٨)، وكتاب الأمثال العامية في الأندلس جزءان حافلان، وهكذا أزجال ابن قزمان.. يقولون مثلاً: كرواسان(٩) (وهو خبز مشرب حليباً)؛ فأظن أنها تحريف قرصان.. ويقولون: مُخير بونيتا مسيسة.. أي امرأة جميلة ريانة؛ فلا أشك أن المسيسة من شد الشيء بقوة، فكأن امتلاء جلدها بالعافية والري شدٌّ له.

تضليل متعمد

ومن التحيز الإسباني الذي أسلفته تناول ف. كوريانتي لتأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية.. يقول مثلاً: «وثمة مأخذ ثانٍ على الدراسات المذكورة، وهو إهمالها عموماً لأصول الكلمات التي تبدو عربية في ظاهرها، وهذا ما يؤدي إلى



الوصـول إلى أنصاف الحـقائق.. إذ عـندما يقول كورومـيناس Corominas على سـبـيل المثـال: إن الـكلمـة الـقـشـتـاليـة Jabal (c)o`n، وهي ألواح خشـبية لتغطـية السطح: مشتـقة من العربية «جملون»: فهو على صواب بالطبع، لكن ذلك يولد لدينا الانطباع الزائف بأن هذه الكلمة أصـيلة في العربية، ولكن الحـقـيـقـة هي أن هذه الكلمـة دخلت العـربيـة مـن الآراميـة gamlón، وهي تصـغير لاسم الجـمل الذي يبدو أن سنامه هو الذي ولَّد ذلك الاسـتـعـمـال المجـازي.. كـمـا يؤيـد ذلك الكلمـة الآكادية (m) gamlu «قطعة من الخـشب ذات زوايا».. ومن الواضح أن المهتمين بفقه اللغـات الرومانسية أو اللغات الهندية (الأوروبية الغـربية) يصـعب عليهم الغوص فـي لغات ساميـة مثل الآراميـة أو العبـرية أو الحبشـية أو الأكادية.. فـضلاً عن الفـارسيـة أو القبطيـة أو البـربرية.. ولكن هذا الوضـع يجب أن يغرس فينا الشـعور بمحدودية إمكاناتنا كأفـراد (١٠)، ويحفزنا إلى القيـام بعمل جـمـاعي في دراسـة المهـاد الثقـافي واللغـوي الثري المعقد للغة العـربية ومكوناتها من طارئ وأصيل، إذا كنا نريد الوصـول إلى مـعلومات مـوثوقـة وشاملة حـول الكلمـات الغربية المنحدرة من أصل شرقي) (١١).

قال أبو عـبدالرحمن: هذا من التضـليل المتعمَّد في الانتـقال من التأثير اللـغوي العربي المباشر إلى التـداخل اللغوي المضلِّل (بصيغـة اسم الفاعل).. إن الجملون استعمال عربي، وبإبداع عـربي ـ وهو مـجاز أمـتنا الأدبي ـ، وبـاستـعـمـال لم يؤثر عن الإسبان قبل ذلك؛ فهذا هو التأثير الماثل المطلوب بحثه، وما عدا ذلك هروب وإمعـان في التثـاقف الهامشي؛ وعلى هذا فجـميع بحث كوريانتي يحتاج إلى معاودة خبير.

وعن هذا الهم اللغـوي قال الأسـتاذ مـحمـد لبيب البـتنوني: «ولغة الإسـبان الآن وإن كانت من اللغـات اللاتينية ترى فيـها كثيراً من الألفـاظ العربيـة بتحـريف يسيـر أو تصحـيف قليل، وكثـيراً مـا ترى الأسمـاء العربية منـتشرة في القـوم بشيء من هذا التـــحـــريف مـــثل NASSARE نصـــار، RABADANE رمضان، CALAF خلف.. وقد عقد الأستاذ العلامة أحمد زكي باشا بـاباً كثيـر الأهميـة في هذا الموضوع برحـلته «السـفر إلى المؤتمر».

وبالجملة، كل كـلمة عندهم مبـتدأة بأداة التعـريف (ال) فهي عـربيـة مـثل: القـاضي ALCALDE، القـائد، المنارة، الكرازة، الفـارس، الوادي الكبـيـر، الـروضـة، الأبيـار ALAVIARE، المحراب، الأنبـيق، الساقـية، الربض، القصر، ALCASARE، القنديل، الفندق، القصبة، المسجد، القميص، السروال.

ولقـد كنت أود أن أكـثـر لـك من هذه الأسـمـاء لولا أن ذلك يستدعي تحليلا في لغة القوم وأنا أجهلها، وجهلي بها حال بيني وبين معرفة كثير من شؤون البلاد في حاضرها وغابرها.. نعم كـان معي دليل يعـرف بعض الفـرنسيـة، ولكن الأدلاء هنا هم أشبـه النـاس في مهنتـهم بهؤلاء الذين تراهم على أبواب شـبرد والكونتينـنتال بمصر، وعلى مـدخل الكرنك وغيـره من هياكل

منظر عام يبين طبيعة رندة الواقعة فوق منطقة من الربا المرتفعة تحيط بها الأودية السحيقة والآكام العالية



الصعيد.. إلا أن الحكومة المصرية بدأت تهتم بشأن هذه الطائفة التي يسمونها تراجمة (١٢)، وأذكر أنها قررت عمل امتحانٍ لهم في مهنتهم الإرشادية إلى الآثار المصرية.. وحسناً فعلت» (١٣).

طلل وآثار

قال أبو عبدالرحمن: ومع ما في رحلتي من إضافات فلدى الأستاذ عنان ما يكمل بعض النقص.. قال: «وتتمتع رندة بموقع طبيعي رائع، فهي تقع فوق منطقة من الربا المرتفعة،



تستحق رندة وصف ابن بطوطة لها بأنها من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفاً

تحيط بها الوديان السحيقة والآكام العالية، يتخللها قليل من البسائط التي تنمو بها زروع ضئيلة، ويشقها من وسطها نهر وادي لبين Guadalebin، في مجرى عميق ينساب إلى بطن الوادي السحيق، وعليه قناطر ثلاث: الرومانية والعربية والحديثة. وقد وصف الرحالة ابن بطوطة مدينة رندة حينما زار الأندلس عام ١٣٥٠م بقوله: «وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفاً» (١٤).

قال أبو عبدالرحمن: كلام الأستاذ عن رندة حسب ما هو كائن الآن، أما سابقاً فهي بلد السهول الخضر كما أسلفت في عنواني، وكفاك من شواهدي نضوب نهرها الآن من جهة غربي حصن التاج.

وقال - وأكثره موافق لسياقي -: «وما زالت رندة - فضلاً عن طابعها الأندلسي -، تحتفظ بطائفة مهمة من الآثار الأندلسية، وفي مقدمة هذه الآثار أطلال قصبة رندة الشهيرة، وهي تقع فوق ربوة عالية تطل على الوادي السحيق، الذي يقع جنوب غرب المدينة وتظلله الآكام العالية.. ولم يبق اليوم من هذه الأطلال: سوى جزء من السور، وثلاث بوائك ضخمة، وبقايا أبراج دارسة.. وفي أسفل هذه المجموعة من الأطلال يقع عقد باب من أبواب القصبة، وقد كان موقع قصبة رندة فيما يبدو وعراً جداً، والظاهر أنها كانت تمتد إلى مسافة كبيرة على حافة الهاوية. وقد ذكر لي الأستاذ الأب رمباؤو مدير معهد السلسيان الديني القريب من هذه الأطلال أن أسوار المدينة القديمة كانت تمتد من القصبة، وأن هذا المعهد قد بُني فوق أنقاض فناء القصبة، وما زال يسمى حتى اليوم «الحصن» El Castillo تنويهاً بموقعه القديم.

وتقع الكنيسة العظمى المسماة Sta. Maria la Mayoi في طريق المدينة الجنوبي، على مقربة من الحصن، وهي أقدم كنائسها، وقد بني نصفها القديم - وهو الذي به الهيكل - في أواخر القرن الخامس عشر فوق موقع جامع رندة القديم، وأدمج (١٥) في بناء هذا القسم من أطلال الجامع أربع قباب عربية صغيرة ركبت في سقف الكنيسة، وهي ظاهرة وحيدة الطراز.. أما القسم الآخر من الكنيسة فهو حديث.



أشجار البرتقال تحيط بمبنى عتيق

والظاهر أن المدينة الأندلسية القديمة، كانت تقوم حول الكنيسة العظمى.. مبتدئة من جانب القصبة حتى منزل المركيز دي سالبتيرا الذي يجيء ذكره، وحتى القنطرة العربية المجاورة له، وأن أسوار رندة القديمة كانت تحيط بهذا القسم من المدينة.. أما القسم الحديث من المدينة فهو الممتد من عند مدخلها حتى القنطرة الحديثة.

والقنطرة العربية - وهي على صغرها - من أهم الآثار الأندلسية الباقية، وهي صخرية منيعة تقوم على النهر في منخفض عميق عند مدخل المدينة الغربي، وفي أضيق جزء من مجراه، وهي ذات عقد واحد رائع بالغ الارتفاع، والنهر يمر من تحتها بين صخور وعرة شاهقة.. وتقع على مقربة منها القنطرة الأخرى المسماة «بالقنطرة الجديدة» في وسط المدينة في امتداد الشارع الرئيس، وهي ذات عقدين كبيرين، وقد أنشئت في أواخر القرن الثامن عشر.

والحمامات العربية أطلال دارسة من حمامات أندلسية قديمة تقع في طرف رندة الجنوبي على مقربة من الكنيسة العظمى في بسيط منخفض.. وهي أربعة عقود متقابلة في صفين، يظللها سقف مُقبى ذو ثلاث بوائك، وتتخلله كُوات النور المعروفة، وإلى جانبها مكان البركة التي كانت تمد الحمامات بالماء، وتحتها الأسراب التي تستعمل للتصفية، وقد أضحى هذا الأثر في حالة خراب يخشى أن تؤدي إلى انهياره في المستقبل القريب؛ لأنه يقع في ملك خاص ولا يعنى بصيانته أحد.

وقد رأينا إلى جانب هذا الطلل عدة أحجار وأنقاض أثرية: بينها لوحة خشبية طويلة كتب عليها ما يأتي: «لا إلا إلا الله.. يا أيها المجلس الحمد لله فإنك الطالع».

وتقع المنارة اليتيمة في نهاية المدينة قبيل الكنيسة العظمى بقليل في ميدان صغير، وهي مربعة الشكل تقوم فوق الأرض مباشرة بين منزلين صغيرين، ويبلغ ارتفاعها نحو اثني عشر متراً فقط، ويوجد في وسطها في كل جانب من جوانبها الأربعة كوتان، وقد سدت الكوات في جانبين، وبقيت في الجانبين الآخرين تدل على أصلها الإسلامي، وعلى صفتها

جبال رندة وقد كستها الخضرة

كمئذنة (١٦) لمسجد صغير، وقد حول المسجد فيما بعد إلى كنيسة، واتخذت المئذنة برجاً للأجراس، ثم هدمت الكنيسة، وبقي البرج أو المئذنة القديمة.. والظاهر أنها ترجع إلى عصر الموحدين؛ إذ هي تشبه طراز مآذن عصرهم.. ومما يجدر ذكره أن جزءها الأعلى هو الذي غُيِّر وحوِّل إلى برج للأجراس، وبقي جزؤها الأسفل على بنائه الإسلامي.

وقصر الأمير أبي مالك أثر أندلسي مغربي رائع ما زالت خواصه ونقوشه الإسلامية باقية في أروع مظاهرها، وهو يعرف في رندة أيضاً باسم «منزل خيجانتي» Casa del Gigante، وهو اسم الأسرة التي تملكه، ويقع هذا المنزل في طرف المدينة الجنوبي على مقربة من الكنيسة العظمى في بعض الدروب الضيقة، وله فناء أندلسي رائع يزدان أحد جوانبه بستة عقود عربية، وقد زينت رؤوس أعمدتها بالزخارف العربية الجميلة، وفي بعض حناياه عقود رخامية، وعقود نوافذ صغيرة بها زخارف وكتابات عربية.. وتوجد بجوار الفناء قاعة نوم أندلسية ذات سقف خشبي مطعم



السور العربي غرب المدينة العربية، وفوقه الأبراج الدائرية

بالمقرنصات الجميلة، وفيها عقدان كبيران متقابلان قد غصا بالزخارف والكتابات العربية.. كذلك يوجد في أعلى جانبي القاعة كثير من النقوش الرخامية المتقطعة.. ومعظم هذه

شمال رُندة



أثر قديم يبدو فيه التأثر العربي واضحاً

الكتابات آيات قرآنية وأدعية وتحيات، ويوجد في وسط الفناء حوض ماء قديم مربع الشكل، وبالمنزل بئر تمده بالماء.. وينسب هذا المنزل إلى الأمير أبي مالك ولد السلطان أبي الحسن المريني.. ونحن نعرف أن ابن الأحمر ملك غرناطة، ونزل عن مدينة رندة وحصونها إلى بني مرين ملوك المغرب في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي؛ ثمناً لعونهم إياه ضد القشتاليين، وبقيت في أيديهم حيناً، وقد أقام الأمير أبو مالك برندة مدة من الوقت، والظاهر أنه أنشأ قصره المشار إليه في هذا الحين، واتخذه مقراً لإقامته.

ويرى بعض الأثريين من جهة أخرى: أن هذا المنزل كان ملكاً لأحد أكابر المغاربة ثم استولى عليه بعد الغزو النصراني بعض الحكام النصارى، وتعاقب في الملكية من بعده أعيان القشتاليين (١٧).

ومنزل الملك العربي حديث النشأة فخم بني على طراز شبه عربي، وهو يسمى منزل مندراجون Mondragón، ولا ندري لماذا سمي أيضاً بمنزل الملك العربي Casa del Rey Moro؛ لأنه بحداثة عهده لا يمكن أن يمت بصلة إلى العصر الإسلامي؟.. بيد أنه يوجد خلفه سلّم حجري سحيق يتكون من ٣٦٥ درجة، وينزل

إلى النهر الواقع وراء المنزل.. وهذا السلّم قديم العهد يرجع فيما يبدو إلى عصر بني مرين في رندة؛ لأن الملك العربي الذي ينسب المكان إليه ربما كان أيضاً الأمير أبا مالك المريني، وقد أحيط اكتشاف هذا السلّم بقصص وأساطير مغرقة، وربما كان تفسير نسبة هذا المنزل إلى الأمير المسلم أنه بني على أنقاض قصر إسلامي سابق.

ومنزل المركيز سالبتيرا يقع بعد منزل الملك العربي بقليل على مقربة من النهر، وهو قصر فخم ذو فناء أندلسي، تزينه من جوانبه الأربعة عقود أندلسية بديعة.

وباب المقابر Puerta de Almocobar يقع في حي سان فرنسسكو في طرف المدينة الجنوبي الشرقي على مقربة من الكنيسة العظمى، وهو ذو أربعة عقود عربية، ويوصف بأنه أحد الأبواب الثلاثة الرئيسة التي كانت مداخل رندة في العهد الإسلامي (١٨).

وقد رأينا قبيل رندة وعلى مقربة منها في الطريق إلى شريش طللاً كبيراً يتكون من عدة عقود. والظاهر أنه كان قنطرة رومانية قديمة» (١٩).

ورندة بضم الراء وسكون النون، وتنطق اليوم بلغة الإسبان رُوندا.

شيء من التاريخ

قال أبو عبدالرحمن: لم يصدق تصوير الشاعر ابن فاخر لرندة؛ لأن مشاعره كانت متوترة لا ترى في الجمال إلا مثل ما يتطعمه ذو فم مر مريض؛ ولهذا وصفه ابن سعيد: بأنه حصل له في رندة وحشة.. قال: «وأخبرني والدي موسى بن سعيد: أن أبا الفتح بن فاخر التونسي حدث له بها وحشة؛ فقال:

قُبْحاً لرُنْدة مثلما
قَبُحَتْ مطالعةُ الذنوبْ
بلدٌ عليه وحشةٌ
ما إن يفارقه القطوبْ
ما حلَّها أحدٌ فينْوي
[م م] بَعْد بَيْنٍ أن يَؤوبْ
لم آتِهَا عند الضحى
إلا وخُيِّل لي الغروبْ
أفْقٌ أغمُّ وساحةٌ
تَمْلأ القلوب من الكروبْ(٢٠)
لم يَجْرِ لي طَرْفٌ بها
إلا وعاجَلَهُ النُّكُوبْ» (٢١)

قال أبو عبدالرحمن: وقد ذكر صاعد بن أحمد - تلميذ الإمام ابن حزم -: أن الأندلس باليونانية إشبانيا - بالشين -؛ إذن الأندلس جميع إسبانيا، وهي الجزء الأكبر من شبه جزيرة إيبيريا، والقسم الآخر البرتغال.. إلا أن العرب المسلمين أطلقوا الأندلس على ما استولوا عليه من البرتغال أيضاً.. وعن موجز تاريخ شبه الجزيرة.. قال الأستاذ محمد لبيب البتنوني في رحلته عام ١٩٢٦م: «وأول ما يعرفه التاريخ من أمر إسبانيا أنها كانت مسكونة بالبسك أو الفندال قبل أن يلتجئوا إلى جبال (البرينات)(٢٢) ثم بالإيبيريين(٢٣) الذين قدموا من الجنوب.. وفي أواخر القرن الخامس قبل المسيح احتل الفينيقيون هذه البلاد.. ثم أتى من بعدهم اليونانيون والروديسيون، وأنشؤوا الثغور التي على البحر الأبيض مثل قادش ومالقة وغيرهما؛ مما كانت(٢٤) قواعد تجارية لهم يتبادلون فيها مع أهل البلاد ببضائع الشرق المعادن التي كان الأهالي يستخرجونها من أراضيها.. وفي سنة ٢٣٨ ق م بدأ القرطاجيون باحتلال النصف الجنوبي من إسبانيا، ثم بنوا مدينة برشلونة في شمال الساحل الشرقي، وكانوا


منازل حديثة وسط واحة خضراء

يسمونها مدينة برقة باسم القائد الفاتح BARCA الذي بناها، وبنوا في جنوبها قلعة قرطاجنة.. وفي سنة ٢١٩ ق م حاصر انيبال (هانيجل) مدينة ساجونت، وجرَّ ذلك إلى الحروب البونيقية الثانية.. وفي سنة ٢٠٤ ق م غزا الرومان إسبانيا وبنوا فيها مدينة إشبيلية، وما زالت تابعة لحكمهم إلى سنة ٤١٢م، وفيها استولى اتولف ملك القوط على برشلونة، وهو أول ملك قوطي بإسبانيا، وبقي القوط بهذه البلاد تارة مستقلين وأحياناً تابعين للرومان وقد الزموا الفندال (ومنهم أتت كلمة فاندالوس أو أندلس) أن ينحسروا إلى جبال البيرينات، ولا يزالون بها إلى الآن.. وقد وصل حكم القوط من العظمة مدة ملكهم أوريك إلى أن وصلت فتوحاته إلى نهر اللوار بفرنسا، ودخلت النصرانية إسبانيا في مدته، وبعد وفاته اضطربت أحوال الملكة إلى أن حكم الملك أتانا جيلد سنة ٥٥٤م وجعل طليطلة عاصمة له، واستولى بعده ولده ريكارد سنة ٥٨٦م، ففتح أبواب مملكته للقسوس، واعتنق المذهب الكاثوليكي، وحارب الرومان، وأجلاهم عن البلاد التي كانوا لا يزالون يحتلون منها الساحل الشرقي. ثم طرد اليهود من إسبانيا، وعاملهم معاملة قاسية.. وفي سنة ٧٠٩م انتخب رودريك (والعرب تسميه لذريق) ملكاً على البلاد، وفي مدته دخل العرب إسبانيا» (٢٥).

الهوامش

(١) قلتُ: «أغلبية»؛ لأن المسلمين أبقوا على معابد أهل الملل، وتركوا لهم حرية دينهم.

(٢) قال الأستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه «الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال» ص١٣ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط م المدني/ الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ - لما ذكر وشكر معونة دُور البلديات، ومكاتب السياحة، والمتاحف، والكنائس والأديار، ودُور المخطوطات -: «وكذلك إلى العلماء والأصدقاء الإسبان الذين لقيتهم واتصلت بهم خلال رحلاتي المتوالية؛ لما لقيت منهم جميعاً من ضروب المعاونة والمجاملة.. وأخص بالذكر منهم الأساتذة لويس سيكو دي لوثينا، وسبستيان لومبريرو بغرناطة، وفيلسك هرنانْدث بقرطبة، والدكتور بايبري بطرطوشة، والأستاذ كادينا بقسطلونة، والدكتور سارتاوو كاريرس بشاطبة، والدكتور بوسكيتس مولت بميورقة، والأب رمباؤو برندة، والسنيور خوان تمبوري أليارث بمالقة، وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم».

(٣) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ٢ / ١٤١٤ - بحث الحديقة الأندلسية - بتحرير الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي / مركز دراسات الوحدة العربية / الطبعة الأولى عام ١٩٩٨م.

(٤) قال أبو عبدالرحمن: تؤكد دراسات حديثة أن من العرب الفارين بدينهم من سبق إلى اكتشاف أمريكا مثل العربي المعروف بالخشخاش.

(٥) ديوان إيليا أبو ماضي ص٣٣٠ - ٣٣٣ دار العودة ببيروت.

(٦) الآثار الأندلسية الباقية ص٢٧١.

(٧) قال أبو عبدالرحمن: ولهذا فاتني الوقوف على قرية منت ليشم التي دفن بها الإمام ابن حزم.. على أن صاحب متحف في رندة حددها لنا بالخريطة من أعمال رندة، وأن اسمها منتيسة، وأنها على بعد عشرين كيلو متراً عن رندة؛ فوقفنا على المؤشر عليه فلم نجدها بهذا الاسم، ولم نجد بقربه ألبتة اسم منت ليشم أو ما يقرب منها، وسأجدها إن شاء الله في أعمال لبلة في رحلة قادمة.

(٨) انظر أيضاً السجل العلمي لندوة الأندلس ٤/٩٩ - ١٨٠ - بحث الأستاذ عبدالعزيز الساوري «زيادات لم تنشر في كتاب «إصلاح لحن العامة بالأندلس» - مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة / الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ. وقد طبع «التهذيب بمحكم الترتيب» بتحقيق الدكتور علي حسين البواب، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٢٠هـ، وهو الطبعة الأولى.

(٩) الصحيح أن كلمة كرواسان Croissant تعني الشعار الذي اتخذته الإمبراطورية العثمانية شعاراً لريادتها وهو الهلال، وهي كلمة دخلت اللغات اللاتينية في عام ١٦٨٩م بعد انتصار النصارى على الأتراك في فيينا (عاصمة النمسا)، وأطلقوها على هذا الخبز (الحلويات) الذي أخذ شكل الهلال (علم الأتراك المسلمين)، وهم يأكلونه في كل صباح احتفالاً بانتصارهم على الأتراك.

ويسمون الهلال الأحمر Croissant rouge مقابل croir rouge = الصليب الأحمر [د. محمد خير البقاعي].

(١٠) قال أبو عبدالرحمن: الصواب: بصفتنا أفراداً؛ لأن المراد الوصف المطابق لا التشبيه المقارب.

(١١) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ١/٧٣٩.

(١٢) قال أبو عبدالرحمن: عانيتُ هذا الهم مع مرشدة تذكر للسياح قصر الخليفة قبلة المسجد أيمن المحراب بمسجد قرطبة؛ فنبهتها - والمترجم الدكتور فواز الكيالي -: أن هذا مكان المقصورة التي أحدثها بنو أمية في المشرق، وليست هي القصر، وأن الإمام ابن حزم في المحلى ذكرها، وأوجب هدمها والتحام الصفوف في المسجد.. وعانيتُ ذلك في كنيسة بلشبونة أرادت المسؤولة تضليلنا بأن آثار المسجد خارجه حتى أكّدتُ لمرافقي أن الآثار الخارجية مكان الحمامات والبئر، وأن مكان المسؤولة هو الممر إلى المسجد، وأن الكنيسة هي المسجد نفسه.

(١٣) رحلة الأندلس ص٢٢١ نشر مكتبة الثقافة الدينية في بورسعيد ط دار المصري للطباعة بكفر الجبل.

(١٤) الآثار الأندلسية الباقية ص ٢٧٠: رحلة ابن بطوطة (القاهرة) ج٢ ص١٨٥.

(١٥) أدمج هاهنا لحن، وإنما الصواب دمج؛ لأنها متعدية من دون الهمزة.

(١٦) انظر التعليقة رقم ٩.

(١٧) مجلة الأندلس Al-Andalus (1944) p.472 [عنان].

(١٨) قال أبو عبدالرحمن: مع الأسف أننا مررنا بهذه المشاهد فلم تستوقف مرافقي الدكتور فواز مع حرصه على الآثار العربية.

(١٩) الآثار الأندلسية الباقية ص ٢٧٢ - ٢٧٧ باختصار قليل غير مُخِلّ.

(٢٠) سهّل همزة (تملأ) من أجل الوزن.

(٢١) المغرب في حلى المغرب ١/٣٣٤ / تحقيق الدكتور شوقي ضيف / دار المعارف بالقاهرة / الطبعة الثالثة عام ١٩١٨م، وانظر نفح الطيب للمقري ٤/١٣٢ - ١٣٣ تحقيق الدكتور إحسان عباس / دار صادر بيروت سنة ١٤٠٨هـ.

(٢٢) التي تعرف اليوم بجبال «البيرينيه» بين فرنسا وإسبانيا [البتنوني].

(٢٣) وبهم سميت شبه جزيرة أيبيريا [ابن عقيل].

(٢٤) الصواب أسلوبياً: مما جعلها، أو حتى كانت بدلاً «مما كانت» [ابن عقيل].

(٢٥) رحلة الأندلس ص ٢٣٦ - ٢٣٨.

أهمية الفن المسرحي في تعليم اللغة

الزبير مهداد
الناظور - المغرب

إن مشكلة اللغة العربية موضوع الساعة، وكل الساعات، وستظل هذه المشكلة مطروحة للنقاش الحيوي ما دمنا لم نفلح بعد في تشخيص أسباب التردي اللغوي وضعف استيعابنا لهذا الوعاء العلمي والحضاري، والتراجع في مسيرة نشره وبث محبته داخل النسيج الاجتماعي العربي وبين الأمم، في الوقت الذي نقف شاهدين مكتوفي الأيدي أمام الغزو الشنيع القوي للهجات غير الفصيحة واللغات الأوربية.

ففضلاً عما تمثله اللغة العربية من أهمية في التواصل الاجتماعي، وتعبيرها عن حاجات الناس وأفكارهم، ودورها في نموهم العقلي والوجداني والاجتماعي، فإن تقويتها ودعمها وبثها ونشرها يكتسي أهمية دينية وسياسية وحضارية واجتماعية.

والمؤسسة التعليمية من أهم المؤسسات الاجتماعية الفرعية الفاعلة في مجال نشر اللغة وتعميمها وتطويرها، وقد نيطت بها هذه المسؤولية منذ فجر الإسلام، من خلال مؤسسة المكتب الذي كان يتولى تحفيظ صبيان المسلمين القرآن الكريم، ويعلمهم اللغة العربية، ويدربهم على تهجية حروفها وكتابتها، وعلى استعمال أساليبها النثرية والشعرية من خلال تحفيظهم بعض الأبيات من عيون الشعر العربي وبعض المتون الدراسية، وتدريبهم على الخطابة وفنون الإلقاء، وغير ذلك مما يعد ضرورياً لامتلاك ناصية هذه اللغة المقدسة.

واستمر الحال على هذا الوضع عدة قرون متتالية، حتى اقتضت ضرورة التحديث والإصلاح ونشر التعليم وتعميمه تطوير أساليب تعليم اللغة العربية وتعليم سائر العلوم والفنون، فأسست المدارس الحديثة، وانتشرت في دول عربية شتى في أزمنة مختلفة، وظل المربون وعلماء اللغة والغيورون على هذه الأمة يناضلون في سبيل تطوير تعليم اللغة العربية حتى يتحسن مردود العمل التعليمي، ويتطور اللسان العربي، ويستجيب للمستجدات التي تعرفها الأمة العربية، وتثبيت مكانة اللغة العربية إلى جانب اللغات القوية بوصفها وسيطاً لنقل المعرفة والمعلومات، وتبادل الخطاب في ربوع البلاد العربية والإسلامية الممتدة عبر ثلاث قارات.

فمن وظائف المدرسة تعليم اللغة وتلقينها للمتعلمين حتى تكون وسيلتهم لاكتشاف القيم الحضارية الإسلامية والوطنية، والتفتح على البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعي والحقل الثقافي، ولإكساب شخصياتهم التوازن الوجداني، والفكري، وتذوق جمال الأشياء، وجمال الفعل الإنساني، وجمال الكلمة واللغة.



المسرح التربوي يعمق وعي الطالب وينمي قدراته على التعلم والتعبير

جهود تطوير تعليم اللغة العربية

اللغة ليست مجرد مادة دراسية فحسب، بل هي وسيلة لازمة لدراسة المواد الأخرى المقررة في المنهاج، والتمكن من اللغة يساعد المتعلم على التمكن من سائر المواد الأخرى التي يعتمد تحصيلها على القراءة والفهم، بينما يؤدي الضعف في تعلمها إلى العزوف عن القراءة والمشاركة، وإلى إضعاف عملية تواصل المعلم مع التلاميذ.

وقد بذلت جهود وطنية كثيرة عبر سنوات متتالية لتطوير التعليم عامة، وتحسين طرائق تدريس اللغة العربية على وجه الخصوص، أدت إلى تحسن ملموس في أساليب تعليم اللغة العربية وسائر المواد المقررة وطرائقها ووسائلها، وجاء ذلك نتيجة للتطور الحاصل في ميدان علوم التربية، ونتيجة البحوث الكثيرة في علم النفس التربوي وعلم النفس التطبيقي اللذين ظهرا وازدهرا في منتصف القرن الماضي.

منهجية تعليمها

تدريس اللغة العربية في مدارسنا يتوخى تحقيق عدد من الغايات منها:

- التواصل عن طريق اللغة كتابةً وقراءةً وتعبيرًا، وإغناء رصيد المتعلم الثقافي واللغوي ومساعدته على استثماره في المواقف المناسبة.

- تمكين المتعلم من التفتح على بيئته ومحيطه الاجتماعي وعلى الحياة وما تزخر به من أوجه النشاط، وإدراك مختلف القيم وتأصيلها في كيانه وشخصيته.

- المساهمة في إكساب المتعلم المعارف الضرورية، وتزويده بالخبرات التي تمكنه من الترقي الفكري واتخاذ المواقف.

ويتألف منهاج تعليم اللغة العربية من أربعة مكونات وهي: القراءة والكتابة والتعبير والقواعد، تختزل المهارات الضرورية لتعلم اللغة وهي (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة).

بنيت مناهج تعليم اللغة العربية القائمة في المدارس

العربية على أسس نفسية وتربوية (سيكولوجية وبيداغوجية)، ففي المستويات التعليمية الدنيا توخت المنهجية توفير الإطار اللغوي والطبيعي الذي يعيش فيه الطفل خلال سنتين كاملتين، يسمع ويردد ويحفظ ويتعامل باللغة بعفوية وبشكل طبيعي حتى يتمكن من استضمار النسق اللغوي.

وبعد ذلك وانطلاقا من السنة الثالثة أو الرابعة تنتقل هذه المنهجية إلى توعية الطفل باللغة فتصفها وتعرّفه قواعدها، وهذه المنهجية تؤسس على اتجاهين.

- اتجاه السيكولوجية السلوكية التي تعتمد على التكرار وعلى ربط المثير بالاستجابة.

- واتجاه السيكولوجية التكوينية التي تعتمد على إثارة النسق اللغوي الذي يتوفر عليه الطفل، وبممارسته يستطيع الطفل أن يحقق إنجازات لغوية(١).

والتقنيات التي تعرضها المنهجية في سبيل تعليم اللغة هي السماع والترديد، ثم الملاحظة والتعبير إلى جانب السماع والإجابة والدخول في الحوار، وهذه العمليات كلها يجب أن تمارس في المستويين: الأول والثاني، أي السنوات الدراسية الأربع الأولى من التعليم الأساسي دون احتساب مدة التعليم الأولى قبل المدرسي (الرياض) إذ يجب أن يتعود المتعلم هذه المهارات ضمن موضوعات تتصل بحياته في إطار عام حتى تضمن تعلماً سليماً وقوياً وثابتاً للغة، لذلك يجب التركيز في تطوير تعليم اللغة في هذين المستويين وتنشيطه وتجديده.

عيوب التعليم التلقيني

إن إتقان هذه المهارات يعتمد أساساً على قابلية الطفل للشعور بعمق، إلا أن ذلك غير متاح لمتعلمينا، لأن طرائق التعليم التلقينية تحرمهم من ذلك، ونتيجة غياب فرصة هذا الشعور في مدارسنا، فقد ظل تعليم اللغة العربية في مدارسنا متدهوراً، وخريجو مدارسنا، وإن كانوا يتقنون بعض مهارات القراءة والكتابة، لا يتقنون استعمال اللغة الفصيحة بالتلقائية المطلوبة. ولا يتقنون التحدث بطلاقة في واقع الاستعمال؛ لأن مناهج التعليم وطرائقه أهملت مهارات الاستماع والتعبير الشفهي، بل أهملت اللغة كلها بوصفها أداة تبليغ (تواصل) في الحياة عموماً(٢).

وعيب منهجية تعليم اللغة السائدة في مدارسنا أنها متأثرة بالنظرية السلوكية التي تعطي أهمية كبيرة لما يسمى بالتدرج اللغوي الذي يراعي خصوصيات اللغة من حيث البساطة والتعقيد، لا خصوصيات المتعلم وطبيعته واهتماماته وقابليته، والتعليم فيها يركز في تكوين العادات اللغوية لدى التلميذ بالاستعانة بقوانين التعلم السلوكية من مثير واستجابة ومكافأة وعقاب؛ فالعناية مركزة في المنهاج في التعليم بالدرجة الأولى، وتبدو مشكلات التعلم ثانوية، ذلك أن المتغير الرئيس في هذه الطرائق هو اللغة وطريقة التدريس، وليس التلميذ(٣).

الطرائق التعليمية السائدة في مدارسنا لا علاقة لها بأي نظرية علمية، ولا تؤسس لا على سلوكية ولا على غيرها، وإنما هي مجرد طرائق تبليغ تقليدية متوارثة

لا ننكر أن بناء منهاج تعليم اللغة على أساس النظرية السلوكية أو غيرها هو بحد ذاته تجديد تربوي، إلا أن الطرائق التعليمية السائدة في مدارسنا وداخل فصولنا الدراسية، يتبين، عند تحليلها، أنها لا علاقة لها بأي نظرية علمية، ولا تؤسس لا على سلوكية ولا على غيرها، وإنما هي مجرد طرائق تبليغ تقليدية متوارثة، ومقومات هذه الطرائق تكشف عن التصور المعطى لمكونات العملية التعليمية ولأشكال العلاقات القائمة بينها، وهذ المقومات هي:

- محورية المعلم الذي يلقن ويقرر ويحدد وينظم.
- تجزيئية المواد الدراسية وترتيبها وفق اعتبارات منطقية.
- قصور المتعلم وسلبيته في مواقف النشاط والتعلم لكونه عنصراً منفعلا فقط(٤).

ومن مساوي الطرائق التعليمية القائمة في مدارسنا أنها تلقينية تركز في تحفيظ التلميذ بعض العبارات والتراكيب وقواعد اللغة، ويسود الاعتقاد بأن السبيل الوحيد لتعليم اللغة هو تلقين قواعدها المجردة للتلميذ، فتبذل المدرسة قصارى جهدها لتعريف التلميذ أجزاء

الكلام وتصريف الفعل وغير ذلك من القواعد التي لا تمكّن من الاستعمال الفعلي للغة في واقع الخطاب(٥).

وقد كانت نهاد الموسى شجاعة جريئة حين صارحتنا بالحقيقة المرة «ليس لممارسات المعلمين أي نهج علمي واضح منظم، فالصورة السائدة عن معلم اللغة العربية هو أنه معلم غير متخصص، ولا يتميز بأنه يتناول مادة منضبطة بأصول يتطلب تعليمها وعي علم ذلك كله»(٦).

فيجب إعادة النظر في ما هو سائد في مدارسنا من طرائق تعليم اللغة العربية وأساليبها.

هناك خلل كبير في العملية التعليمية يتمثل في تركيز المدارس في اللغة المكتوبة أكثر من اللغة الشفهية المسموعة، وهو يترجم ما تتوخاه التعليمات الصادرة عن وزارة التربية الوطنية التي تقرر أن هذا التعليم يجب أن يحقق التواصل عن طريق اللغة كتابة ثم قراءة ثم تعبيراً(٧)، وكان حرياً بها أن تذكر التواصل الشفوي ثم القراءة ثم الكتابة، ترتيباً منطقياً يساير قدرات المتعلم اللغوية المتدرجة، ويتناسب مع طاقاته العقلية ومع ترتيب المهارات بحسب درجة صعوبتها.

فعجز التلاميذ عن ارتجال الحديث بلغة سليمة والتعبير الشفهي بالطلاقة والفصاحة المطلوبتين، إنما سببه الاختلاف القائم بين قناتي التلقي والإلقاء، فالتلقي يتم بالنظر إلى النص المكتوب وقراءته وفكّ رموزه، بينما الإلقاء يتمّ بإعادة ما تستوعبه الأذن من كلمات وأحاديث وتكراره؛ فتعليم النطق السليم والحديث والمشافهة يقتضي تدريب الأذن على سماع الأحاديث والكلمات والنغمات والأصوات والتمييز بينها وترديدها(٨).

إن مبادئ التعلم الذاتي، كطريقة فعّالة، يعطى فيها الدور الأساسي للتلميذ بدل المعلم، ومن ثمة الخروج من التلقين إلى الحوار، ومن الدرس المهيأ إلى المشاركة في بناء المعارف وامتلاكها؛ والمسرح المدرسي يبقى الأكثر حظاً في الأخذ بمبدأ التعلم الذاتي؛ لأن المسرح يقوم على مبدأ المشاركة، هذا المبدأ يعدّ عنصراً مهماً في تنمية شخصية الطفل(٩).

فمفهوم البنائية في تكوين المعارف وتحصيلها يقتضي الارتكاز على الجانب الذاتي، مع توفير الظروف لحدوث التعبير والتي نجدها في الحافز الخارجي(١٠).

البديل: المسرح المدرسي

يقول هايمز Hymes: ليست اللغة أنماطاً وصيغاً وتراكيب جامدة، بل وسيلة للتعبير عن وظائف مختلفة، كالطلب، والترجي والأمر والنهي، والاستفهام، والتقرير والنفي والإثبات، وغيرها من الوظائف التي يصعب حصرها(١١).

فاللغة لها وظيفة تواصلية، وهي أهم وظائفها، لذلك يظل تطوير تعليم اللغة العربية وإضفاء طابع الحيوية على تعليمها، وتحريرها من الجمود أموراً ضرورية، ويعدّ المسرح ميداناً خصباً لهذه العملية التعليمية؛ لأن التثقيف بمساعدة المسرح عملية مريحة ومرغوبة، فهذا الفن يحمل في داخله قيماً جمالية ومعرفية، وعظمة هذا الفن تكمن في كونه يحقق تأثيره التربوي بطريقة فنية مثيرة، عكس ما هو شائع في أنماط التعليم التقليدية القائمة في مدارسنا التي تعلم اللغة بشكل ممل ومرهق(١٢).

التثقيف بمساعدة المسرح عملية مريحة ومرغوبة، فهذا الفن يحمل في داخله قيمًا جمالية ومعرفية، وعظمة هذا الفن تكمن في كونه يحقق تأثيره التربوي بطريقة فنية مثيرة

وقد أوصى المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والعلوم في دورته الأولى المنعقدة عام ١٩٧٠م بانتهاج سياسة تربوية عربية تسهم في جعل المسرح التربوي يؤدي دوراً بارزاً في العملية التربوية بحيث يصبح جزءاً من حياة التلميذ(١٣) كما أوصت مؤتمرات تربوية باستخدام المسرح التربوي والدراما في تعليم المواد التعليمية المختلفة للمساهمة في تحقيق هذا الهدف، لما لهذا الأسلوب من أثر فعال في تعميق الوعي عند الطالب، وتنمية قدراته على التعلم والتعبير والتفكير الناقد، وتعزيز الثقة بالنفس بالاعتماد عليها(١٤).

والعمل التربوي في البلاد العربية أيضاً يحاول الأخذ بمستجدات علوم التربية، ويحاول تأطيرها وفق

التوجهات المجتمعية لكل بلد كمحيط اجتماعي يحتضن هذا العلم وينظمه، وفي هذا الباب أدرج المسرح المدرسي ضمن مقرر المدرسة الأساسية في كثير من البلدان العربية، وجاء هذا الإدراج مسايراً لإصلاح المناهج التعليمية في نظام التعليم الأساسي، فيوجد مسرح مدرسي كمكون مهم من مكونات التربية الفنية، غير أنه ظل محصوراً في المستوى التعليمي الأول (الأقسام الدنيا) كما هو الحال في المغرب والجزائر والأردن.

أهمية المسرح في تعلم اللغة

قال هنري كوك - وهو أحد أهم الباحثين في تعليم اللغة: «إن تعليم الطفل اللغة والتمكن منها، لا يتأتيان من القراءة والاستماع التقليديين، بل من الحركة والفعل والتجربة»(١٥).

فلابد إذن من نشاط لغوي فعلي يمارس خلاله المتعلم حصيلته اللغوية من مفردات وتراكيب وأساليب تعبيرية في مختلف الوضعيات، وعن مختلف الوظائف، فهذا الاستخدام هو الذي يهب الحياة للكلمات المختزنة في الذاكرة بحيث «إن كل كلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئاً ميتاً، وما الذي يعطيها الحياة؟ إنها تكون شيئاً حياً عند استخدامها، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أو إن الاستخدام نفسه هو حياتها؟»(١٦).

إن النمو اللغوي يكون نتيجة تفاعل، لذلك فإننا لا نستطيع تنمية لغة الطفل بالتكلم معه فقط، بل يجب أن نتيح له الفرصة ليقوم بتعلم ذاتي، يمارس اللغة، ويجرب فرضياتها، ويتحقق من صدقها أو خطئها، ويركب ويفكك ويعبر ويفهم ويفسر ويسأل ويستحضر إجابات ويبدع ويتخيل.

والتعبير حاجة موجودة لدى الإنسان، والطفل يبدأ بالتعبير عن طريق البكاء، ثم الحركة، فالغناء والمحاكاة، ثم الكلام والبحث عن مفردات جديدة في عائلته ومدرسته، أي حالة انتقال من التلقائية إلى تجسيد المعاني، وفن القدرة على التكيف الاجتماعي، والتعبير عن الذات بوسائل مختلفة، فالتعبير لدى الطفل هو طريقة تكرار أقوال الآخرين، بمعنى تمثلهم وعرضهم ثانية وسبيل اللقاء بهم، وبحث عن وسيلة تصله بهم(١٧).

والمسرح يمنح فرصاً مهمة لذلك، لأنه حركة وفعل وحياة، فالطفل يعيش اللغة ويمارسها معبّراً عن مختلف المواقف والمشاعر التي تفرضها الألعاب التمثيلية المسرحية، فتنمو لغته وتتطور، خصوصاً وأن تلميذنا يعيش تمزقاً لغوياً نتيجة البون الشائع بين لغته الأم واللغة التعليمية ولغة الشارع(١٨).

ودرس المسرح المدرسي الذي يقدم للأطفال ضمن أربعة عناصر وهي: التعبير، والتشخيص، والحوار، والتمثيل الصامت Mime يشتمل على بعض التفريعات، وتدرج العناصر وتفريعاتها ضمن مراحل محددة للتنفيذ، لا شك أنه يوازي ويلتقي في أكثر من عنصر وخطوة مع درس التعبير الذي يقدم عبر ثلاث حصص، وهي: حصة التقديم وتشمل التمهيد والتسميع والتعامل مع النص بشخصياته وحواره وأحداثه، ثم التوسع في مواقف النص، ثم الحصيلة التي هي استخلاص ما يجب التركيز فيه، وفي الحصة الثانية يتم التوسع في النص، وإغناء الحوار بأساليبه وتراكيبه، وتحويلاته، بإنجاز تمارين تتوخى إغناء الرصيد اللغوي للطفل، ثم الحصة الثالثة التي تستهدف تثبيت التعليمات السابقة من خلال تمارين الأساليب والتراكيب والتحويلات التي تغني رصيد المتعلم اللغوي، وتنمي تفكيره وقدراته على التعبير(١٩).

> النمو اللغوي يكون نتيجة تفاعل، لذلك فإننا لا نستطيع تنمية لغة الطفل بالتكلم معه فقط، بل يجب أن نتيح له الفرصة ليقوم بتعلم ذاتي، يمارس اللغة، ويجرب فرضياتها، ويتحقق من صدقها أو خطئها

يقول الأستاذ نعيم عطية في كتابه «التقييم التربوي الهادف»: «إن المهارات اللغوية جميعها التي تنطبق على أي لغة تنطبق أيضاً على اللغة العربية الفصيحة، والتي يمكن أن نجملها في: الفهم السماعي، والكلام والخطاب، والقراءة، والتعبير الكتابي»(٢٠).

والمسرح بحواره وآدابه وتقنياته وحركاته، وما يثير في المتتبع والممثل من مشاعر وأحاسيس، وما يتطلبه من قدرات وتدريبات، كفيل، إذا أحسن استثماره

واستغلاله، أن ينمي في المتعلم كثيراً من المهارات اللغوية، كمهارات الاستماع، ومهارات إلقاء الكلام، ومهارات القراءة، ومهارات التعبير الكتابي.

المهارات اللغوية التي ينميها المسرح

مهارات الاستماع:

تتم الاستفادة منها إلى أبعد حد في الاتصال بالمحيط والتفاعل معه وتلقي تأثيراته الصوتية؛ إذ تنهض الأذن في مجال تعلم اللغة واكتسابها وأدائها بوظيفة كبرى، تفوق في أهميتها تلك التي تؤديها العين في مجال اللغة المكتوبة، (والنبرة والتنغيم، والتجويد، والترتيل، والإمالة، والروم، والإشمام، ونحوها تحدث أثرها في الأذن، ولا يمكن التعبير عنها بالكتابة، اللهم إلا بالقدر الذي تؤديه علامات الترقيم من ذلك)(٢١).

وينطوي الفهم السماعي على مهارات تعبر بصدق عن أهميته في تعلم اللغة، ومن هذه المهارات:

- تمييز أصوات الحروف منفردة، والمقاطع الصوتية والكلمات، ونبرات الصوت من جملة إلى أخرى.
- فهم معاني الكلمات، والفرق في المعنى بين نبرة وأخرى، ولغة المحادثة الشفهية، والمحاضرة، والإذاعة، والمسرح، والسينما، وغير ذلك من وسائل الإعلام السمعي.
- إدراك المعنى الإجمالي للجملة وللكلام المسموع عامة، والانفعالات والحالات النفسية التي ترتبط بنبرة الصوت والإيقاع العام في إخراج الكلمات(٢٢).

ويساهم المسرح في تنمية مهارة الاستماع التي تتمثل في إدراك هدف المتحدث، وإدراك معاني الكلمات، وفهم الفكر وإدراك العلاقة فيما بينها وتضمينها وتبويبها، واصطفاء المعلومات المهمة واستنتاج ما يود المتحدث قوله وما يقصد إليه، وتحليل كلام المتحدث والحكم عليه، وتلخيص الأفكار المطروحة.

قال توفيق الحكيم عن المسرح: للمسرحية عندي اعتبار خاص، ذلك لأن الحوار - بما فيه من إيجاز وتركيز - هو القالب الأدبي القريب إلى سليقتي المحبة للنظام؛ فالفن عندي نظام، والنظام هو الاقتصاد، أي البيان بلا زيادة ونقصان.. وإذا ذكرت المسرحية ذكرت معها كلمة الحوار.. ذلك أن الحوار هو أداة المسرحية.. فهو الذي يعرض الحوادث، ويخلق الأشخاص.. ومن صفات الحوار الضرورية التركيز والإيجاز، والإشارة التي تفصح عن الطبائع، واللمحة التي توضح المواقف(٢٣). ويسهب العشماوي في شرح خصائص اللغة الحوارية المسرحية في كتابه القيم «المسرح»(٢٤).

فالحوار المسرحي هو أهم ألوان الكلام، وأفضل طريقة لاستخدام اللغة وممارستها، ووسيلة لزيادة نسبة تسميع الكلمات التي يتلقاها المُحاور وتتردد على ذهنه، ويتكرر استرجاع مجموعات كبيرة منها، وهذا يتيح للمتعلم أفضل فرص النطق بالكلمات نطقاً سليماً وإدراك ما تنتجه حروفها أو ترتبط به أصواتها من إيقاعات مختلفة التأثير، وكلما كثرت الحوارات وتنوعت، ازداد ثبات هذه الكلمات في الذاكرة، وسهل على المتعلم استرجاعها واستحضارها عند الحاجة إليها بسرعة، مما يؤثر إيجابياً في تطور الطلاقة اللغوية ونموها لديه، والحوار يستدعي الحاجة المباشرة الملحة والفورية إلى القوالب والتراكيب اللفظية التي تسعف المتحدث أو المُخاطب، وتمكنه من التعبير عما يجول في فكره، أو يختلج في نفسه دون تعثر أو توقف أو صعوبة(٢٥).



الحوار المسرحي يتيح للطفل أفضل فرص نطق الكلمات نطقاً صحيحاً

مهارات إلقاء الكلام:

إن عملية الكلام تستدعي شروطًا بدنية وعقلية وعصبية معقدة، وتتطلب درجة من النضج في بعض الأعضاء المحددة والقدرات، ومن مكونات الكلام:

التنفس: آلتنا الصوتية، وهي من جنس الآلات الهوائية، يحتاج تشغيلها إلى كمية من الهواء الذي يجب أن تنفثه رئتنا بقوة محددة حتى يندفع عبر الرُّغامى ويحرك الأوتار الصوتية لينبعث الصوت وتلتقطه الأذن مسموعًا مميزًا، فالتنفس التصويتي ليس هو التنفس الرياضي أو التنفس الاسترخائي؛ وتنفس التعبير الشفاهي ليس تنفسًا طبيعيًا ولا تلقائيًا عفويًا، لذلك يجب تعرف طبيعته والتدرب عليه، حتى نصل إلى تنفس يلبي حاجة جسم المتكلم إلى التزود بالأكسجين

حين يتمرن الطفل على تشخيص العمل الأدبي أو تحويله من شكله السردي إلى الشكل الحواري المسرحي، فإنه يبحث وتتحقق في دماغه عملياتٌ مختلفة تعد ضرورية لفهم النص وملاحظة أساليبه واستنباط القوانين الضابطة لكل فن أدبي

الضروري، وتخليص الدم من ثاني أكسيد الكربون، وتوفير الهواء بالكمية اللازمة لإحداث الأصوات اللغوية، فالهواء يتحرك في مسار معين: الفم، ثم التجويف الأنفي، ثم البلعوم، فالحنجرة، فالرُّغامى، ثم القصبتين ليصل أخيرًا إلى الرئتين ويملأهما. خلال التكلم يحتل الزفير مكانة مهمة، بخلاف التنفس الرياضي، الذي يحتل فيه الشهيق المكانة الفضلى.

الصوت: وهو ما تدركه الأذن عند حدوث احتكاك بين جسمين أو جزأين من جسم واحد على الأقل، فهو وليد حركة قائمة على الاحتكاك. والصوت هو حامل الرسالة الشفهية، وتشكل الحبال الصوتية الأداة المهمة في إحداث الأصوات بحركتها بفعل الهواء المنبعث من الرئتين عبر الرَّغامى والحنجرة، وتمدُّد الأوتار الصوتية أو ضغطها هو الذي يؤثر في حدة الصوت وقوته.

الإلقاء: وتتحدد جودة أدائه بجودة مستوى عناصره الفرعية المكونة له، وهي:

النطق: وهو ترجمة الرموز الخطية إلى أصوات في حالة القراءة، والتعبير عن المعاني المحسوسة أو الانفعالات المعيشة بكلمات وأصوات مسموعة.

التلفظ: وهو التحرير والإخراج السليم لأصوات اللغة، بشكل لا يقع فيه التباس أو تداخل لأصوات أخرى عارضة، أو اشتباه في الحروف المتقاربة المخرج.

السرعة: تختلف سرعة الكلام باختلاف المواقف، فهنالك مواقف تستدعي البطء، وهناك مواقف تستدعي السرعة، إلا أن المتكلم البطيء يتمتع بقدرة على إيصال المعنى أفضل مما يتمتع به المتحدث السريع، دون أن يكون البطء ثقيلًا يدفع المستمع إلى الملل، أو السرعة المفرطة التي تؤدي إلى ضياع الكلام قبل أن يمعن فيه المستمع ويفهمه.

التنغيم: التغيرات التي تطرأ على درجة الصوت في الكلام المتصل، ويعبر عن المعنى الذي يريد الكلام أن يدل عليه، كالفرح والمفاجأة والطلب والسؤال والترجي وغيرها.

الإيماء: (اللغة غير الصوتية) التي قد تنم على كثير من المعاني، كالإشارة، ويدخل فيها الابتسام والتلويح باليد وهز الرأس وتحريك العين والفم والنظر، والنظر المعبِّر وغير ذلك.

ومن المهارات التي ينطوي عليها إلقاء الكلام:

- القدرة على تلفظ الأصوات بوضوح مع الإشباع الملائم وتلفظ المقاطع والكلمات بالسرعة الملائمة.
- الربط بين صوت الكلمة ومعناها، والتعبير عن الأفكار مع ما يرافق ذلك من الأحكام.
- أداء النبرة الرئيسة على المقاطع المناسبة في الكلام، ونقل النبرات من كلمة إلى أخرى على تواليها الصحيح في الجملة، وإعطاء النبرة الخاتمة الصحيحة بحسب الجملة، كما في الاستفهام والتعجب وما سواهما؛ وأداء التفخيم الصحيح أو الترقيق بحسب الكلمات ومواقعها.
- تطبيق الأحكام الصوتية المختلفة كما في همزة الوصل والقطع والتنوين وما سواها(٢٦).

للخواص الصوتية في الكلام المنطوق أثرها الكبير في تشكيل معاني الكلمات، وفي تنوع وإغناء هذه المعاني، وتحديدها أيضًا، فبالإمكان أن يصبح للعبارة

الواحدة عدة معان أو عدة إيحاءات، وأن تكون للكلمة الواحدة دلالات مختلفة بسبب النبر والنمط الصوتي الذي تنطق به، أو بسبب الموقف الذي تلفظ فيه، أو الإيقاع الذي نتج من تجاورها مع كلمة أخرى في الجملة(٢٧). يقول الحكيم عن ذلك: قد يرسل العبارة من عباراته على لسان شخصية من أشخاص المسرحية، فإذا هذه العبارة محملة بمختلف المهام، ففيها إخبار بحادثة، وفيها تكوين لشخصية، وفيها خلق لجو، وفيها تلوين لروح مظلم أو مفرح. مثلها كمثل العبارة الموسيقية التي تنطلق محملة بالنغم الذي يروي ويلون ويكون، ويثير كل هذا في لحظة(٢٨).

يقول أحمد المعتوق في كتابه الحصيلة اللغوية: إن عبارة (يا إلهي) مثلاً يمكن أن تفيد التحسر، كما يمكن أن تفيد التوجع والتألم، أو التأفف والتضجر، أو تعني مجرد الالتجاء إلى الله، وذلك مرده التلوين الموسيقي الذي يصاحبها والذي يأتي موائماً لظروف الكلام في الوقت نفسه، والنتيجة الحتمية لهذا التلوين الذي يتبع اختلاف المعنى من حالة إلى أخرى هي أن تصبح هذه العبارة عدداً من العبارات ذات السمات الصوتية والنحوية المختلفة على الرغم من اتفاقها في مكوناتها الصرفية(٢٩).

فكثير من الكلمات التي تُكتسب قد لا تُستوعَبُ مفاهيمُها أو لا تتحدد معانيها في الذهن على نحو دقيق إلا عند ممارستها في الكلام، خصوصاً إذا كانت هذه المفاهيم أو المعاني عاطفية أو عقلية(٣٠)، لذلك فالنشاط التمثيلي والمسرحي يتيح فرصاً ذهبية لتجسيد معاني الكلمات الحقيقية على نحو دقيق، والكشف عن طاقتها الكامنة في أصواتها عن طريق ربطها بالمواقف الانفعالية أو التصرفات الحركية العقلانية، وعن طريق وضعها في سياقاتها المناسبة.

مهارات القراءة:

القراءة فعل عضوي (فيزيولوجي) وذهني، وهي بأبسط تعاريفها (القدرة على تعرف النص المكتوب وعملية تلفظه سراً أو جهراً بصوت مسموع)(٣١). يقول الأستاذ محمد الدريج: إن القراءة للمتعلم تعني إدراك تفكير الغير وفهمه(٣٢)، وإذا كان هذا التعريف صادقًا حين الحديث عن القراءة الشخصية أو السرية، فإنه خلال القراءة الجهرية يروم القارئ نقل أفكار الكاتب إلى الغير، والتأثير فيه.

وتعليم القراءة هو تدريب المتعلم على سرعة الانتقال من الحروف والملفوظات إلى المعاني التي يمكن أن تستدعيها الحروف والكلمات المقروءة، بتنمية قدرته على الفهم وعلى التفاعل مع النص المقروء، فالقراءة تفاعل وحوار وأخذ وعطاء(٣٣).

وتُعَدِّد معجماتُ علوم التربية أنواعًا كثيرة منها، تضمن تعريف كل نوع وغاياته وأهدافه، نذكر منها:

القراءة السماعية: نشاط قرائي هدفه تنمية مهارة الإصغاء والسمع لدى التلاميذ من خلال إصغائهم إلى نص مقروء جهراً، والتقاط دلالته المعنوية، ومؤشرات حول مكوناته دون اللجوء إلى الكتاب أو القراءة البصرية(٣٤).

هناك خلل كبير في العملية التعليمية يتمثل في تركيز المدارس في اللغة المكتوبة أكثر من اللغة الشفهية المسموعة

قراءة جهرية: قراءة تتم بصوت مسموع يتطلب التقاط الرموز ونطقها.. وهي عملية مركبة تحتاج إلى التلفظ الصحيح والمعبر.. وإدراك المعنى والمحتوى، وتعوّد التركيب بين حركة العين واللسان وحاسة السمع(٣٥).

قراءة معبرة: صفة ترتبط بالقراءة التي يتلفظ بها المتعلم إيقاع النص ونبرته وتناسقه الصوتي بكيفية تنقل إلى المتلقي الشحنة الوجدانية الانفعالية ومدلول النص.. وهي شرط من شروط القراءة الجهرية للنص(٣٦).

القراءة الحوارية: وهي تمرين يدخل في دراسة نصوص المسرحيات، ويتم بقراءة النصوص قراءة معبرة وتشخيص مضامينها(٣٧).

إن قراءة النص مرحلة مهمة من مراحل الدرس اللغوي في المستويات الدراسية المتوسطة والعليا، والمتعلم حين يقرأ النص يستأنس بالظاهرة اللغوية، وحين يقرؤه قراءة أدبية يتفاعل معه، ويعبر عن مختلف المواقف والأحاسيس التي وصفها الكاتب بتنغيمه وموسيقى إلقائه وطريقة أدائه.

حسن الأداء في القراءة يعني التأثير في السامع

بواسطة النص المقروء، والإلقاء Ladiction هو تدريبٌ على كيفية قراءة النص ونطقه حسب مواقف معينة، هذه العملية تنمي في المتعلم القدرة على التفاعل مع المقروء، والإحساس بعمق بالمعنى الذي يروم الكاتب التعبير عنه، إنها نوع من القراءة الأدبية التي ترتكز على إبراز شاعرية النص؛ والمسرح كذلك يتوخى هذا القصد في القراءة الإجمالية(٣٨)، كما يساهم في تنمية مهارات القراءة في جانبها العقلي المتمثل في ثروة المفردات، وفهم المعاني القريبة والبعيدة، واستخلاص المغزى في التفاعل مع المقروء ونقده. والتدريب على فن الإلقاء يتطلب إعطاء الكلمات والجمل ما تستحقه من حسن اللهجة عند الأداء، فالفرق كبير بين معاني الاستفهام والتعجب والحكاية، إبلاغ الخبر المحزن أو المفرح، أو التهديد أو الوعيد، والرجاء والاسترحام والتحبب، وكيفية أداء هذه الأحاسيس المختلفة عند القراءة، ولا شك أن لإعطاء كل معنى حقَّه من النطق وعلو الصوت وانخفاضه والسرعة في الأداء أو التمهل، تأثيراً كبيراً في نفس السامع. وهذه القراءة يمكن أن يجيدها المتعلم بعد إتقان القراءة السريعة، وفهم مضامين النصوص، ومراعاة علامات الترقيم والوقف من فاصلة وقاطعة ونقطة في آخر الجملة أو الفقرة، والنقطتين قبل القول، وعلامات التعجب والاستفهام والنقط الثلاث المتلاحقة بعد معنى لم يتم، وغير ذلك من العلامات المضمنة في النصوص(٣٩).

مهارات التعبير الكتابي:

يعدّ الإنشاء المجال الرئيس الذي تبرز فيه فعالية المتعلم ومدى قدراته على توظيف حصيلته اللغوية والتصرف فيها، ليعبر تعبيراً دقيقاً عما يختلج في نفسه وما يفكر فيه وما يحسه ويراه، بطريقته الخاصة، وفق قواعد التفكير المنطقي المضبوط، فهو عملية إبداع شخصي، تُكتسب بالممارسة والمران على تقنيات فن الكتابة(٤٠)، ويكتسي هذا الدرس في المستويات العليا لتعليم اللغة أهمية قصوى، إذ فيه تتم عملية التركيب التي تعدّ خاتمة الأنشطة العقلية التي تصاحب عملية تعلم اللغة، فبعد الاستئناس بالظاهرة اللغوية ومعرفتها، ثم فهمها وتعميمها بتطبيق قواعدها، ثم تحليل الظواهر اللغوية العارضة، يأتي التركيب في درس التعبير الكتابي الذي ينقل فيه المتعلم أثر التدريب إلى إنجازه الذي يتألف من العبارات والأساليب التي يختارها ويصوغها ويؤلف بها إنجازه.

وإذا كانت عملية التعميم سهلة خلال دروس التطبيقات والتمارين اللغوية، لأنها تكون استجابة لمثيرات واضحة فصيحة متمثلة في الأسئلة الموجهة للطفل، والتي تستدعي إجابات محددة (ركّب جملا، حوّل، صُغْ إلخ) فإنه في درس الإنشاء لا يكون المثير واضحًا، لذلك يأتي إنجاز الطفل دون المستوى، لأنه لا يكون ثمة سؤال مباشر يتعلق بالقواعد، ومهارات الطفل تتجه نحو التعبير عن الفكرة فقط، واستحضار المعجم، لذلك فهو لا يستطيع أن ينجح في عمليتين عقليتين صعبتين ومختلفتين.

مناهج التعليم الحديثة في عدة دول لجأت إلى تعليم المحادثة في الأشهر الأولى بغية تعويد الأذن سماع اللغة، والتمييز بين مختلف أصواتها

تدريبات تعبيرية كتابية

ويمكن أن نتغلب على هذه الصعوبات بتدريب التلميذ على فنون التعبير التي تتوجه إلى مهارات تعبيرية كتابية محددة، يتعلم الطفل من خلالها التعبير عن الفكرة مع الحرص على تعميم القاعدة ومراعاتها مراعاة دقيقة، ويتعرف مختلف الأساليب التعبيرية اللغوية العربية، ومن هذه التدريبات:

- تلخيص الحوارات اعتماداً على النص المقروء من كتاب معروض على التلميذ.
- كتابة الحوار اعتماداً على السماع من العرض التمثيلي الذي يشاهده التلميذ.
- تلخيص موضوع المسرحية اعتماداً على المشاهدة والتتبع والاستماع إلى المتحاورين.
- تكملة الحوار الناقص.
- اختصار الحوار الطويل.
- استبدال بعض عبارات ومفردات الحوار.
- تحويل نص قصصي إلى نص حواري.
- تحويل نص حواري إلى نص سردي.
- نثر حوار المسرحية الشعرية.

تدريبات دراسة النصوص

وأهم هذه التدريبات ما يمكن أن يتم على النصوص حيث يؤمر التلاميذ بتفكيك بنية النصوص المتنوعة التي تمتلئ بها الكتب القرائية المدرسية، فهذه التدريبات تضع التلميذ أمام عدد من النصوص التي تتنوع أساليبها ومضامينها، ويمكن للمعلم والتلاميذ أن يعدُّوا أعمالا مسرحية اعتماداً على هذه النصوص، وترمي هذه العملية إلى سد النقص الملحوظ في الكتب القرائية إلى النصوص المسرحية، وتوفير فرصة ثمينة للتلاميذ للتدرُّب على التعبير الكتابي وتعرّف مختلف أساليب اللغة.

وتتم هذه العملية عن طريق تفريغ النص إلى مجموعة من المستويات على الشكل الآتي:

- من حيث الكلمة، أهي اسم أم فعل أم حرف بإحصاء عدد الأفعال والأسماء والحروف:
- إذا كانت الأفعال أكثر من الأسماء فالنص حركي وقابل للتشخيص.
- أما إذا كانت الأسماء أكثر من الأفعال فالنص تقريري، ويستدعي إعادة كتابته من جديد ليكون صالحاً للتشخيص.
- تقسيم الجمل قسمين: جمل إخبارية وتعتمد على الاستفهام والتعجب، وهي صالحة للتشخيص المسرحي، وجمل إنشائية تعتمد على السرد والحكي، ويجب إعادة كتابتها لتكون أصلح وأنسب للتشخيص.
- تحديد موضوع النص أهو علمي، أم ديني، أم تاريخي، أم أخلاقي، أم أدبي؟
- دراسة أبعاد النص الثلاثة (الزمان والمكان والحدث) بتحديد الفترة الزمنية، ودراسة المكان الذي تجري فيه الوقائع، ودراسة الحدث هل يتحدد في حركية النص من فقرة إلى أخرى.
- دراسة الصراع وصياغته ليتوزع التشخيص على مراحل ثلاث: المقدمة الاستهلالية، وتصاعد الحدث الذي يجب أن يكون نقطة تحول في العمل، ثم تنازله ليصل إلى النهاية(٤١).

وحين يتمرن الطفل على تشخيص العمل الأدبي أو تحويله من شكله السردي إلى الشكل الحواري المسرحي، فإنه يبحث وتتحقق في دماغه عمليات مختلفة تعد ضرورية لفهم النص وملاحظة أساليبه واستنباط القوانين الضابطة لكل فن أدبي (قصة، شعر، سرد، حوار إلخ)، والشروط الواجب توافرها فيه.

وهذا الإدراك الواعي للأنظمة المميزة لفنون التعبير اللغوي هو الذي يساعد المتعلم على تعميم ما تعلّمه، ونقل أثر التدريب إلى مختلف المواقف التي يصادفها، فيختار العبارات، ويصوغ الأساليب، ويركّب الجمل والفقرات وفق أساليب معينة معبرة عن المواقف الانفعالية المحددة، وعلى امتلاك ناصية التعبير اللغوي؛ لأنه اشتراك في اكتشاف خبايا هذه اللغة وأسرارها وأنظمتها.

كان هنري كوك رائداً من خلال دعوته إلى تعليم اللغة بواسطة النشاط التمثيلي، وتلاه مربون آخرون، أمثال كريستو باري الذي كان يخصص حصصاً للنشاط التمثيلي يعلّم بها اللغة، فكانت هذه الحصص

المتعلم حين يقرأ النص يستأنس بالظاهرة اللغوية، وحين يقرؤه قراءة أدبية يتفاعل معه، ويعبر عن مختلف المواقف والأحاسيس التي وصفها الكاتب بتنغيمه وموسيقى إلقائه وطريقة أدائه

تضاهي في الأهمية الكتابة والقراءة الممارستين داخل قاعة الدرس اللغوي التقليدي، وتفوقهما من حيث النتائج الجيدة المحصل عليها، فكان هذا المعلم يتيح للأطفال الفرصة لممارسة علاقات إنسانية داخل قاعة الدرس والتمثيل، فيحس الأطفال أنهم يعبرون بصدق عما يشعرون به(٤٢).

المسرح فعال من دون منازع

يدرك العاملون في التعليم أنّ العادات اللغوية تتكوّن في المستويات الدراسية الأولى؛ لذلك يجب التركيز في تعليم اللغة في هذه المستويات، تعليماً وبحثاً وتطويراً، ويجب أن يؤسس المنهاج على حقائق النمو، ويراعي خصوصيات النمو اللغوي والنفسي والعاطفي والحركي للطفل، ويلبي حاجات الطفل إلى التعبير والمشاركة، ويستثمرها في هذا التعليم.

ومناهج التعليم الحديثة في دول عديدة لجأت إلى تعليم المحادثة في الأشهر الأولى بغية تعويد الأذن سماع اللغة، والتمييز بين مختلف أصواتها، وتذليل صعوبات النطق، وكسر حدة الخجل والانطواء لدى التلميذ، فضلاً عن أن مهارة المحادثة من أكثر المهارات اللغوية شيوعاً واستعمالا في مواقف الحياة، وهو ما أكدته نتائج أبحاث عدد من العلماء، أمثال (شيسرون)، و (كلاب)، و(جونسون)، كما أن البدء بتدريس المحادثة يساير مراحل النمو اللغوي عند الطفل الذي يبدأ في سماع الألفاظ قبل أن ينطق بها، ثم يأتي الكلام ثانياً، فالقراءة ثالثاً، ثم الكتابة بعد ذلك، فمهارات الكلام والاستماع يجب أن تسبق مهارات القراءة والكتابة، والدقة في المحادثة وامتلاك ناصيتها يُكتسبان بالاستماع الدقيق إلى المتحدث الدقيق، ونمو مهارات الاستماع يساعد على نمو الانطلاق في الحديث(٤٣).

والاتجاه في التربية الحديثة يرمي إلى (التمهير) لا إلى التحفيظ والتسميع، و(التمهير) هو الأداء المتقن في الوقت والجهد والقائم على الفهم، وسبيل ذلك الممارسة والتكرار، على أن تتم الممارسة في مواقف حيوية ومتنوعة، وبصورة طبيعية وقائمة على الفهم وإدراك العلاقات والنتائج.

يتضح من كل ما ذكر في هذا العرض أن المسرح أداة فعالة في تعليم اللغة العربية، وكل اللغات، وتدريب المتعلم على إتقان مهارات السماع والكلام والقراءة والتعبير الكتابي. وعدم الالتفات إلى أهمية هذا النشاط وقيمته التعليمية، وعدم استثماره بالشكل المفيد يُضيّعان أمام مدرستنا فرصاً كثيرة وثمينة لتدريب أبنائنا على إتقان هذه المهارات اللغوية، ويعدّ خطأً ينتقص من قيمة مناهج تعليم اللغة العربية وفعاليتها في مدارسنا.

ونعول على الأنشطة التربوية التمثيلية، لإتاحة أحسن الظروف أمام التلاميذ لتعلّم جيدٍ للغات وإتقان مهاراتها، ومساعدتهم على تحقيق تكيف ذاتي ومدرسي واجتماعي يساهم في إقبالهم على (التمدرس)، ويحد قدر الإمكان من تسربهم وتخلفهم الدراسي، ويطور أساليب تعليم اللغة العربية، وينشرها داخل النسيج الاجتماعي، ويثبت مكانتها، ويغرس حبها في نفوس ابنائنا.

المراجع والهوامش

١- مجلة التربية والتعليم، حوار مع محمد حمداني، عدد ٢، ١٩٨٢م، ص٢٤.
٢- طرائق تعليم اللغة لغير الناطقين بها، الشريف، بوشحدان، الفيصل عدد ٢٥٠، ربيع الآخر ١٤١٨هـ، ص٣١.
٣- موسى، الشامي، مقال بالملحق الثقافي لجريدة العلم (العلم الثقافي)، ١٩٨٧/١٠/٣١م.
٤- تصلب الطريقة ومحاولات التجديد، محمد بيدادة، مجلة التربية والتعليم، عدد ٩ ـ ١٠، ١٩٨٤م، ص٤١.
٥- طرائق تعليم اللغة لغير الناطقين بها، الشريف بوشحدان ، مرجع سابق.
٦- نهاد، الموسى، مقدمة في علم تعليم اللغة العربية، ندوة اللسانيات وتعليم اللغة العربية، جامعة تونس، ص١٥٢.
٧- وزارة التربية الوطنية، أهداف وتوجيهات تربوية للسلك الأول من التعليم الأساسي، الرباط، ١٩٩٧م، ص٤٨.
٨- اللغة والأذن، يحيى عبدالرؤوف، جبير، مجلة الخليج العربي، عدد ٢٥ سنة ٨، ١٩٨٨م، ص١٧.
٩- كتاب المسرح المدرسي، سالم، إكويندي، فرع جمعية تنمية التعاون المدرسي، تازة، ص١١.
١٠- إسهامات العمل التربوي في الفعل التعبيري (المهرجان الأول للمسرح المدرسي، ابن مسيك سيدي عثمان)، سالم إكويندي.
١١- بوشحدان، المرجع السابق نفسه.
١٢- مسرح الطفل والتربية، سعاد، حسن، مقال بجريدة الاتحاد الاشتراكي، ١٩٨٩/٣/١٢م، ص٢.
١٣- كتاب المسرح المدرسي، إكويندي، سالم، ص١٠.
١٤- المسرح في التعليم؛ لينا التل البطاينة، مجلة المسرح، عدد ٩٨ ـ ٩٩، فبراير ١٩٩٧م، ص٣.
١٥- مسرح الطفل والتربية، مرجع سابق.
١٦- الحصيلة اللغوية، أحمد محمد المعتوق، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، ٢١٢، ١٩٨٦م، ص٢٦٣.
١٧- إسهامات العمل التربوي في الفعل التعبيري، مرجع سابق.
١٨- مسرح الطفل والتربية، مرجع سابق.
١٩- وزارة التربية الوطنية: أهداف وتوجيهات تربوية للسلك الأول من التعليم الأساسي، مرجع سابق.
٢٠- التقويم التربوي الهادف، نعيم، عطية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٦٩.
٢١- اللغة والأذن، مرجع سابق.
٢٢- التقويم التربوي الهادف، مرجع سابق.
٢٣- فن الأدب، توفيق الحكيم. القاهرة: مكتبة الآداب ص١٤٨.
٢٤- المسرح، بيروت، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، ص ٢٥ ـ ٣٠.
٢٥- الحصيلة اللغوية، مرجع سابق.
٢٦- التقويم التربوي الهادف، مرجع سابق.
٢٧- الحصيلة اللغوية، المعتوق، أحمد محمد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة، ٢١٢ (١٩٩٦م) ص٢٦٥.
٢٨- فن الأدب؛ الحكيم، توفيق، مرجع سابق
٢٩ و ٣٠ ـ الحصيلة اللغوية، مرجع سابق.
٣١- معجم علوم التربية بالرباط، عبدالكريم غريب وآخرون، ١٩٩٨م، ص ١٨٢، وأيضاً: عبدالرحيم آيت دوصو: مصطلحات علوم التربية، الرباط: ١٩٩٠م، ص٦٦.
٣٢ و ٣٣- نحو بيداغوجية جديدة للتعبير (ضمن تدريسية النصوص)، محمد الدريج، الدليل التربوي جزء٢، ص٧.
٣٤، ٣٥، ٣٦ ـ معجم علوم التربية، مرجع سابق.
٣٧- Foulquier Paul: Dictionnaire de la langue pedagogique. Paris. PUF. 1971. P 288.
٣٨- مجلة الحوار المسرحي، إكويندي، سالم ، عدد٣، ١٩٩٥م، ص١٠.
٣٩- رائد التربية العامة وأصول التدريس، بيروت، عبدالحميد، فايد، دار الكتاب اللبناني، ص١١٢.
٤٠- أهداف وتوجيهات رسمية خاصة بالقسم الرابع، ١٩٨٩م، ص٢٣.
٤١- انظر لمزيد من التوسع أشغال اللقاءات الدراسية التي تنظمها فروع جمعية تنمية التعاون المدرسي حول نشاط المسرح المدرسي وتقنياته المختلفة.
٤٢- مقاربة أولية للنصوص السماعية والمسترسلة، محمد لقنستي ، صحيفة الاتحاد الاشتراكي ١٩٩١/١/١٠م.
٤٣- تطور طرائق تدريس اللغة، محمود أحمد السيد، المجلة العربية للتربية، مجلد٦، عدد١، مارس ١٩٨٦م.

دور أدب الطفل في تحقيق التنشئة الثقافية للأطفال وإعدادهم لعالم الغد

عبدالتواب يوسف
القاهرة - مصر

تستهدف هذه المقالة توضيحًا لبعض المصطلحات التي يسيء بعضنا فهمها.. أدب الأطفال - مثلاً - ليس هو ما يكتبونه، بل ما يكتبه لهم الكبار، ويتلقونه، ويقبلون عليه طواعية وفي حرية كاملة.. وثقافة الأطفال، تتضمن العناصر التي تحتويها ثقافة الكبار، مضافًا إليها ما يعينهم على التنشئة السليمة، وقد صارت لها كليات ومعاهد وجامعات للتربية.



وعالم الغد أضحى علمًا وتخطيطًا، وليس ضربًا للرمل وقراءة في الفنجان.. ومشكلتنا مع المصطلحات قد تأخذنا بعيدًا عما نريده ونتوخاه في مثل هذه المقالة التي هي بالتأكيد ليست بحثًا ميدانيًا، ولا دراسة أكاديمية، بقدر ما هي خبرات وتجارب تراكمت وتكاثفت خلال سنين طويلة بحثًا ودراسة، كتابة وممارسة، وصولاً إلى طرح نظري وعملي، قد يكون

منهجًا وسبيلاً للأخذ بيد أطفالنا إلى مستقبل تكون الثقافة والأدب من ركائزه ودعائمه، وتتضافر جميع فنون الأدب، مع الفنون الموسيقية والتشكيلية والشعبية، في بناء شخصية الطفل، معتمدة على الأساسيات والثوابت، وهو عندما يكبر مستقبلاً سيستطيع أن يتعامل مع المتغيرات مستثمراً ما نشأ عليه. نحن هنا إزاء نظرة شاملة من طائر محلق يرى صورة واسعة في مجالي الثقافة والأدب للطفل.


وليم شكسبير

ثقافة الطفل وأدبه في عالم متغير

وضعنا أقدامنا على القرن الحادي والعشرين، وقد فاتنا عصر البخار والكهرباء، ونحاول أن نلحق بعصر الفضاء، والإليكترون، والحاسوب (الكمبيوتر). ونرفض بشدة أن يتخلف طفلنا عنه، أو أن يسبقه الطفل الياباني والأمريكي والإسرائيلي.

بداية، وبداهة، لا نظن أننا بحاجة إلى تعريف ما هي ثقافة الطفل؟ ولا ما هو أدبه؟ لكي ندلك على أنه يشغل منها مساحة واسعة، بل وشاسعة، حتى لو أمعن المتحدثون وأفاضوا في كلامهم عن عصر انفجار المعرفة، إذ إن المعلوماتية تدخل في باب أدبيات الأطفال، كما أننا موقنون جميعاً بأن العالم ليس عقلاً فقط، والأدب يتجه إلى العقل والوجدان معاً، ومما لا شك فيه أن الأدب يتطرق إليهما معاً، من خلال أشكاله المختلفة، مكتوباً أو شفاهياً، بما يتضمنه من عناصر عرفها الإنسان منذ بدء الخليقة: حكايات شعبية وأشعار وأمثال وفكاهات، انتشرت في كل الدنيا من خلال إبداع وابتكار جماعي، قبل أن يبدأ المبدعون في كتابة أدبهم ليضعوه على ورق البردي، والقماش وما إلى ذلك، وصولاً إلى نسخه وطبعه في كتاب، أو إذاعته من خلال الكلمات من خلال مكبر الصوت (الميكرفون)، أو تقديمه في صور ومشاهد وحوار على الشاشتين الكبيرة والصغيرة، بل جعله مادة في الحياة اليومية المعيشة، يأخذ منها مكانته الكبيرة وأهميته الضخمة.. هذه هي الأجهزة والوسائل التي تحمل الثقافة والأدب إلى الأطفال، ويبقى المضمون أو المحتوى، بعيداً عن التلقين المعرفي والوعظي..

لقد أضحى الأدب علماً من العلوم الإنسانية، وأضحت له كلياته التي تضم عدة أقسام من بينها العلوم اللغوية، وأيضاً المواد الاجتماعية - تاريخ وجغرافيا وفلسفة وما إلى ذلك، وهي تقوم بتدريس الأدب وتاريخه ولا تقتصر دراسته على بلد، بل تمتد إلى كل العالم وجميع شعوبه.. ولا تقتصر على دراسته، ماضياً وحاضراً، بل ومستقبلاً في قصص الخيال العلمي، وهي تولى اهتمامها للشفاهي منه والمكتوب، كما تولي عنايتها بعناصره المختلفة من شعر ونثر، وحكاية وقصة ورواية ومسرحية، ولا تغفل النقد ولا تفوتها المقالة، وهي بذلك كله تضع شروطاً معينة يجب أن تتوافر لها.. وقد أصبحت لها قوانين وقوالب، كما يحدث عندما ندرس السير الشعبية والملاحم وغيرها من الفنون الأدبية والدرامية، وهي خلال ذلك لا تكتفي بالكلمة بل تحتفي أيضاً بالصورة، بل لا تفوتها حتى «الإشارة» حين تتطرق إلى «البانتوميم» وأيضاً إلى غيره من الفنون الأدبية، يستنطق فيها المبدعون الحيوان والجماد.

> **من الضروري المواءمة بين الكتاب وعمر الطفل في شتى المراحل، ومتابعة الاهتمام بما يقرؤه أطفالنا، لكي نساعدهم على اختيار الكتب المناسبة، شريطة ألا نفرض عليهم رأينا ومزاجنا**

من أجل هذا كله يستحيل علينا أن نتصور أن هناك ثقافة تستغني عن الأدب وفنونه، إذ هو ركيزة أساسية في الثقافة عامة، وثقافة الطفل خاصة.

تضافر الفنون يثري الطفل ثقافياً

ويبالغ بعضنا في أهمية الأدب، فيراه الثقافة.. كما أن آخرين يرون أن المعلوماتية هي الثقافة.. وكلاهما يجانبه الصواب، إذ إن الثقافة أشمل، حتى لو رأى فيها بعضهم أنها جزء لا يتجزأ من العلوم الاجتماعية.. وفي تقديرنا أنها أكبر من أن يستوعبها علم بذاته؛ لأن شموليتها تجعلها أضخم من أن يوضع لها مثل هذا الإطار، خاصة، وهي تتضمن موروثات وعادات وتقاليد، وآداباً وفنوناً وعلوماً، مما يجعل منها أكبر وأوسع من أن تحتوى، وقد يجرنا هذا إلى ضرورة التساؤل: عمن هو المثقف، ومن هو الطفل المثقف؟ بل إن

هناك من تمادى وأنكر تماماً ما نسميه «ثقافة الأطفال»، كالدكتور بلال الجيوسي - الذي يراه مصطلحاً بلا وجود، وأنه قد خدعنا وسرنا على دربه.

وهناك من أنكر وجود «أدب الأطفال»، وكان ذلك في مؤتمر للأدباء والكتاب العرب، ورأى أصحاب هذا الاتجاه أن كل ما يكتب للأطفال ما هو إلا أعمال تعليمية، لا ترقى إلى مستوى الأدب، وفي تقديرنا الخاص أن ثقافة الأطفال حقيقة وواقع، وأن أدبهم أيضاً قد أكد وجوده على المستوى الإنساني عامة.. وليس أدل على ذلك من تلك الروائع الأدبية التي تمتلئ بها رفوف المكتبات وأشهرها المكتبة الدولية لكتب الأطفال في ميونيخ، وتضم قرابة نصف مليون كتاب.

وبينما نرى أن ثقافة الطفل، وإن كان مصطلحاً شمولياً استوردناه من بلدان الكتلة الاشتراكية إبان قيامها، إلا أنه قادر على أن يثبت وجوده، وتأثيره في الأطفال من خلال عناصر عدة، من بينها الفنون الأدبية والتشكيلية والموسيقية والشعبية. وأنه قد وجد ليبقى من خلال أجهزة وأدوات وهيئات ومؤسسات، بل وأفراد، وأنه قادر على أن يؤكد دوره وأهميته، وهذا أيضاً ينطبق على أدب الأطفال، وإن كان هذا الأدب قد بدأ التأريخ له منذ راح هان أندرسون (١٨٠٥ - ١٨٧٥م) يقدم أعماله وقصصه، لكن هذا لا يعني قط أن أدب الأطفال لم يكن له وجود قبل ذلك.. إذ إن الحكايات التي وجدت منذ عهد قدماء المصريين مكتوبة على ورق البردي تعد من أدب الأطفال، ويكفي للتدليل على ذلك أننا استقيناها من كراسات التلاميذ الذين كانوا يتلقون تعليمهم في المعابد.

هكذا عرفنا: سنوحي، وشكوى الفلاح الفصيح، وإيزيس وأوزوريس...إلخ، بجانب تراث كبير من الحكم والمواعظ والأمثال، كتبت للأطفال.. كما أن هناك قصائد ترجع إلى هذا التاريخ.. ولا ندعي أن ذلك اقتصر على مصر، بل أولت كل الحضارات الأطفال اهتماماً خاصاً، وقدمت لهم زاداً أدبياً توارثناه عن بابل وآشور، وسبأ ومأرب، والفينيقيين.

بذور الأدب في حكايات ما قبل النوم

هناك كثيرون يرون أن «الحكاية» قد بدأت مع آدم وحواء.. وهم يؤكدون أن حواء لابد أن تكون قد حكت لبناتها وأبنائها حكاية خروجهما من الجنة، بعد أن أكلا من الشجرة المحرمة، وأنهما نزلا إلى الأرض، ليعمراها بالأبناء والأحفاد.. كما أن قصة قابيل وهابيل قد توارثتها الأجيال، وقد تحول هذا التاريخ إلى حكايات وقد أمتعت به الجدات

ما من عمل يؤكد أهمية الحكي مثلما أكدته «ألف ليلة» حين جعلت من حكاية شهرزاد شيئًا كبيرًا ورائعًا في مقابل عمليات القتل التي كان يقوم بها شهريار، وبها انتصرت عليه، وروضته كطفل



من رسومات قصة كامل كيلاني «حذاء الطنبوري»

والأمهات صغارهن، ولا شك أن الرجال قد شاركوا في هذا.. ومنذ تعلم الإنسان اللغة المنطوقة، حاول أن يحسن اختيار كلماته، وهو يعبر عما يريد، ولا شك في أنه اكتشف أن للكلمات والعبارات موسيقى خاصة بها، أوصلته إلى تعرف الشعر والتعبير به.. واستمتع المتلقون له بذلك، في أثناء الحكي أو الخطابة على أنه ما من عمل يؤكد أهمية هذا الحكي وهذا الأدب مثلما أكدته «ألف ليلة» حين جعلت من حكاية شهرزاد شيئاً كبيراً ورائعاً في مقابل عمليات القتل التي كان يقوم بها شهريار، وبها انتصرت عليه، وروضته كطفل، وبذلك انقذت بنات جنسها من الوحش الكامن

بداخله.. إذن، تستطيع كل أم بالحكاية الشعبية ـ وبالذات قبل النوم ـ أن تغير كثيراً مما يعتمل في نفوس أطفالها، بل والأمهات.

وقد أصبح الحكي فناً قائماً بذاته، مما دفع جورج سنايتر إلى أن يقول: إنه ليس كاتباً للأطفال، وإنما هو حكاء وراوية، يكتب بنفسه لنفسه ما يحكيه.. كما أن نسبة كبيرة من كتّاب الأطفال قد بدؤوا برواية حكايات كتبوها فيما بعد.. ومن هؤلاء لويس كارول في «أليس في بلاد العجائب» وأيضاً كينيث جراهام في «عاصفة في شجرة الصفصاف» وكلاهما من الكلاسيات الرائعة، وقالت لي واحدة من راويات الحكايات ـ وهي تحترف هذه المهنة ومعها أربعة آلاف ـ إن نحو خمسين بالمئة من كتاب الأطفال بدؤوا رواة لها، خاصة قبل النوم، بعد يوم طويل من «الصراع والصداع» بالنسبة إلى الأم في محاولتها تصويب أخطاء ابنها من خلال «افعل» ولا تفعل» في الوقت الذي يضيق الطفل بكل ذلك.. وتأتي لحظة المساء والحكاية التي تجعل الطرفين يرتاحان ويصفوان بعضهما لبعض، فينام الطفل سعيداً بحنان أمه، وتنصرف هي إلى حياتها بالليل وهي تشعر أنها قد أدت مهمتها على أكمل وجه.



أحمد شوقي

إن الأدب الشفاهي والشعبي قد بدأ على هذه الصورة وتطور ليصبح أدباً فريداً، رفيع المستوى؛ لأنه ـ أصلاً ـ كان بمشاركة الشعب كله يعبر فيه عن قيمه وأفكاره، ويضعه في حكايات يضاف إليها ويحذف منها، إلى أن تستقر، ونجد من يتوفر عليها لتسجيلها كما فعل الاخوان جريم في ألمانيا وكريلوف في روسيا، و... انظر كتاب «البذور في أدب الأطفال» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

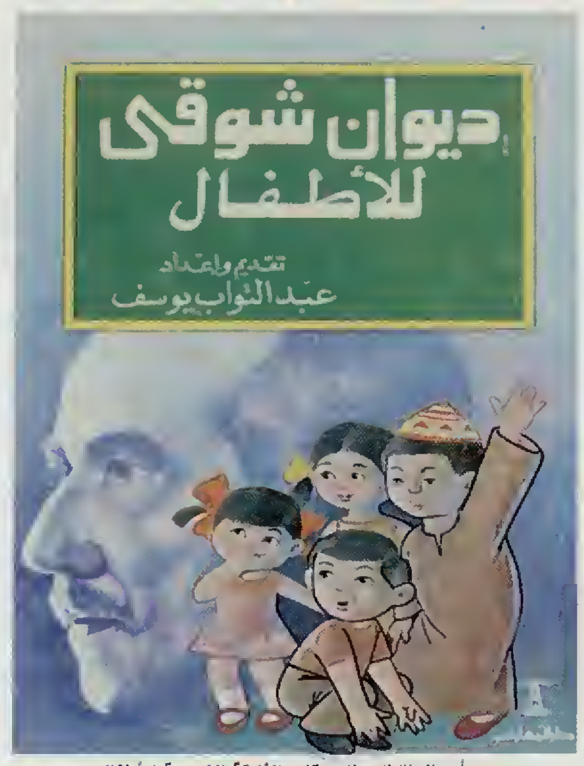
أدب الأطفال هدف أم وسيلة؟

يستهدف الأدب عامة، وأدب الطفل خاصة مخاطبة عقله ووجدانه وروحه ـ كما يرى الكثيرون، ومنهم توفيق الحكيم.. والأدب الرفيع المستوى يضيء عقل متلقيه ويمتع وجدانه، ويسمو بروحه.. ويحدث ذلك تأثيراً كبيراً في نفسية الطفل. وكما تهضم المعدة الطعام من النشويات والبروتينيات والفيتامينات وبقية عناصر الغذاء، لكي ينمو الطفل جسمانياً، ولكي يحصل على الطاقة، ويحافظ على درجة الحرارة، جنباً إلى جنب المتعة، يحدث الشيء نفسه مع متلقي الأدب، الذي يهضم ويتمثل ويصبح جزءاً لا يتجزأ منه، ليصلح من شأنه، ويغير من سلوكه إلى الأفضل.. ولا يتأتى ذلك من خلال النصح والوعظ والإرشاد، لكن هذا يمكن أن يفقده قيمته، أو يقلل من جدواه ويحوله إلى شيء عقيم وبلا جدوى.. الأدب الرفيع المستوى ينفعل به صاحبه، لينحاز إلى الحق والخير والجمال، ونحن نستهدف منه أن يتصرف متلقيه تصرفاً سليماً، وعادلاً وجميلاً، وذلك لأن هذا الأدب يدفعه إلى هذا، وليس خوفاً من العقاب الذي قد يقع على أبطال هذه الأعمال، كما أنه ليس سعياً وراء الثواب والنجاح الذي تحقق لهم إزاء عملهم السوي والسليم.. إنه يجعلهم يحسنون التصرف ويبتعدون عن الشر، ويلتزمون الخير؛ لأن هذا الأدب غرس بداخلهم ما يجعلهم خيّرين، مستمسكين بكل ما هو جميل ورائع في الحياة.. إن الانطباع الذي تتركه الأعمال الأدبية المتميزة، لا يمحى ولا يزول، بل يبقى على مدى العمر يضيء عقول الأطفال، ويصقل وجدانهم، ويمضي بروحهم نحو الأرفع والأنفع.

والأدب وحده لا يمكن أن يصنع كل ذلك، لكنه يشارك في ترسيبه في نفوسهم، مستكملاً دور الأسرة والمدرسة، وأجهزة الإعلام ووسائط الثقافة.. وأيضاً دور المجتمع بجميع مؤسساته، مثل دور العبادة والنوادي وما إلى ذلك.. ومن هنا يأتي التركيز في الأدب لكونه عاملاً مؤثراً وفعالاً، يقبل عليه الأطفال من ذوات أنفسهم، ولا يفرض عليهم فرضاً يزهدهم فيه، ويصرفهم عنه، لذلك نتحاز دائماً إلى القراءة الحرة البناءة للأعمال الأدبية الشامخة، وسماعها من الإذاعة، ومشاهدتها من خلال الشاشة الصغيرة والكبيرة، وأيضاً متابعتها من خلال المسرح، وهو يوظف العمل الأدبي نثراً في الحوار، مضيفاً إلى ذلك فنوناً أخرى، كالإخراج والتمثيل والديكور والمكياج والموسيقى والغناء والإضاءة والألوان ليتضافر كل ذلك في ثقافة شاملة، تجعل من صاحبها إنساناً خيراً وجميلاً.

أطفالنا غائبون عن ساحة الشعر، بينما من المفترض أن نقرأ لهم الشعر، وأن نجعلهم يحفظون نصوصه، وينشدونه في حماسة

الأدب الرفيع المستوى يضيء عقل متلقيه ويمتع وجدانه، ويسمو بروحه، ويحدث تأثيرًا كبيرًا في نفسية الطفل



من أعمال الكاتب للارتقاء بالذائقة الشعرية للأطفال

مواكبة ما يجري على الساحة العالمية

ولسنا هنا نهول من شأن الأدب ودوره ورسالته؛ لأننا من أربابه وأصحابه، كما أننا نرفض أن نهون منه أو نقلل من شأنه، لكننا نريد أن نؤكد أهميته الكبرى بالنسبة إلى الطفل وثقافته، ونحن نأسى ونحزن وتدمى قلوبنا أن يجتاز طفل مرحلة الطفولة، ولا يشهد خلالها مسرحية واحدة، ونرفض بشدة أن تتسرب سنوات هذه المرحلة دون أن يقرأ مثل الطفل في البلاد المتقدمة «٦٠٠» كتاب، هي المتوسط الذي أشارت إليه جوان ايكن، الكاتبة الإنجليزية للأطفال، وهي ترى أنها قد كتبت فعلاً، وقد صدرت بها عدة قوائم تقول: إن الطفل قبل السادسة يجب أن يقرأ كتبًا مصورة عددها نحو المئة، كتبها ديك برونه الهولندي، وأيضًا بيادركس بوتر البريطانية، و د. سوس الأمريكي، وأونو الياباني، ومارجريت ويزر براون، و ...إلخ.

والمقصود بالكتب المصورة ما تمتزج فيها الكلمات بالصور بشكل عضوي، ولا تنفصلان، وهي تختلف جذريًا عن الكتب المرسومة، مهما بلغ فن من قاموا بها.. ومن الضروري أن نتعرف هذا الاتجاه في الكتب المصورة، لأننا نسيء استخدام هذا التعبير إلى حد أن بعضهم يطلقه على السيناريو المرسوم، والكارتون، وما يسمى «الكوميكس» والفارق كبير.

وهناك قوائم أخرى للأطفال، يجدر بهم قراءتها فيما بين السادسة والتاسعة، ثم ما بعد ذلك وصولاً إلى نهاية المرحلة الابتدائية عند الثانية عشرة..

ومن الضروري هنا الاهتمام بالفروق الفردية بين الأطفال، خاصة عندما يتقدمون في التعليم خلال المرحلة المتوسطة التي نسميها في مصر الإعدادية، وهنا يكون الطفل أقدر على القراءة، وباستطاعته قراءة الكلاسيكيات العالمية الخالدة، ويقصد بها الأعمال التي قرأتها أجيال عدة، وبقيت قادرة على اجتذاب المزيد من القراء، فهي تضم ما يزيد على مئة كتاب من جميع أرجاء العالم.. وكنا قد بدأنا مشروعاً كبيراً لترجمتها، وتدخلت يد أثيمة لتوقف هذا العمل المهم الجليل الشأن، وكنا نرمي من ذلك أن يجاري أطفالنا أطفال العالم المتقدم، في قراءة الشوامخ وتعرف الشخصيات الشهيرة، الذائعة الصيت، مثل «أليس في بلاد العجائب» وما إلى ذلك..

ويستكمل القارئ الصغير روائع الأدب العالمي والقومي والوطني قبل أن يلتحق بالجامعة، وإذا ما استطاع أن يلم بكل هذه الأعمال الأدبية الشامخة، فسنشعر نحوه بأنه يجاري ويباري أبناء البلاد المتقدمة، ونطمئن أنهم لن يسبقوه فكرياً وأدبيًا، ونحسب أنه قادر في يسر وسهولة على منافستهم.

الفروق الفردية والمراحل العمرية

هذه القوائم من الكتب التي تعد للأطفال تضع في حسابها أشياء في غاية الأهمية.. فتضع في حساباتها مثلاً الثروة اللغوية، وقدرة الطفل على الفهم والاستيعاب، فلا تكون سهلة وبسيطة بالنسبة إلى الكبار منهم، ولا تكون صعبة معقدة بالنسبة إلى الصغار منهم: إنها يجب أن تكون مناسبة تماماً للعمر الذي يقرؤها فيه الطفل.. فإذا كان في مرحلة تتسم بالخيال قدمنا له أعمالاً تفيده وتمتعه، وتسير في هذا الاتجاه.. وإذا ما وصل إلى مرحلة الواقعية وضعنا أمامه أعمالاً أدبية تشبع لديه هذه الرغبة وهذا الميل ـ ودائماً يجب أن ننتبه إلى أن الأطفال ـ سنًا وعمرًا ـ مجموعة من الشرائح وكل شريحة

لها ما يناسبها.. ومن تجربتي الخاصة أن أبي - رحمه الله - رفض أن أقرأ «ألف ليلة» في صغري لما ورد فيها من مواقف شائنة، وعبارات نابية.

لقد كان والدي يريد أن يحافظ على براءتي وأخلاقياتي، وكان حرياً به أن يدعني اقرأ طبعة مهذبة منها، مثل التي كتبها كامل الكيلاني، من أجل أن توسع من آفاقي، وتأخذ بيدي إلى عالم الخيال الرحب الجميل.. وإن لم يفته أن يأتي لي بدواوين وقصائد محمد الهراوي، وأعتقد أنها قد أفادتني كثيراً.

وما يكتب للأطفال ليس كله صالحاً لهم، ومن المهم أن يوائم مراحلهم العمرية، وميولهم الخاصة خلالها دون أن تغفل عن الاحتياجات. وأساتذتنا في علم النفس يرون أنه من الضروري المواءمة بين الكتاب وعمر الطفل في شتى المراحل.

وعندما كان حفيداي في عمر الرابعة والسادسة أهديت الصغير عدة كتب ابتهج لها كثيراً، وقلبها الأكبر عمراً، وهمس لي قائلاً: إنها تافهة.. وقد رأى ذلك لأنه قد عبر مبكراً في القراءة هذه المرحلة.. وكثيرون يعلنون رأيهم هذا في برامج التلفاز المعدة لسن ما قبل المدرسة، ومن الضروري أن نتابع باهتمام قراءة أطفالنا، لكي نساعدهم على اختيار الكتب المناسبة، شريطة ألا نفرض عليهم رأينا ومزاجنا الخاص.. ومن المهم أن يختاروا بأنفسهم الكتب التي يقرؤونها، على أن يتلقوا منا النصح والإرشاد، لا أكثر.. إن معرفة كل مرحلة في هذا الصدد تساعدنا وتمنحنا الفرصة للمساعدة على حسن الاختيار، وجدير بنا أن نعرف ما يصلح لكل مرحلة. وأذكر نموذجاً لتأثر الطفل بما يراه وما يقرؤه:

فقد لاحظ ابني طفلة وهو في الثانية من عمره تشرب اللبن من الطبق وقد مالت عليه، وأزعجه ذلك، فقال للصغيرة:

- اشربي مثل القطة
- وأين رأيت هذا؟
- في كتاب لجدي.

عودة الأطفال إلى ساحة الشعر

ومن المؤلم والمؤسف أن أطفالنا غائبون عن ساحة الشعر، وهو ديوان العرب، وأبرز فنون الأدب، والحقيقة أن الجميع آثمون في حق الشعر إلى حد أن شعر شوقي للأطفال لا يصل إليهم، وكذلك شعر الهراوي، وكامل الكيلاني، وإبراهيم العرب، ومعروف الرصافي.. بل ولا شعر سليمان العيسى «سورية»، فاروق سلوم «العراق»، وعلي الشرقاوي «البحرين»، وإبراهيم شعراوي، وأحمد زرزور «مصر»...إلخ. ذلك أن أساتذة اللغة العربية يحولون بين هؤلاء وأطفالنا في المدارس، ويقدمون لهم ما يجعلهم يكرهون الشعر على مدى العمر.. ولنا محاولات دؤوبة لجمع شعر الرواد وأيضاً تشجيع الأطفال على الإقبال على شعر المعاصرين، إلا أنها في تقديرنا، لم تلق ما هي جديرة به من نجاح.


سليمان العيسى

في مدارس البلاد المتقدمة يوقف المعلم درسه سواء كان في العلوم أو الرياضيات أو الاجتماعيات، ليقول: دقيقة للشعر.. ويلقي تلميذ، أو المعلم نفسه بيتين من قصيدة، تصل إلى عقل الأطفال ووجدانهم، ثم يعود المعلم إلى مواصلة درسه.

كتب المستقبليات ليست وحدها التي تعد الطفل للمستقبل، إذ هناك الكتب التي تشحذ ذكاءه، وتدفعه إلى التفكير الحر الخلاق البناء، وتثري لغته، وتجعله أقدر على التعبير عن نفسه

سألت صغيراً في سن قبل المدرسة عن أهم ما في حقيبة المدرسة، فأخرج لي كراسة الشعر، وقال لي:

- أحب ألفريد ديموسيه.
- كانت روضة أطفال فرنسية.

تيدهيوز شاعر البلاط في إنجلترا، سابقًا، كتب للأطفال أشعاراً بديعة، وكان يعد على مستوى سنين طويلة برنامجاً إذاعياً، يتلقى من خلاله قصائد الأطفال يذيعها وينبه أصحابها على سبل إجادة كتابة الشعر.

السؤال: ألا ندرك أهمية الشعر، كجناح لطائر الأدب، يحلق به عالياً، وبه يتعرف الطفل الأوزان والقوافي ويطرب بموسيقاه، ويستمتع بما فيه من فكر وصور ومشاعر!؟ إننا بحق بحاجة إلى حملة كبيرة كي نعيد أطفالنا إلى ساحة الشعر، كتابة وتلقيًا.. وكلنا أمل أن ترتفع صور الشعراء الكبار على جدران غرف أبنائنا كما ترتفع صورة شكسبير في كل بيت بإنجلترا، وصورة جوته في كل بيت ألماني..

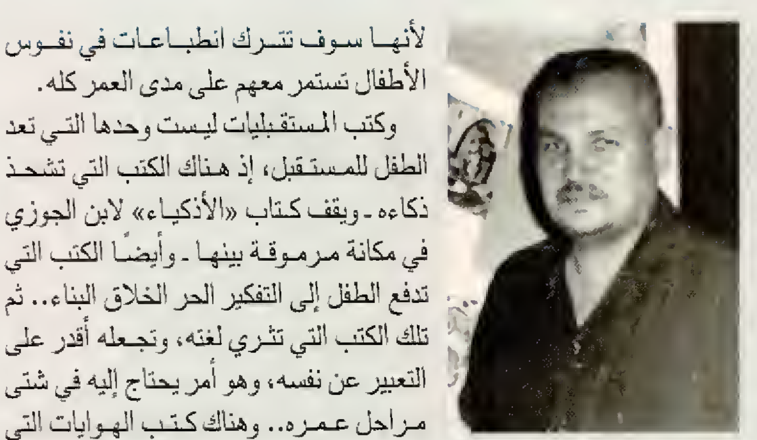
ونحن - العرب - أجدر بهذا، ويجب أن نقرأ الشعر لأطفالنا، وأن نجعلهم يحفظون نصوصه،وينشدونه في حماسة، ويكفي أن نشير هنا إلى لون منه، مجرد كلمات لا معنى لها، تتردد من خلال الأغاني الشعبية في كل لغات الدنيا: هامبتي - دامبتي، ماكدونالد لديه حقل، وعندنا: يا طالع الشجرة، عم يا جمال، علي يا علي، يا ليل يا عين....إلخ. كل هذه الأغنيات الشعبية تمس وجدان الطفل يرددها بفرحة، بديلا من أغاني الإعلانات..

إن علينا أن نعيد أطفالنا إلى ساحة الشعر، ونحببه إلى قلوبهم.

إعداد الطفل للمستقبل البعيد والقريب

وكثيرون يتصورون أن إعداد الطفل للمستقبل يعتمد فقط على الأعمال التي تتناول العلوم، وأدب الخيال العلمي، ونحن نعترف له بدوره وأهميته، ويكفي أن نشير إلى أن كاتب الخيال العلمي جون فيرن قد تنبأ بتسعة عشر اختراعًا واكتشافًا، تحقق منها سبعة عشر.. من الاختراعات «الغواصة» ومن المكتشفات «صعود الإنسان إلى القمر».

ومع ذلك فالمستقبل لا يعتمد على العلم وحده، بل لابد من صقل وجدان الطفل، وتدريبه على ألوان التفكير، وتحريره من قبضة التعصب، والتطرف، بجانب تربيته على القيم المعنوية، والروحية، وتنمية الإيمان بالله، وبالدين، وأيضًا الثقة بالإنسان وبنفسه، والقدوة الأسرية لها دورها، وللمدرسة مهمتها، وعلى أجهزة الإعلام ووسائل الثقافة مسؤولية في هذا الصدد.. كما أن المجتمع كله عليه أن ينهض بهذا العبء.. ولكل هذه الهيئات والأجهزة والمؤسسات أن تستعين بالأدب في إعداد الطفل للمستقبل.. وجدير بها أن تقدم الروائع الإنسانية من هذا الأدب، خاصة وقد تدفقت أعمال تسيء إلى الأطفال أكثر مما تفيدهم، فهي - وإن حققت بعض رغباتهم - كالروايات البوليسية - إلا أنها قد تضر أكثر مما تنفع، خاصة إذا أسرف الصغير في قراءتها وأدمنها.. وقد أصبح من الضروري أن تعد قوائم بالأعمال الأدبية الصالحة للأطفال ما قبل المدرسة بالذات؛ لأن الأدب الصالح لهذه المرحلة قليل، ونادر.. وهذه القوائم من الضروري أن تكون متوافرة في المكتبات العامة وفي الأسواق، على أن تكون في إخراجها ورسومها وطباعتها.. وورقها على أعلى مستوى؛


كامل كيلاني

لأنها سوف تترك انطباعات في نفوس الأطفال تستمر معهم على مدى العمر كله.

وكتب المستقبليات ليست وحدها التي تعد الطفل للمستقبل، إذ هناك الكتب التي تشحذ ذكاءه - ويقف كتاب «الأذكياء» لابن الجوزي في مكانة مرموقة بينها - وأيضًا الكتب التي تدفع الطفل إلى التفكير الحر الخلاق البناء.. ثم تلك الكتب التي تثري لغته، وتجعله أقدر على التعبير عن نفسه، وهو أمر يحتاج إليه في شتى مراحل عمره.. وهناك كتب الهوايات التي يستطيع من خلالها تعرف مجالات واسعة: رياضية، وأدبية، وفنية، وعلمية... إلخ. وهي تزيده معرفة بنفسه وهواياته ومواهبه، ويمكن لها أن تحدد له المسار مستقبلاً.

والأدب، بكل ألوانه يوسع من الخيال، والحاجة إليه ماسة، ومن هنا يجدر بنا أن نعقد بينه وبين الطفل صداقة دائمة ومستمرة.

وبعد..

هل انتصرنا للأدب، بصفته عنصراً أساسيًا في ثقافة الطفل، لأننا من كتابه؟ أم لأننا نؤمن به، وبدوره في التنشئة؟

كدت أنفجر غيظًا وأنا أسأل طالبات على وشك التخرج في إحدى كليات التربية، في أول محاضرة لي معهن:

- ماذا تعني عبارة أدب الأطفال؟

قالت واحدة في صوت واثق من نفسه: أن نعلمهم «الأدب».. صعقت، وسألت: هل درستن أدبًا من قبل؟ قالت..

- نعم الأدب في العصر العباسي..

- لماذا العباسي بالذات؟

- هو ما أذكره.

ساعتها أدركت أننا أمام كارثة ثقافية حقيقية. ان جامعية في آخر أعوام الدراسة لا تعرف معنى كلمة الأدب في اللغة الفصحى واللهجة الدارجة، وتخلط بينهما، وستصبح في العام الآتي معلمة لأجيال جديدة، وفي أعوام آتية أما عليها أن تحبب الشعر والنثر إلى ابنها.. ومن قبلهما القرآن الكريم؟!

ولعلي بهذا أطلق صيحة تحذير وإنذار لأولي الأمر، لكي يولوا أدب الطفل الرعاية والاهتمام، وأيضًا ثقافة الطفل، إنهما عدته للمستقبل القريب والبعيد.. اللهم قد بلغت.

جسور بودابست

ثائر صالح
بودابست - المجر

تتباهى بودابست، عاصمة المجر، بموقعها الرائع حيث يشطر نهر الدانوب المدينة شطرين، فهناك صوب بودا بتلاله وجباله الخضراء، وصوب بشت السهلي المنبسط. وتتواصل بودا وبشت بجسور سبعة، لولاها لهربت بودا إلى الغرب مبتعدة عن بشت الشرقية. وجسور بودابست تحف معمارية وفنية وسفر تاريخ وحوادث. شيدت ودمرت فشيدت، نصعت فتأكّلت ثم نصعت من جديد بعد تجديد فتجديد. انها فخر المدينة وعصبها النابض، فلولاها لأصيبت بودابست بالشلل التام.



صورة قديمة لجسر سيتشني ذي السلاسل

وأقدم الجسور وأجملها يتمركزان في قلب المدينة، ولا عجب، إذ إن بودابست المعاصرة لم تكن على الدوام بهذه السعة. ويمكن للمرء أن يتمشى على كورنيش الدانوب في صوب بشت ليتمتع بمنظر أقدم أربعة جسور خلال ساعة بعد المغيب. فيمر ليرى في صوب بودا جبل غلّيرت وعليه نصب الحرية، الذي يمتد عند قدميه جسرا الحرية:

المزخرف المطلي بالأخضر، وأرجيبت الأبيض الرشيق المعلق. ثم يأتي جبل القلعة الذي يعتليه القصر الملكي وباقي أبنية قلعة بودا، وعنده يربض جسر السلاسل وقوراً بالأسود الحجرية التي تحميه. وتلقاك بناية البرلمان المهيبة في صوب بشت قبل أن تصل جسر مارغيت الذي بني بزاوية منفرجة. هذه هي حدود المدينة القديمة، مدينة بودابست في بداية القرن العشرين التي توسعت كثيراً وعلى الدوام منذئذ.



جسر الحرية

تاريخ بودابست

كانت منطقة بودابست الحالية مأهولة منذ أكثر من ألفي عام، فقد عثر على بقايا قرية سكنها الكلتيون في القرن الثالث قبل الميلاد. وبحلول نهاية القرن الأول الميلادي أصبحت المدينة التي أسسها الكلتيون عاصمة لولاية بانونيا الرومانية باسم آكوينكوم Aquincum، وتقع في بودا القديمة اليوم. وكانت ولاية آكوينكوم تشمل الأراضي الواقعة إلى اليمين من نهر الدانوب. ويمكن مشاهدة الآثار الرومانية اليوم في بودا القديمة وغيرها، وبينها مسارح رومانية وحمامات وقنوات نقل المياه وفيلات.

سكن مناطق المجر الحالية وبودابست عدد من الشعوب، منها الهون الذين قدموا في عام ٤٠٩م. وعاثوا في أوربا التي كانت تخشاهم خشية النار من الماء، وتلتهم القبائل الجرمانية، ثم وصلت قبائل الآفاريين Avar بدءاً من القرن السادس الميلادي، وفي القرن الثامن السلاف، ومنذ أواخر القرن التاسع سكن المجريون هذه الأراضي التي يرويها نهران كبيران هما الدانوب وتيسا. وحتى اليوم نلمس هذا التنوع الإثني الذي ميز البلاد، فلم يمر قرن دون مرور شعب من الشعوب بهذه الأصقاع، على الرغم من الغلبة المجرية. هنا التقى الشرق بالغرب، وتمازجا، إذ مرت شعوب تركية وإيرانية ووسط آسيوية وجرمانية ونمسوية، وعبرت جيوش وثنية وصليبية، فرنسية وسلافية، ونازية ألمانية وحمراء سوفييتية، كل ذلك أسهم في غنى حضارة المجر وثقافتها، وأثّر فيها سلباً وإيجاباً.

عند تأسيس الدولة المجرية وتحول المجريين الى المسيحية في عام ١٠٠٠م، لم تكن هذه المنطقة عاصمة بعد، لكنها بدأت بالتطور التدريجي بخاصة منطقة قلعة بودا. وبعد أن دمر المغول المجر في عام ١٢٤١م، أمر الملك بيلا الرابع بإعادة بناء المدن وتسويرها لحمايتها، وأمر بنقل العاصمة إلى قلعة بودا لمنعتها. عاشت بودا والمدن المرتبطة بها في عصرها الذهبي أيام الملك ماتياش في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي. وماتياش أحد أعظم ملوك المجر، رعى العلم والأدب والفن وكان بلاطه من أرقى بلاطات أوروبا آنئذ. بعد وفاة ماتياش بفترة قصيرة اندحر المجريون في معركة موهاتش أمام الجيش العثماني الذي كان يتوغل عميقاً في أوربا، كان ذلك في عام ١٥٢٦م. وقد استولى الأتراك العثمانيون على بودا لاحقاً في عام ١٥٤١م، وبقوا فيها حتى تحريرها في عام ١٦٨٦م على يد جيوش آل هابسبورغ النمساوية، وبعبارة أدق، تخلص



المجريون من الاحتلال العثماني ليقعوا في ربقة الاحتلال النمساوي. خلال فترة الحكم العثماني شيد الأتراك بعض الأبنية في بودابست وأهمها الحمامات العامة التي لا تزال تحتفظ بطابعها العثماني إلى اليوم.

ولتعويض النقص الشديد في السكان الذي حصل خلال فترة الحكم العثماني، قام النمساويون باستقدام الكثير من الصرب والكروات والألمان الشفاب والسكسون وإسكانهم في بودا وبشت وما حواليهما، وفي باقي الأراضي المجرية. ولا تزال بعض المناطق القريبة من بودابست تتميز بالتنوع الإثني هذا، مثل مدينتي بوداأرش وبوداكسي (مسقط رأس يوشكا فيشر وزير الخارجية الألماني) الملاصقتين للعاصمة، وتعدّ هذه مدناً ذات أقلية ألمانية، أما مدينة سنت أندره الجميلة مركز الفنانين التشكيليين القريبة من بودابست، فهي تتميز بأقليتها الصربية.

لم تكن بودابست دوماً مدينة واحدة كما هي عليه الآن، فقد جرى توحيد ثلاث مدن في عام ١٨٧٣م لتكون بودابست المعاصرة، عاصمة المجر. والمدن الثلاث المستقلة هي بشت Pest، وبودا Buda، وبودا القديمة! ŌBuda. وكان عدد التجمعات السكنية المنفصلة أكثر في السابق، جرى دمجها إدارياً وبشكل تدريجي في بودابست الكبرى،



ففي عام ١٩٥٠م دمجت ٧ مدن و ١٦ قضاء ببودابست الموحدة.

بعد توحيد المدينة في عام ١٨٧٣م، بدأ النمو العمراني والاقتصادي والسكاني والثقافي، وبنيت الأحياء الحديثة والكثير من الجسور والأبنية العامة احتفالاً بالذكرى الألفية لقدوم المجريين في عام ١٨٩٦م، واستمرت المدينة بالتطور خلال القرن العشرين.

غير أن الحرب العالمية الثانية جلبت الكثير من الدمار للعاصمة المجرية، فبعد حصار بودابست وقصفها من قبل الحلفاء، دُمِّر نحو ثلاثة أرباع الأبنية أو أصيب بأضرار كبيرة. ولم يقتصر الدمار على قصف طيران الحلفاء وبالذات الطيران الأمريكي بالدرجة الاولى، فقد فجر الجيش النازي المنسحب كل جسور بودابست عند انسحابه ليقطع الطريق أمام الجيش السوفييتي المتقدم في شتاء ١٩٤٤م - ١٩٤٥م.

تاريخ الجسور على الدانوب

يبدو أن الإمبراطور الروماني تراجان كان أول من أمر ببناء جسر على الدانوب، قام على عشرين عارضة، وكان يعد من أكبر الأعمال الهندسية في ذلك الوقت. وكانت وظيفة الجسر تسهيل حركة الجيش الروماني باتجاه الحدود


رسم قديم لجسر خشبي


جزء من جسر سيتشني كما يبدو من على سطح الماء


جسر الحرية خلال البناء في عام ١٨٩٥م


جسر مارغيت بعد أن دمره الألمان في الحرب العالمية الثانية

الشمالية الشرقية للإمبراطورية. لكن وجود مثل هذا الجسر في الوقت نفسه يسهل للقبائل الجرمانية وغيرها، المعادية لروما، عبور الجسر، لذا أمر الإمبراطور هدريان بتدميره.

وجرت عدة محاولات لبناء جسر ثابت من قبل الملوك المجريين لاحقاً، لكن وسائل العبور الأساسية بقيت قروناً دون تغيير: القوارب، وخوض مخاضات النهر في الصيف عند انخفاض منسوبه، أما في الشتاء فكان الناس يعبرون على الأقدام أو الدواب أو على العربات فوق الجليد المتجمد، الذي يقوى برش التبن والماء عليه ليتجمد ويتماسك ويزداد سمكه.

وفي فترات متأخرة، بدأ تشييد جسور عائمة على القوارب تربط بين الصوبين، منذ القرن السادس عشر الميلادي. ونجد في واحد من دفاتر والي بودا في عام ١٥٥٦م تفاصيل عن تكاليف احتياجات الجسر العائم من حبال وغيرها. وجدد الوالي مصطفى سوكولي باشا في عام ١٥٧١م الجسر الذي مر عليه بعدئذ عدد من النكبات، من زلزال ١٥٧٨م إلى الحريق في عامي ١٥٩٨و ١٦٠٢م، إلى أن دمر الجيش العثماني الجسر نهائياً بعد طرد الأتراك من بودا في عام ١٦٨٦م..

في القرن الثامن عشر الميلادي جرى تشييد جسر عائم دام نحو قرن، وكان رأسه عند بودا يقع بين جبل قلعة بودا وجبل غلّيرت، وهي المنطقة المعروفة إلى اليوم بـ «تَبان» وهي تصحيف للتسمية التركية دبّاغ خانه، أي محلة الدباغين وقت العثمانيين، وهذا الموقع قريب من موقع جسر أرجيبت اليوم. وفي عام ١٧٦٧م شيد جسر عائم على القوارب، تكون من ٤٦ ـ ٤٧ قارباً حسب منسوب النهر. وكان الجسر مقوساً وفقاً لجريان نهر الدانوب. وكان الجسر يفكك قبل الشتاء خوفاً من تدمير قطع الجليد له، ويعاد شده في الربيع.

غير أن نمو البلدات الواقعة على صوبي النهر، وتزايد الحاجة إلى جسور ثابتة تربط بودا ببشت نتيجة للتطور الصناعي والاقتصادي والسياسي للبلاد في بداية القرن التاسع عشر، جعلا فكرة بناء جسر حجري تختمر في أذهان النبيل المجري الكونت إشتفان سَيتْشَني. وهيأ سَيتْشَني مستلزمات بناء الجسر من النواحي الهندسية



آثار الدمار بعد تحرير بودابست. صورة من جبل غليرت تبين جسر سيتشني المدمر، وفي خلفية الصورة الى اليمين جسر كوشوت وبناية البرلمان

والمالية على السواء. غير أن طبقة النبلاء عارضت المشروع بشدة، وتحولت قضية الجسر إلى قضية سياسية داخلية ملتهبة، إذ كان تسديد القروض اللازمة لبناء الجسر مستحيلاً دون فرض أجرة عبور أو جمرك على من يستخدم الجسر، بمن فيهم النبلاء الذين كانوا في السابق يتمتعون بمجانية عبور النهر. وفي الأخير انتصر مبدأ التساوي في تحمل العبء، وحصلت خطط بناء الجسر على الموافقات اللازمة من الجمعية الوطنية المجرية التي كانت تضم النبلاء، ومن البلاط النمساوي الحاكم.

وسافر سيتْشني وصديقه النبيل الكونت جورج أندراشي إلى إنجلترا لدراسة تصاميم الجسور هناك في عام ١٨٣٢م. وفي النهاية كلف الإنجليزي ويليام كلارك بتصميمه وجرى تنفيذ البناء من مواطنه آدم كلارك. وبعد سبع سنوات بدأ العمل في بناء الجسر. وقد تخلل البناء وقوع الثورة المجرية التحررية في عام ١٨٤٨م - ١٨٤٩م، وتبادل المجريون والنمساويون السيطرة على الجسر غير المكتمل عدة مرات، وحصلت محاولات لتفجير الجسر من الطرفين لمنع الطرف الآخر من التقدم، وكان أخطر محاولة هي تلك التي قام بها النمساويون في ٢١ مايو /أيار ١٨٤٩م عندما فجروه باستعمال ٤٠٠ كغ من البارود، ولحسن الحظ ما كان الضرر كبيراً، فقد استبدل بالأجزاء المتضررة لاحقًا، وافتتح الجسر رسمياً في ٢٠ نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٤٩م، وهو جسر السلاسل نفسه المعروف بجسر سيتْشني، والذي يمكن رؤيته اليوم وهو يمتد عند أقدام جبل القلعة، ويتشح كل مساء بحلة من الضوء البهي، وقد تحول إلى أحد أهم رموز العاصمة المجرية.

ويتصل بالجسر نفق طويل يمتد تحت جبل القلعة في بودا، وأسميت الساحة التي تصل الجسر بالنفق ساحة آدم كلارك تخليداً للمهندس الإنجليزي الذي بناه بكل تفانٍ وحرص. أما في صوب بشت، فنجد اليوم ساحة روزفلت، الرئيس الأمريكي المعروف، وتطل عليها بنايات مهمة مثل بناية أكاديمية العلوم المجرية وبناية وزارة الداخلية وبعض الفنادق الراقية.

أعيد بناء الجسر بعد تدميره في الحرب العالمية الثانية، وكان تدشينه بعد تدشينه الأول بقرن كامل، في ٢٠ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٩م. ومع التجديد استكمل بناء نفقي الترام تحته عند رأسيه ببودا وبشت. وكان المجريون قد شيدوا جسراً بعد التحرير يقع إلى الشمال من جسر

الجسور

- جسر آرباد: ويقع عند الطرف الشمالي لجزيرة مارغيت، صممه كاروي سيتْشي وبال شافوي وبني بين عامي ١٩٣٩و١٩٤٣م، لكنه لم يكمل إلا بين عامي ١٩٤٨و١٩٥٠م بعد تحرير المجر. أنجز توسيعه في عام ١٩٤٨م. فأصبح أطول جسر في أوربا الوسطى. وآرباد هو القائد القبلي المجري زعيم تحالف القبائل المجرية السبع الذي قادها إلى منطقة حوض الكاربات حيث يسكن المجريون اليوم، في نهاية القرن التاسع الميلادي.

جسر الحرية بعد تدمير الألمان له في الحرب العالمية الثانية

- جسر مارغيت: على الطرف الثاني من جزيرة مارغيت السياحية، صممه الفرنسي أرنست غوين، ونفذ البناء بين عامي ١٨٧٢و١٨٧٦م بطول ٦٣٨متراً، ويتميز بأنه غير مستقيم على عادة الجسور، بل ينكسر عند الالتقاء بالجزيرة ليشكل زاوية قدرها ١٥٠ درجة. جرى ربط الجسر بالجزيرة في عام ١٩٠٠م. دمر الألمان الجسر على دفعتين في ٤ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٤٤م والمرور يسير فوقه، وفي ١٨ يناير/كانون الثاني عام ١٩٤٥م. وأعيد بناء الجسر في عام ١٩٤٨م بشكل كامل، وجرى تجديده في عام ١٩٧٨م.



جسر أرجيبيت المعلق بعد تدمير الألمان له في الحرب العالمية الثانية

- جسر السلاسل: الجسر المعروف بجسر سيتشني، أول جسر ثابت على الدانوب في العصر الحديث، بني بين عامي ١٨٣٩و١٨٤٩م استناداً إلى تصميم المعماري الإنجليزي ويليام كلارك وتنفيذ آدم كلارك. لم ينج من بربرية النازيين، فقد فجروه عند انسحابهم. أعيد تجديده في عام ١٩٤٩م بعد مئة عام من إتمام بنائه، ويعد من أجمل

سيتْشَني بمسافة قليلة، يربط ساحة كوشوت وهي الساحة التي تطل عليها بناية البرلمان في بشت، بساحة باتياني في بودا، ودشن هذا الجسر المؤقت الجديد في ١٨ يناير/كانون الثاني عام ١٩٤٦م باسم جسر كوشوت تيمناً بقائد حرب التحرير المجرية في عام ١٨٤٨م لايوش كوشوت. بقي هذا الجسر قيد الاستعمال حتى عام ١٩٥٧م، وجرى تفكيكه في عام ١٩٦٠م.

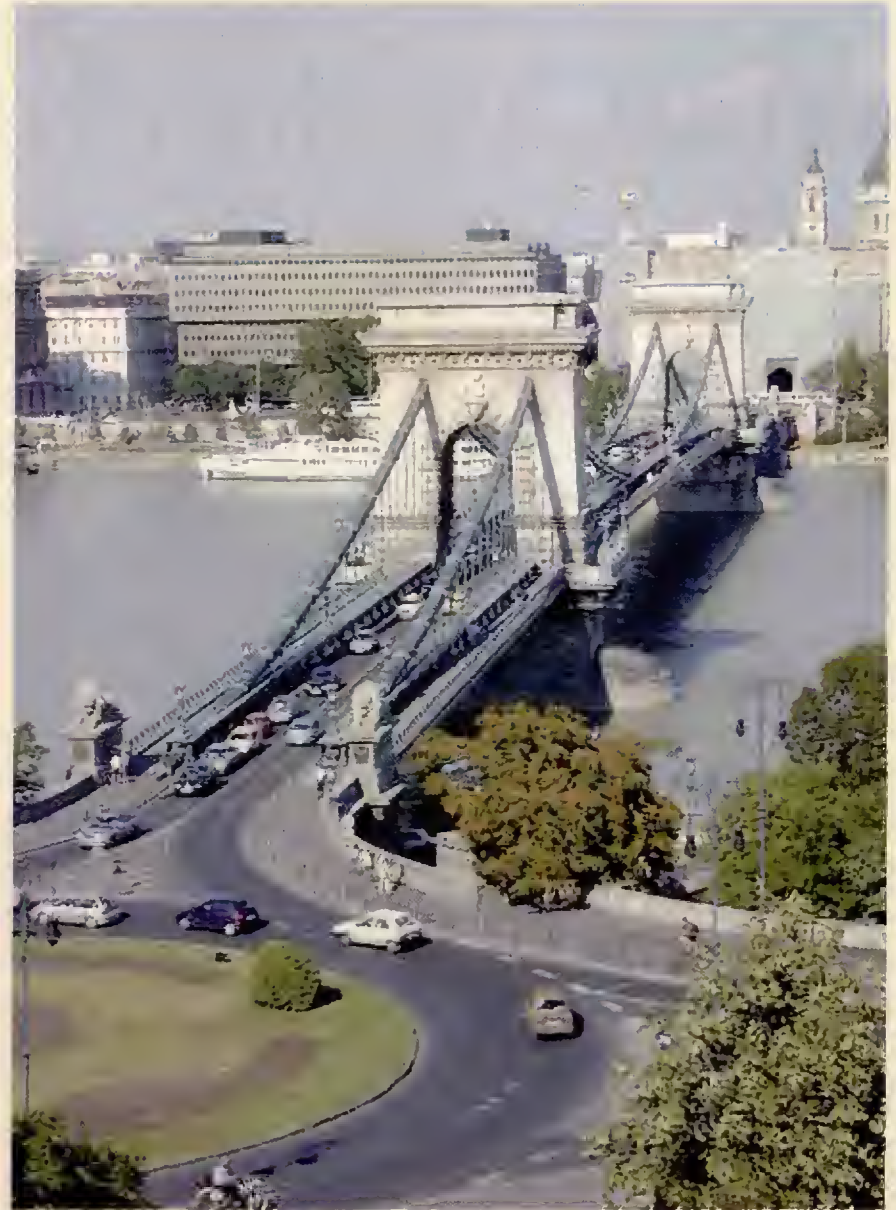
جسور بودابست.

- جسر أرجيبت: بني بين عامي ١٨٩٧و ١٩٠٣م، وسمي باسم أرجيبت Erzsébetوهو يقابل اليزابث، تكريماً للملكة أليزابيث زوجة الإمبراطور النمساوي فرانس يوزف. يبلغ طوله ٢٩٠ متراً، وكان في وقت بنائه أطول جسر معلق في العالم. فجره الألمان في ١٨ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٤٥م. بني محله جسر جديد في عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٤م، يتميز بجماله وأناقته ورشاقته.

- جسر الحرية: شيد بين عامي ١٨٩٤و ١٨٩٦م، وكان اسمه الأصلي جسر فرانس يوزف الإمبراطور النمساوي الذي أمر ببنائه. جدد في عام ١٩٤٦م بعد أن دمره الألمان. أحد أجمل الجسور، ولا يزال يحتفظ بالهيكل الحديدي الأصلي، لذا يفكر لمهندسون في إلغاء خط الترام الذي يعبره لتخفيف العبء عن هيكله القديم.

- جسر بتوفي: بني خلال الأعوام ١٩٣٣- ١٩٣٧م، وكان اسمه الأصلي جسر ميكلوش هورتي، وهو حاكم المجر في أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها، وكان حليفاً لهتلر. سمي بجسر بتوفي تخليداً للشاعر المجري الثائر شاندور بتوفي أحد أبطال الحرب التحررية المجرية عام ١٨٤٨- ١٨٤٩م. أعيد بناؤه في عام ١٩٥٢م بعد أن دمره الألمان كما فعلوا بباقي الجسور.

- جسر لاجمانيوش: أحدث جسور بودابست، دشن في عام ١٩٥٥م، وقد شيد بجوار جسر سكة الحديد الجنوبي الذي بني بين عامي ١٨٧٣و١٨٧٧م. يتميز بنظام إنارته النادر، إذ تعكس مرايا موضوعة على قمة أعمدة الجسر حزم الضوء الصادر من مصابيح عالية القدرة لتضيء الجسر بضوء لا يؤذي نظر سائقي السيارات.



جسر سيتشني

مصدر الصور: الكاتب والإنترنت.

«الباوباب» شجرة الأساطير!

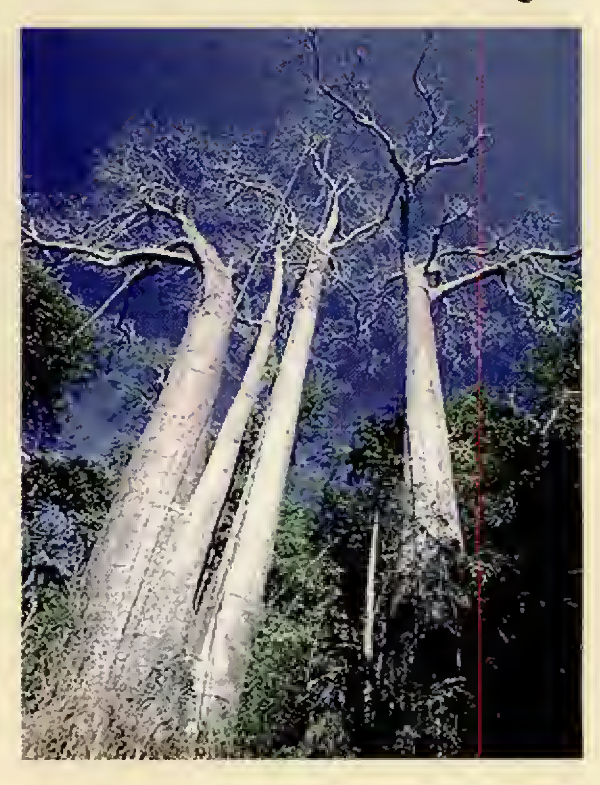
آي. أم. رايت أو. كُرفوت

ترجمة: فاضل كمال الدين

بابل - العراق

على الرغم من أن «البُشمان» يعتقدون أن الشجرة الأولى من أشجار «الباوباب» كانت قد زُرعت بشكل مقلوب (رأسًا على عقب) من قبل الضَّبُع - أي قوة الشر - لكنهم مازالوا يجدون استخدامات كثيرة لهذه الشجرة ذات المنظر الغريب.

ليست هناك شجرة أُخرى تُعطي انطباعًا حيًا بسعة القارة الإفريقية وتنوعها وروعتها كما تفعل ذلك شجرة «الباوباب» ذات الشكل الغريب، والتي هي جزء مكمِّل للتاريخ والأسطورة الإفريقيين.



وتنتمي شجرة «الباوباب» إلى عائلة من الأشجار ذات جذع سميك وتضم شجرة «البلْزا» وشجرة «السَّيْبَة». وتسمى هذه العائلة «أدانسيونا ديجيتاتا» على غرار اسم «ميشيل أدانسون» المستكشف الفرنسي والمختص بعلم الطبيعة الذي كتب في رسالة له بعث بها من «السنغال» في عام ١٧٥٤م: « لاحظت وجود شجرة ضخمة وغير عادية، استحوذت على اهتمامي كله. وأنا لا أعتقد أن أحداً قد شاهد ما يماثلها في أيِّ جزء من العالم».

وعلى الرغم من عدم اتِّصاف أشجار «الباوباب» بطول استثنائي، غير أن جذوعها ضخمة، وتوجد إحدى هذه الأشجار في تنزانيا لها محيط دائري يزيد على ١٣٠ قدماً. ويكون لوْن لحاء شجرة «الباوباب»، الناعم والكثير الطيّات، رمادياً ضارباً إلى اللون القرنفلي أو نحاسياً، وهو يماثل جداً جلد الفيل المتغضّن. وفي أعلى جذع الشجرة يوجد، في كثير من الأحيان، حوض مملوء بالماء توجد فيه أعداد كبيرة من البعوض الناقل للملاريا كما توجد فيه حشرات أخرى، وهو يشكل أحياناً للمسافرين مصدراً للماء.

وتظهر في تشرين الأول الأوراق الخضراء والأزهار البيضاء الجميلة على شجرة «الباوباب». وليست هناك رائحة طيبة تفوح من الأزهار المنزوية والمتذبذبة وذات



هناك استخدامات محلية كثيرة لشجرة الباوباب ذات المظهر الغريب فيُستخرج منها الصابون، والغراء، والسماد، وطارد الحشرات

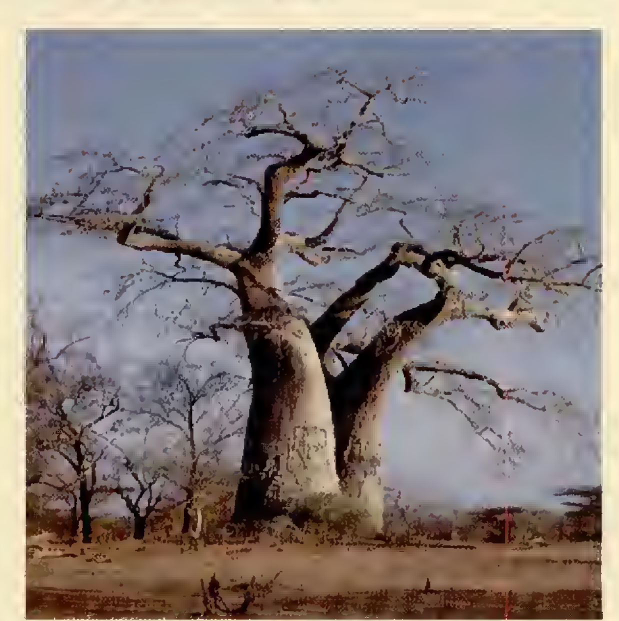
الشعيرات الرقيقة التي تحيط بها البتلات الشمعية الجميلة، غير أنه عند خدش تلك الأزهار تُرسل رائحة كريهة تذكر المرء برائحة اللحم المتفسِّخ.

وفي كانون الأول، تنتج شجرة «الباوباب» ثمرة مماثلة للقَرع وتسمى «خبز القرد»، وهي تتكون من عُليْبة يصل طولها إلى ١٢ بوصة ومن قشرة صلبة، وتحتوي على لُبّ لزِج مملوء بالبذور. وهذه الأشجار تعطي ثماراً بعد ثماني سنوات أو عشر من النمو، غير أن إنتاجها لا يكون غزيراً إلا بعد أن يتجاوز عمرها الثلاثين عاماً.

ولا يكون توزيع شجرة «الباوباب» توزيعاً منتظماً في مختلف أجزاء القارة الإفريقية. ولأنّ الموطن الأصلي لشجرة «الباوباب» هو إفريقية الاستوائية من حيث الأساس، فهي توجد شمالاً إلى حدّ السودان وتوجد جنوباً إلى حدّ «الترنسفال» في جمهورية جنوب إفريقية. ولا يكون توزيعها متساوياً على الساحل الغربي، غير أنها كثيرة الانتشار في معظم المناطق الساحلية ومناطق الشجيرات الشائكة في شرق إفريقية. ولا تزدهر شجرة «الباوباب» في إفريقية الوسطى، إلا في المناطق الواقعة إلى ما دون الخط ٤٠٠٠ قدم لأن انتشارها مقتصر عموماً على المناطق الحارة ذات الأمطار القليلة.

وتتخذ أشجار «الباوباب» موضوعاً للعبادة في بعض أجزاء القارة الإفريقية، ففي «موزمبيق» تكون هذه الشجرة هي طوطم (رمز مقدّس) قبيلة «سبولا» التي تصلّي لها وتعتقد أنّ أجدادهم كانوا يعتمدون في غذائهم على ثمرتها وحدها تقريباً. ومن الممكن أن يكون الأمر كذلك؛ لأن كل جزء من شجرة «الباوباب» يُستخدم لأحد الأغراض في الأماكن المختلفة. فالخشب الناعم والإسفنجي لهذه الشجرة يمكن أن يُدقّ ويُحوّل إلى

كانت أجزاء من هذه الشجرة تُصدَّر من السودان إلى أوربا لاستخدامها في أغراض طبية



يزيد محيط جذعها على ١٣٠ قدماً، ولذلك تعدّ واحدة من أسمك الأشجار في العالم

ألياف تكون ملائمة لصنع الحبال والحُصُرْ.

ويمكن تناول جزء كبير من هذه الأشجار كطعام. وتُستخدم ثمرة هذه الشجرة كمادة غذائية أساسية في أوقات شحّ الطعام. ويكون لُبّ الثمرة الحامضيّ المذاق باعثًا على الانتعاش عندما يُؤكل وهو طري ولو أنه يمكن أيضاً مزجُه بالماء وغليه. وأما بذورها السوداء، فهي ذات مذاق لذيذ وتشكّل بديلاً مقبولاً للقهوة عند سحنها، ولكنّ هذه البذور تكون محرمة لدى شعب «الإيلا» في زامبيا؛ لأن الشخص الذي يأكلها يعرِّض نفسه لخطر العَضّ من قبل التمساح!.

هناك قيمة غذائية كبيرة في أوراق «الباوباب» الغنية بالفيتامينات والمماثلة لأوراق السبانخ، وتكون الجذور الرقيقة لأشجار «الباوباب» اليافعة مماثلة لنبات «الهليون» (من الفصيلة الزنبقية)، وفي نيجيريا



يبلغ عمر بعض هذه الأشجار، ألفين من السنين

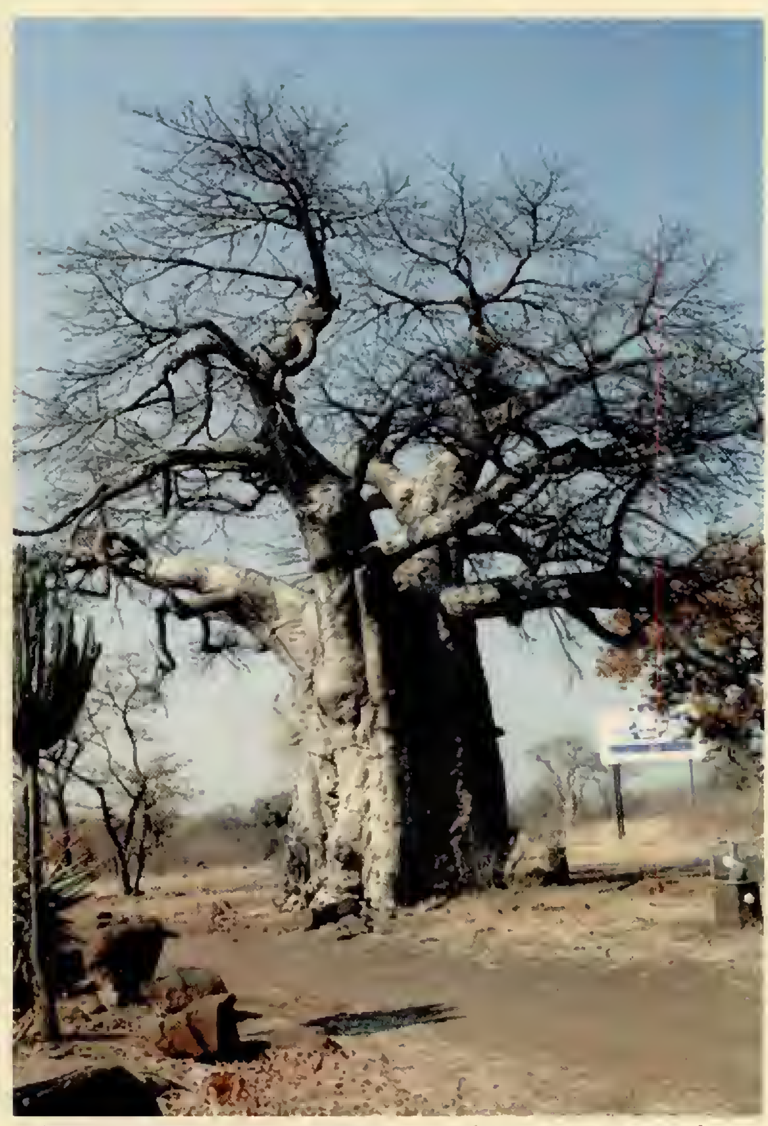
تستخدم الأوراق علفًا للماشية والخيول.

ويصف الأطباء المحليون جذور «الباوباب» وأوراقها ولُبّ أثمارها ولحاءها لكل مرض تقريبًا ابتداءً من اضطرابات الكلى وانتهاءً بألم الأسنان. وتستخدم أوراق هذه الشجرة علاجًا للزُحار واضطرابات التنفس ومادة وقائية من الحمى.

ويكون لحاء الشجرة بديلاً من مادة «الكنين». وعلى الرغم من عدم اعتراف الطبّ الحديث بالخصائص العلاجية لشجرة «الباوباب» غير أن هذه الخصائص كانت مشهورة، في وقت من الأوقات، بحيث إن السودان كانت تصدر أجزاء من هذه الشجرة إلى أوربا.

ولأشجار «الباوباب» استخدامات كثيرة على النطاق المحلي أيضًا. فيستخرج مثلاً صِبغ أحمر من جذورها. وتستخدم بذورها المسحونة جيداً سماداً ووقوداً. ويستخدم الرماد المستخرج من البذور المحروقة في صنع الصابون من قبل الأهالي، وفي صنع مادة لاصقة لجدران الأكواخ. وتستخدم قشرة فاكهتها الصلبة وعاء لحفظ السوائل أو السَّعُوط، وعندما تُسحق هذه القشرة فإنها تكون أحد مكوِّنات السَّعُوط نفسه. وعند حرق لُبّ فاكهة «الباوباب»، يتولد دخان يؤدي إلى إبعاد الحشرات عن المواشي. وحتى أزهار «الباوباب» يستخدمها الإفريقيون فيستخرجون منها مادة غَرويّة من حبوب اللقاح.

ولكن لحاء شجرة «الباوباب» هو الجزء الأنفع فيها، فهو يستخدم في دباغة الجلود، وفي صنع قبعات صامدة للماء (لا تتأثر بالماء). وتُصنع من اللحاء أيضًا أقداح الشرب ومصاف للبيرة. ويُستخدم اللحاء أيضًا في صنع الحبال وفي صنع أوتار الآلات الموسيقية، ويمكن أيضًا حياكته لصنع نسيج للألبسة، وهو يُصدر لاستخدامه في صناعة



تبدو أشجار الباوباب الإفريقية وكأنها جزرات هائلة الحجم بسبب ما تملك من جذوع ضخمة وأغصان متقزّمة ومعوّقة النمو

الباص شجرة «باوباب» تستوعب ثلاثين شخصًا. وفي مدينة أخرى هناك شجرة «باوباب» تستوعب خانة كاملة مع كراسيها. وتُستخدم أشجار «الباوباب» أوعية لحفظ الماء في السودان؛ لأنها تقلل من تبخر الماء، وتجعله مقبول المذاق ورائعًا طوال مدة الفصل الجاف.

وبعض القبائل في إفريقية الوسطى تعتقد أنّ «ريسا» إله المطر، يسكن في شجرة «باوباب» سماوية هي سقف العالم. وهناك قبائل أخرى تزعم أنه ليس هناك وجود على الإطلاق لأشجار «باوباب» يافعة، وإنما تُولد أشجار «الباوباب» الضخمة وهي مكتملة النموّ تمامًا. وهناك ما يسوّغ هذا الاعتقاد؛ لأن أشجار «الباوباب» اليافعة، وهي رشيقة وهزيلة، تناقض في شكلها الأشجار المنتفخة الأكبر منها عمراً ولوْ أن لها الأوراق نفسها طبعًا.

وهناك أسطورة لدى «البُشمان» تزعم أنه عندما أعطتْ الروح الأولى أشجارًا للجنس البشري الأول، فإنها قد أعطت لكل شخص شجرة ليزرعها. ولكنْ عند وصول الضَّبُع الحقير، والذي هو قوة الشرّ في دين «البُشمان»، لم يتبق من تلك الأشجار سوى شجرة واحدة فقط هي «الباوباب». فقام الضَّبُع، الراغب في الإغاظة، بزرع تلك الشجرة بشكل مقلوب (رأسًا على عقب).

ونحن نجد، في الواقع، أنَّ أغصان شجرة «الباوباب» الملتوية مماثلة لجذور الأشجار قليلاً.

ومن الأمور غير المعروفة عن شجرة «الباوباب» هو طول عمرها لأن جذع الشجرة لا يبيِّن حلقات سنوية متعلقة بالنمو، غير أن البحوث الحديثة ترفض النظريات التي تؤيد فكرة أنَّ لشجرة «الباوباب» عمرًا طويلاً جدًا. ومع ذلك، فالأشجار جزء أساسي من القارة الإفريقية؛ لأنَّ وجودها يبدو أمرًا محتومًا وهي تبدو غير قابلة للإتلاف.

نوع متين من أوراق التغليف.

ولحسن الحظ أن أشجار «الباوباب» تمتلك حيوية مدهشة، فهي تصمد أمام عمليات تجريدها من لحائها، وتبقى مزدهرة حتى بعد حرْق أجزاء داخلية فيها. وكثيراً ما تسكن في أشجار «الباوباب» المجوَّفة أعداد كبيرة من النحل البرّي، وكثيراً ما يقوم الأهالي بتعليق خلايا للنحل في هذه الأشجار.

ويصنع الإفريقيون بيوتًا لهم من جذوع أشجار «الباوباب» الحيّة. وفي إحدى المدن، يكون الوقاء في أحد مواقف

الاتصالات اللاسلكية المتنقلة في الألفية الثالثة

أبوبكر سلطان
الرياض - السعودية



تعدّ الاتصالات والشبكات حجر الزاوية في عصر المعلومات الحديث؛ إذ تشكّل طريقًا للمعلومات فائق السرعة. وتُضيف الاتصالات اللاسلكية المتنقلة بعداً يغني قدرات هذا الطريق في تدفق المعلومات وسرعة الحصول عليها من دون قيود المكان والزمان. وبانطلاقة الألفية الثالثة، انطلق أيضاً تطور متفائل في تقنيات الاتصالات اللاسلكية المتنقلة وخدماتها إلى الجيل الثالث الرقمي ذي الإمكانات الكبيرة. وانعقدت الآمال على أجهزة متنقلة لاسلكية شخصية على قدر من الذكاء والحوسبة في تقديم خدمات تقرب إلى الخيال العلمي، وتزيد من النمو الاقتصادي ورفاهية المجتمع. لكن هذا التطور تباطأ أمام صعاب وعقبات تقنية واقتصادية واجتماعية لم توضع في الحسبان. وزاد من ذلك ظهور متغيرات تقنية ومالية وتسويقية متشابكة وغير مستقرة وغير واضحة جعلت المستقبل غير مؤكد أمام شركات اللاسلكي للاستثمار في هذا التطور. وإن كان هناك بعض المحاولات لإنقاذ تطور الاتصالات اللاسلكية في الخروج من المأزق في الألفية الثالثة، إلا أنه مازال يعاني من التأخير ومن العقبات التي تبحث عن حل.

وقد شهد حجم التعامل في سوق المعلومات والاتصالات نمواً كبيراً في بداية الألفية الثالثة، وكان ذلك ـ بصفة عامة ـ نتيجة للتقدم السريع في تقنيات المعلومات والاتصالات وانخفاض تكاليفها في السنوات الأخيرة. وكان ذلك أيضاً نتيجة مباشرة للنمو السريع لشبكة الشبكات «الإنترنت». فلقد نما عدد الحواسيب المضيفة(١) في العالم من نحو مليون و ثمانمئة ألف عام ١٩٩٣م إلى نحو بليونين(٢) عام ٢٠٠٥م. وتبين أن عدد الحواسيب المضيفة ينمو باطراد فوق العادي بمعدل ٦٣٪ سنوياً. وازداد عدد مستعملي الإنترنت في العالم زيادة فائقة من نحو أربعة ملايين في عام ١٩٩٢م إلى ما يقارب عدد سكان العالم في عام ٢٠٠١م نحو خمسة بلايين نسمة. ويمكن تمثيل هذا النمو فوق العادي في عدد مستعملي الإنترنت بدالة أسّية أيضاً بمعدل ٦٣٪ سنوياً أيضاً.

جدول (١) تطور أجيال الهاتف المتنقل

الجيل	الأول	الثاني	الثالث	الرابع
الزمن	الماضي	الحالي (١٩٩٩ ـ ٢٠٠١م)	٢٠٠٢	٢٠١٠
الخدمات	هاتف متنقل للسيارات	صوت رقمي تراسل بيانات	دمج صوت عالي الجودة و مرئيات وبيانات ووسائط متعددة مع الإنترنت	تعليم وتدريب ومعالجة عن بعد. معلومات ديناميكية تفاعلية.
التقنيات	خليوي تماثلي خلايا كبيرة الحجم	بزوغ خليوي رقمي والدمج مع الإنترنت خلايا دقيقة الحجم	نطاق أوسع. ضغط المعلومات. ترددات عالية في الطيف. دمج إدارة الشبكات. تقنيات جديدة لدمج المتنقل مع الإنترنت.	شبكات تعتمد على المعرفة.

جدول (٢) تطور مقاييس الهاتف اللاسلكي للأجيال الثلاثة

الجيل	التقنية	الملامح الرئيسة
الأول	أمبس AMPS (٥)	إرسال تماثلي للصوت- من دون بيانات
الثاني 2G	سي دي إم إيه CDMA (٦)	إرسال رقمي للصوت
	تي دي إم إيه TDMA (٧)	معدل بيانات من ٦ر٩ ـ ٤ر١٤ ك بتة/ث
	جي إس إم GSM(٨)	بيانات أحادية الاتجاه عدا GSM
	بي دي سي PDC (٩)	اتصال البيانات غير دائم طوال الوقت
	دبليو ـ سي دي إم إيه(١٠) W-CDMA	صوت عالي النقاوة بيانات دائمة الاتصال حتى ٢ميجا بتة/ث
	سي دي إم إيه ٢٠٠٠ CDMA 2000 (١١)	خدمات وسائط متعددة تجوال محسن

وسيتغير شكل الاتصالات الشخصية اللاسلكية، وذلك للنمو السريع للهواتف الخليوية. فمن المتوقع أن تزداد مبيعات الهواتف الخليوية إلى نحو ٢٧٥ مليون وحدة في العالم عام ٢٠٠٣ بمعدل ٥٠٪ تقريباً سنوياً.. وقدرت الدراسات أن خدمات الاتصالات الشخصية الجديدة (مثل النظام الخليوي وربطه بالإنترنت والسواتل المتنقلة) ستزيد من نحو ثمانية وثمانين مليون مشترك عام ١٩٩٨م إلى ١٦٧ مليوناً في عام ٢٠٠٣م، وأن هناك ازدهاراً فائق السرعة في ميدان الاتصالات الشخصية اللاسلكية، وسيتصل كل شيء في أي مكان وفي أي وقت عبر البنية التحتية للاتصالات اللاسلكية المتطورة، ودمج التقنيات العالية بعضها ببعض، مثل: المكالمات الهاتفية عبر الإنترنت (أو الهاتف الإنترنتي)، والإنترنت اللاسلكي المتنقل، وربط الهواتف المتنقلة والمساعدات الرقمية الشخصية بي دي إيه PDA(٣) لاسلكياً بالإنترنت، والإذاعة الإنترنتية التي تقدم للمستمع برامج إذاعية حسب رغبته، والمرئيات حسب الطلب.

وعلى أعتاب الألفية الثالثة، ظهر الجيل الثالث G3 من نظام موحد للاتصالات البعيدة الرقمية المتنقلة بغرض توافق وتوحيد أنظمة الاتصالات المتنقلة المختلفة في آسيا وأوروبا وأمريكا في شبكة اتصالات عالمية تسمى الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية ٢٠٠٠(٤). وتعمل الشبكة في بيئات مختلفة، وتدعم الوسائط المتعددة، وترتبط مع الإنترنت و«الويب» في الأجهزة الشخصية المتنقلة المحمولة على اليد أو في عروة معطف. وتجد هذه الشبكة الجديدة تطبيقات في التجارة الإلكترونية وتحويلها إلى ما يسمى التجارة المتنقلة m-Commerce، وفي الأعمال المصرفية، ومجالات التسلية والترفيه.

وتنبأت بعض مراكز أبحاث السوق أن يزداد عدد مستعملي البيانات على الهواتف المتنقلة اللاسلكية من ستة وعشرين مليوناً في عام ١٩٩٩م إلى ٢٤٠ مليوناً عام ٢٠٠٤ م في العالم. وفي الولايات المتحدة يتساوى

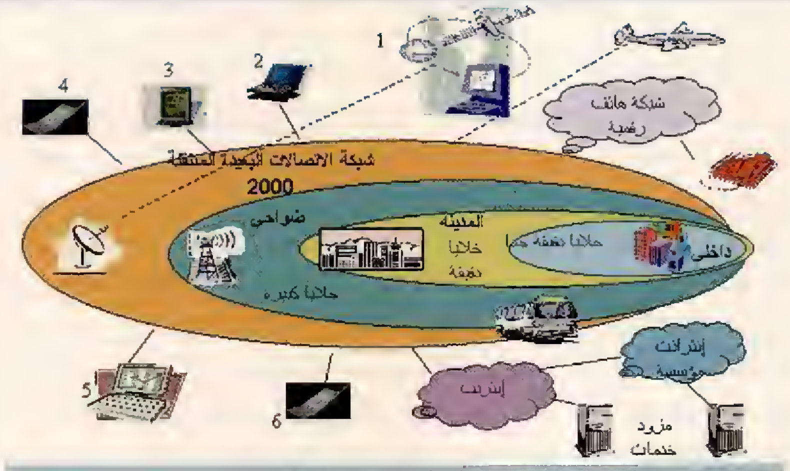
تقريباً عدد مستعملي الإنترنت مع عدد مشتركي اللاسلكي، وينمو هذان باطراد متساو أيضًا ليبلغ كل منهما نحو مئتي مليون عام ٢٠٠٤ م من نحو تسعين مليوناً فقط عام ١٩٩٩م.

وهكذا أضاف تطور الاتصالات اللاسلكية المتنقلة بعداً جديداً هو بعد «التنقل» والاتصال الدائم دون حدود، مما سيدفع بالاقتصاد إلى نمو أكثر اطراداً، وستجد لها سوقاً كبيراً في مجال الأعمال الإلكترونية عبر الإنترنت، والترفيه(خصوصًا بين الشباب)، ومن ثم سيزداد تدفق المعلومات وسهولة الحصول عليها، كل ذلك دون التقيد بمكان أو زمان.

وتعرض هذه الدراسة رؤية متعددة الجوانب للاتصالات اللاسلكية الرقمية وعلاقاتها المتشابكة. وستبدأ بنبذة من الإبداعات الأولى للاتصالات اللاسلكية، ثم تعرض الدراسة للتطور التقني من الجيل الأول إلى الجيل الثاني ثم الجيل الثالث للاتصالات اللاسلكية لتحفيز «الإنترنت المتنقل»، وكيف تطورت الشبكات والخدمات، وتطور أجيال الاتصالات اللاسلكية، وتطور الاتصالات البعيدة المتنقلة الرقمية العالمية، وتقنيات ربط الإنترنت مع الأجهزة المتنقلة الشخصية، ثم تناقش البعد الاقتصادي والاجتماعي له، والآمال المبهرة لتنبؤات الاتصالات اللاسلكية في الألفية الثالثة، ثم تعرج على الصعاب التي تعترضها. وتنتهي بمناقشة وخاتمة.

الإبداعات الأولى للاتصالات اللاسلكية

تعود الإبداعات الأولى للاتصالات اللاسلكية إلى نحو ١٠٠ عام مضت. ففي عام ١٨٩١م، اقترح أحد مهندسي شركة AT&T (إيه تي أند تي) للاتصالات الهاتفية نظامًا هاتفيًا من دون أسلاك. وفي عام ١٩٢٤م، قامت الشركة بتوريد أول نظام اتصالات لاسلكي متنقل لإدارة الشرطة الأمريكية. وفي عام ١٩٤٧م، نشر (د. هـ. ز رينج) مفهوم الهاتف الخليوي لتغطية خدمة هاتفية متنقلة لمركبات في أي مكان. وفي عام ١٩٦٢م، كان ظهور أول تطبيقات تجارية لنظام الهاتف الخليوي.



شكل (١) شبكة الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية ٢٠٠٠ وخدماتها

تطور تقنيات الاتصالات اللاسلكية

يدفع اندماج ثلاث تقنيات (وهي:اللاسلكي، والإنترنت، والصوتيات والمرئيات الرقمية) إلى التطور الحديث في الاتصالات اللاسلكية المتنقلة. ومر تطور الخدمات والتقنيات بأجيال ثلاثة، ويتلوها الرابع في المستقبل القريب. ويلخص الجدول (١) الآتي هذا التطور. ويلخص جدول(٢) موازنة لمقاييس الأجيال الثلاثة من أنظمة الهاتف النقال وملامحها ونبوءة الجيل الرابع!.

تطور الجيل الثاني G2 نحو الجيل الثالث G3 للاتصالات اللاسلكية

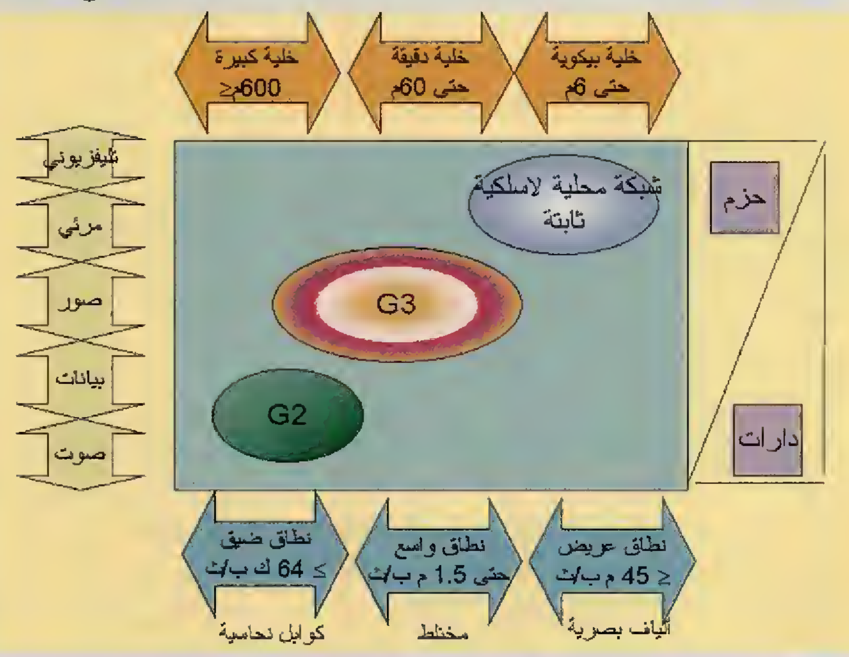
الأنظمة الموجودة حالياً للاتصالات البعيدة الرقمية المتنقلة تسمى أنظمة الجيل الثاني اللاسلكي G2 (١٢) و التي تشمل نظام النداء الآلي(١٣)، والهواتف اللاسلكية السماعة(١٤)، والهواتف الخليوية(١٥)، والسواتل المتنقلة باستخدام مقاييس مختلفة وغير متوافقة ومصممة فقط

لخدمات الصوت، وإمكانات محدودة لنقل البيانات. وفي بداية الألفية الثالثة ظهر الجيل الثالث G3 من نظام موحد للاتصالات البعيدة الرقمية المتنقلة. ويهدف إلى إنشاء نظام تتوافق فيه وتتوحد أنظمة الاتصالات المتنقلة المختلفة الحالية (في أوربا وأمريكا الشمالية و آسيا الباسيفيك) في شبكة اتصالات لاسلكية عالمية تسمى «الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية» Imt - 2000/2000(١٦)، ويتبناها الاتحاد العالمي للاتصالات البعيدة(١٧). وتعمل الشبكة في بيئات مختلفة مثل السيارات و خارج المباني وداخلها والسائرين على الأقدام والمكاتب والسواتل. ويدعم النظام خدمات حزم البيانات والوسائط المتعددة. وتتوافق هذه الشبكة الدولية مع الشبكات الثابتة للهواتف وتدعم تطبيقات نُطق التردد الواسعة للأجهزة الشخصية اليدوية المتنقلة، مثل المتصل الشخصي(١٨) والمساعد الرقمي الشخصي، وإمكانية التجوال(١٩) العالمي للاتصال في أي مكان وفي أي زمان دون استعمال مفتاح القطر ومفتاح البلد، والوسائط المتعددة (صوت وصورة و بيانات عالية السرعة والجودة) و دمجها والإنترنت في الهواتف المتنقلة. ويبين الشكل(١) تصوراً لما سيكون عليه شبكات وخدمات - Imt 2000 المختلفة.

وسيتطور معدل البيانات ومساحة الخلايا ونوع الخدمة من الجيل الثاني إلى الثالث كما هو مبين في شكل (٢). ولا يقل معدل البيانات عبر الشبكة في الجيل الثالث عن ١٤٤ كيلو بتة /ثانية للسيارات و٣٨٤ كيلو بتة /ثانية للسائرين على الأقدام، و تصل إلى ٢ ميجا بتة/ثانية داخل المكاتب. وتطورت الخدمة من صوت فقط في الجيل الثاني إلى خدمة تلفازية مروراً بالبيانات والصور. وتقلصت مساحات الخلايا من نحو ٦٠٠م إلى نحو ٦ أمتار. و تشغل الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية ٢٠٠٠ نطاق ٢ جيجا هرتز. ويمكن عدّها عائلة تجمع مقاييس أمريكية شمالية CDMA2000 ، وأوربية «نظام الاتصالات البعيدة المتنقل العالمي UMTS(٢٠)»، وآسيوية باسيفيكية WCDMA تقبل التشغيل التبادلي بينهم، كما هو مبين في شكل(٣).

وكان الدافع الرئيس لهذا التحول إلى «الجيل الثالث» اقتصادياً متمثلا في «التجارة المتنقلة»(٢١) ونموها المطرد. والدافع الثاني المهم هو النمو في حركة مرور المكالمات والبيانات والمعلومات، فمن المتوقع أن ترتفع حركة البيانات العالمية بحدة إلى زهاء ١٧٠ ألف مليون مليون بتة يومياً ويتخطى بمراحل الزيادة في مرور المكالمات (نحو ٦٠ ألف مليون مليون بتة يومياً).

أما حركة مرور الهاتف الخليوي فمن المتوقع أن تتضاعف من نحو ٢٠٠ دقيقة شهريا عام ١٩٩٩م إلى نحو ٤٠٠ دقيقة عام ٢٠٠٣م. وبصفة عامة ستنخفض رسوم حركة المرور ومن ثم ستزداد لكل مشترك ٣ مرات عام ٢٠٠٤م. وسيدفع هذا النمو والتطور في الاتصالات الشخصية العالمية إلى نمو وتطور آخرين في التجارة الإلكترونية لتخرج من المكاتب إلى الشوارع والشواطئ وفي الجو وفي أي وقت وفي أي مكان، أي ما يسمى التجارة



شكل (٢) تطور خدمات ومعدل البيانات ومساحة الخلايا من الجيل الثاني إلى الثالث إلى زيادة النطق وسرعة البيانات سيزيد من تفق المعلومات وسرعتها دون التقيد بمكان ولا زمان

شكل (٣) مجموعة المقاييس الأوروبية والأمريكية والأسيوية
تندمج في 2000 - IMT لتوفر تشغيل تبادلي بينها

أوروبا
UMTS

أمريكا الشمالية
CDMA2000

اسيا الباسيفيك
WCDMA

IMT 2000
الاتحاد العالمي للاتصالات البعيدة
ITU

(أو الأعمال) الإلكترونية المتنقلة (شكل ٤). ومن الطريف أن ظهر أخيراً في أحد الإعلانات التجارية (عن أحد منتجات هذه التقنيات العالية) شخص يهبط بمظلة من طائرة، ولكنه أخفق في فتحها، فقام بالاتصال بشركة التأمين وهو يهوي في الجو باستعمال «مساعده الرقمي الشخصي» عبر الإنترنت ليزيد من قيمة التأمين!.

ولكن أفادت إحدى الدراسات أن التحول إلى الجيل الثالث لن يبدأ إلا في حدود ٢٠٠٥ حيث تقوم شركات التشغيل بتجربة مرحلية تسمى 2GPlus أو 2.5G قبل التحول الكامل كما هو مبين في شكل (٥)، وكما ستعرضه الدراسة فيما يلي. ويبين جدول (٣) موازنة بين ملامح الجيل الثاني 2G والجيل المرحلي 2.5G والجيل الثالث القادم 3G.

التطور إلى نظام UMTS الأوربي

يبين شكل (٦) تطور مقاييس الاتصالات اللاسلكية من عائلة IS او «جي إس إم» إلى UMTS مروراً بمراحل مختلفة. وفيما يلي تعريف مختصر لها.

GPRS, HSCSD

قامت هيئة مقاييس الاتصالات البعيدة الأوربية إتسي ETSI (٢٣) بتطوير نظام GSM إلى نظامين: أحدهما يسمى إتش إس سي إس دي HSCSD (٢٤)، والآخر يسمى جي بي أر إس GPRS (٢٥)، وكان ذلك لزيادة معدل البيانات عن طريق إمكانات الخانات المتعددة Multi-Slot، وزيادة عدد المستعملين عن طريق التعددية.

Multiplexing

وتعدّ جي بي أر إس GPRS من الجيل المرحلي 2.5G، وتستعمل حزماً من البيانات، وتتيح التدفق المستمر لحزم بيانات بروتوكول الإنترنت IP في تطبيقات مثل تصفح الويب ونقل الملفات. وفيه ترسل معلومات الإنترنت إلى الهاتف المتنقل أسرع بكثير من الـ «جي إس إم» حتى ١٧٠ كيلوبتة/ث، حيث تقتصر خدمة الرسائل القصيرة SMS التي تقدمها الـ «جي إس إم» على رسائل لا تتعدى ١٦٠ بايت طولاً. وهي مكلفة بعض الشيء للمستعملين.

EDGE

أما ما يسمى إيدج EDGE (٢٦)، أي معدلات بيانات محسنة لتطور GSM، فهو معبر بين GSM والجيل الثالث اللاسلكي لمزودي الخدمات الذين يحتمل أو لا يحتمل تحولهم إلى UMTS وهو يوفر خدمات عالمية للصوت والبيانات والوسائط المتعددة. ويمكن الحصول به على معدلات عالية للبيانات باستخدام محسنات من HSCSD, GPRS. وتصل معدلات البيانات إلى ٣٨٤ كيلو بتة/ ث. والتضمين هو 8-PSK في قناة سعتها ٢٠٠ كيلو هرتز. وتعدّ شبكة UMTS أساساً مرحلة متطورة من GSM/ EDGE.

HSDPA

تنطوي فلسفة إتش إس دي بي إيه HSDPA (٢٧) على قيام محطة القاعدة بتحديد الهاتف المتنقل الذي يتمتع بأحسن حالات القناة اللاسلكية وتحديد المصادر اللاسلكية المناسبة له. وهي مزيج من TDMA و CDMA.

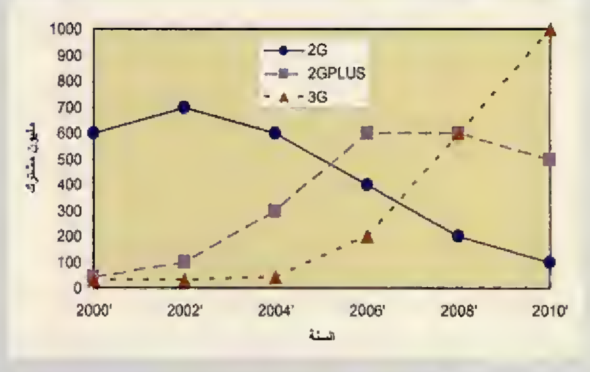
ويستخدم HSDPA تضمين وتكويد تكيفي(٢٨) مما يتيح معدل بيانات حتى ١٠.٥ ميجا بتة/ث. وللنظام إمكانية التكيّف مع ظروف القناة اللاسلكيــــة، وتنوع الإرسال(٢٩)، والذي يزيد من جودة المهاتفة والإقلال من القدرة المطلوبة من إرسال القاعدة، و«طلب متكرر أوتوماتي» ARQ(٣٠) مهجن (والذي يتفوق على تكيف الوصلة فقط)، والضبط الأوتوماتي الذاتي لحالات القناة اللاسلكية و زمن إطار أقل 3.33/55.33 مقابل ١٠ مللي ثانية). ويتميز HSDPA أيضا بسرعة اختيار الخلية المناسبة، وهو متطلب أساسي لمعدلات البيانات العالية، والتسليم السلس handoff، والإقلال من التداخل.

HDR

قدمت شركة كوالكوم Qualcom تقنية بيانات لاسلكية «إتش دي أر» HDR(٣١) بمعدل بيانات حتى ٢.٤ ميجا بتة/ث على قناة صوتية «سي دي إم إيه» CDMA ذات نطاق 1.25 ميجا هرتز. ويمكن تحويل عدد من قنوات



شكل (٤) التجارة الإلكترونية المتنقلة والوسائط المتعددة والبريد الإلكتروني على الهاتف المتنقل هم من صناعة المعلومات في الجيل الثالث وقوة دافعة للاقتصاد والترفيه



شكل (٥) التحول الكامل إلى الجيل الثالث ما زال بعيداً

«سي دي إم إيه» الصوتية الموجودة إلى قنوات بيانات. وبمزيج من «سي دي إم إيه» مع «تي دي إم إيه» يمكن في إتش دي أر HDR مشاركة أكثر من مستعمل على كل قناة عند ما يحتاج الوقت إلى ذلك، بعكس «تي دي إم إيه» التي تحجز خانة وقت ثابتة. ويتغير معدل بيانات الإنترنت في الـ إتش دي أر HDR حسب المسافة بين الهاتف الخليوي ومحطة القاعدة.

تقنيات ربط الإنترنت مع الأجهزة المتنقلة (الإنترنت المتنقل)

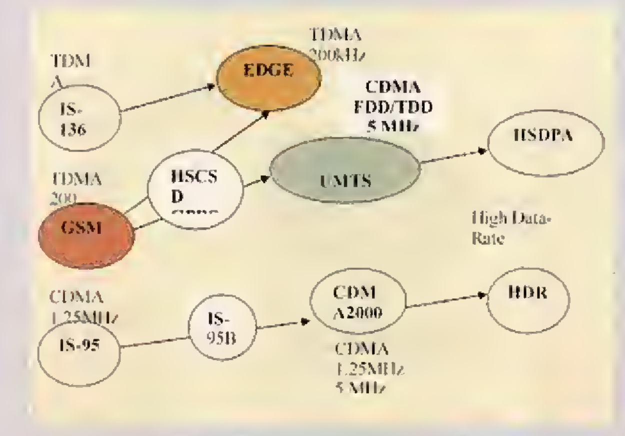
ظهرت عدة تقنيات لربط الإنترنت مع الأجهزة اللاسلكية الشخصية (المحمولة على اليد أو حول المعصم أو في أحد أزرار الرداء) مثل: الهواتف المتنقلة والنداء الآلي والمساعد الرقمي الشخصي PDA. ويمكن اعتبارها «متصفحات إنترنتية» دقيقة متنقلة. ومن أحدثها وأهمها الواب WAP وأي-مود i-mode. وكان هناك محاولات أخرى لكن يبدو أنهم بسبيلهم جميعاً إلى التحول والتوحد في تقنية مقياسية عالمية يحتمل أن تكون «الواب».

واب WAP

هي اختصار لـ Wireless Application Protocol أي «بروتوكول تطبيقات اللاسلكي». وهي مواصفات للاتصالات اللاسلكية مفتوحة عالمياً تتيح للمستعملين المتنقلين مع الأجهزة اللاسلكية الموجود فيها برمجيات «متصفح دقيق» من التفاعل مع المعلومات والخدمات عبر مواقع معدّة خصيصى في الإنترنت. وتبناه أولا اتحاد من شركات مثل: إريكسون ونوكيا وموتورولا، وألكاتل وميكروسوفت وأي بي إم......، وأصبح الآن يجمع أكثر من ٢٥٠ عضواً. وأنشأ الاتحاد صلات مع هيئات للمقاييس مثل إتسي ETSI ودبليو3 سي (٣٢) W3C. ثم أنشأ ما يسمى «منتدى واب» WAP Forum، وهي جمعية أو اتحاد يضم نحو ٥٠٠ عضو من الشركات والمؤسسات التي ساهمت في تطوير مقاييس المعلومات اللاسلكية والهواتف الرقمية والبرمجيات وما يماثلها. ويمثل أعضاؤها نحو ٩٠٪ من المؤسسات العاملة في سوق الأجهزة اللاسلكية الشخصية)، ومزودي خدمات لزهاء ١٠٠ مليون مشترك، ومطوري البرمجيات و مؤسسات أخرى تعمل في صناعة اللاسلكي، مما أعطى أهمية عالمية لهذه التقنية. وتنبأت

جدول (٣) موازنة بين ملامح الجيل الثاني 2G والجيل المرحلي 2.5G والجيل الثالث القادم 3G

الجيل الثاني 2G	الجيل المرحلي 2.5G	الجيل الثالث 3G
التقنية الحالية للهاتف المتنقل الرقمي	أحسن تقنية متاحة الآن	مزيج من الهاتف المتنقل والحاسوب المحمول والتلفاز
مكالمات هاتفية . فاكس	مكالمات هاتفية/ فاكس	مكالمات هاتفية/فاكس
بريد صوتي	بريد صوتي	تجوال عالمي
استقبال رسائل بريد إلكتروني بسيطة	إرسال واستقبال رسائل بريد إلكتروني كبيرة	إرسال واستقبال رسائل بريد إلكتروني كبيرة
. . . .	تصفح الويب ملاحة/خرائط أخبار .	تصفح سريع للويب ملاحة/ خرائط مؤتمرات مرئية تلفاز
.	.	أجندة إلكترونية / مواعيد / مساعد رقمي شخصي
سرعة البيانات: ١ كيلو بتة/ ث	سرعة البيانات: ٤٦ ـ ١٤٤بتة/ث	سرعة البيانات: ١٤٤ كيلو بتة/ث ـ ٢ ميجا بتة/ث
زمن إنزال أغنية MP3(٢٢) مدتها ٣ دقائق: ٣١ ـ ٤١ دقيقة	زمن إنزال أغنية MP3 مدتها ٣ دقائق: ٦ ـ ٩دقائق	زمن إنزال أغنية MP3 مدتها ٣ دقائق: ١١الثانية ـ 1.5دقيقة



شكل (٦) تطور المقاييس السابقة إلى نظام (UMTS)

بعض الدراسات أن تزداد نسبة عدد المشتركين في «جي إس إم» إلى نحو ٦٠٠ مليون عام ٢٠٠٤، ٩٠٪ منهم سيشتركون في «الواب». وسيدفع هذا الربط لتطوير تطبيقات التجارة الإلكترونية المتنقلة m-Commerce والتأثير في نمو الاقتصاد المحلي والعالمي.

وتستعمل التقنية في أجهزة شخصية رقمية لاسلكية مثل: الهاتف المتنقل، والراديو ذي الاتجاهين، والهاتف الذكي(٣٣) smart-phone، والمتصلات(٣٤) communica-tors، والمساعد الرقمي الشخصي «بي دي إيه» PDA. ويمكن استخدامه مع نظم تشغيل مختلفة مثل: «بالم»، «إيبوك» EPOC، و «ويندوز سي إي» Windows CE، و «أو إس/9 OS/9»، و«جافا أوإس JavaOs».

ويبين شكل (٧) موازنة بين النفاذ إلى الإنترنت بواسطة «واب» وبواسطة شبكة هاتف ثابتة. ففي نظام «الواب» يقوم مزود خدمة توكيلي Proxy Server بعمل واجهة بينية لشبكة الإنترنت وشبكة الاتصالات اللاسلكية. ويتكون مزود خدمة الواب التوكيلية WAP proxy server من بوابة، ومرمِّز encoder، وكاشف للترميز decoder، وتترجم البوابة طلبات من بروتوكول «الواب» (الذي يستخدم لغة WML إلى بروتوكول «الويب» WWW الذي يستخدم لغة HTML ثم تُرسل إلى مزود خدمة «الويب». ويقوم المتصفح الدقيق على جهاز اللاسلكي بإرسال طلب إلى المرمّز، ثم يقوم كاشف الترميز بإرساله إلى مزود خدمة «الويب». ثم يُرسل مزود «الويب» الاستجابة إلى المرمّز ثم إلى المتصفح الدقيق على الجهاز. ويقوم «المرمّز» و«كاشف الترميز» بترجمة مضمون «الواب» إلى صيغة موجزة تقلل من كمية البيانات المرسلة عبر شبكة اللاسلكي ذات النطاق الضيق.

وصممت «الواب» لتتلاءم مع بيئة الأجهزة المتنقلة الخاصة مثل: الشاشة الصغيرة والذاكرة المحدودة والنطاق المحدود والجيل الثالث. وهي تستعمل صيغة HTML(٣٥) وصيغة WML(٣٦) وتتيح «الواب» الفرصة للنمو السريع لخدمات ذات قاعدة عريضة من المستعملين مثل: خدمات راديو الحزم العامة GPRS، وبلوتووث Bluetooth (٣٧).

وإحدى سلبيات «الواب» هي الحاجة إلى عمل نسختين من الصفحة نفسها بلغتين: HTML وWML، وذلك لنشر هذه صفحة على «الويب» حتى يمكن رؤيتها على الأجهزة الشخصية التي تتعامل معه.

تقنية «ميكروسوفت» للمعرفة اللاسلكية

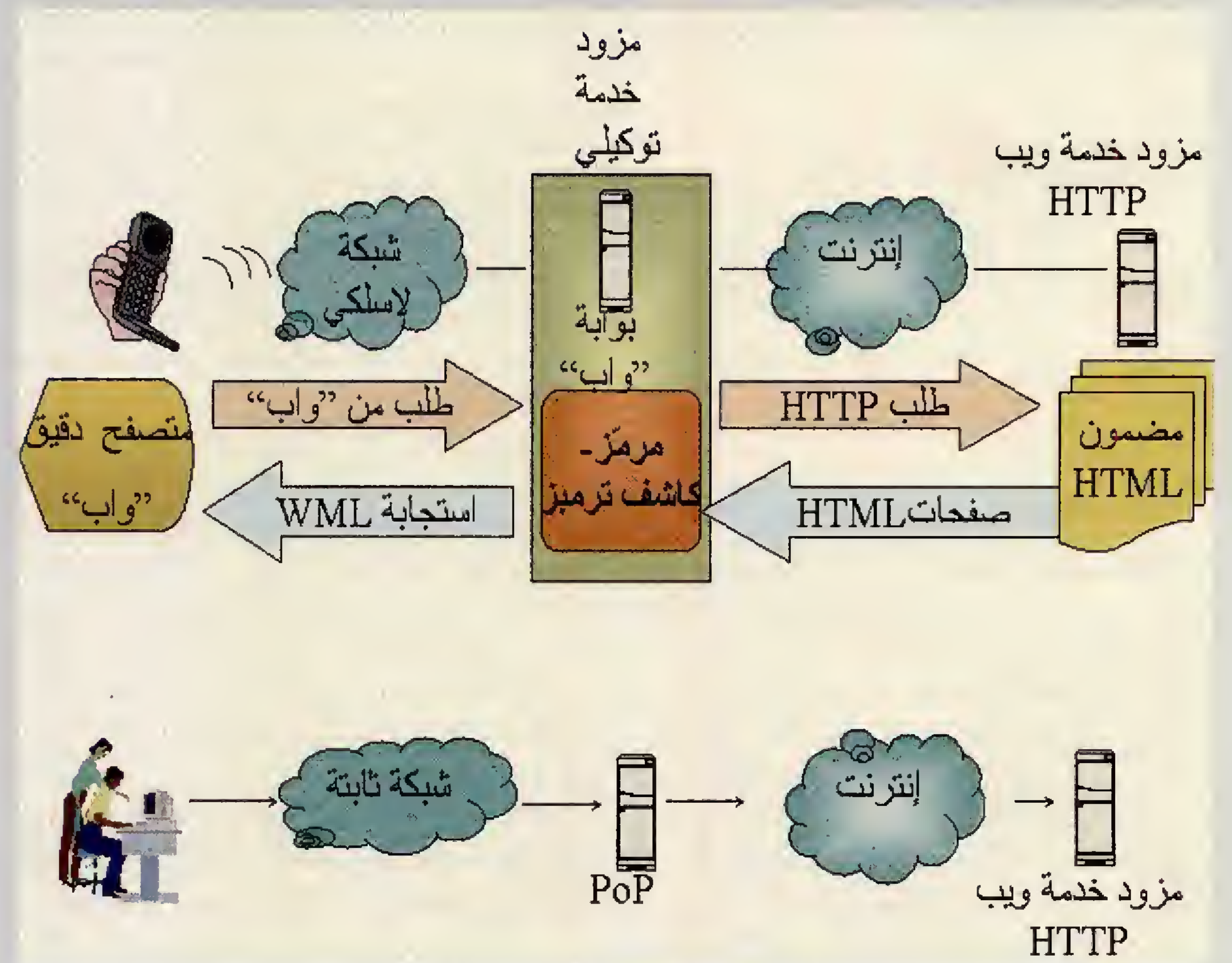
في غضون ١٩٩٩/٢٠٠٠م، كانت رؤية «ميكروسوفت» أن المستقبل سيكون لما أسمته «أجهزة الإنترنت»(٣٨) والتي تنبأت بأنها ستزيح الحاسوب الشخصي عن عرشه في المستقبل القريب. فأطلقت

نظاماً جديداً لتشغيل الأجهزة المحمولة على اليد يسمى ويندوز سي إي MS Windows CE، ثم تحالفت مع شركة «كوالكوم» لتكوين تقنية المعرفة اللاسلكية Wire-less Knowledge. ولكن انضمت ميكروسوفت حديثاً لاتحاد الواب وأظهرت مساندتها لـ الواب.

تقنية «بالم» Palm VII

جهاز بالم VII هو مساعد رقمي شخصي بي دي إيه PDA وفيه مودم modem لاسلكي من نوع موبيتكس Mobitex. وهذه الأخيرة هي تقنية شبكات بدأت عام ١٩٨٧م في الولايات المتحدة لأجل تراسل البيانات في اتجاهين، ولكن معدل البيانات يبلغ ٨ كيلو بتة/ث فقط مما حدّ من استعمالاتها. وتستخدم «موبيتكس» تقنية خاصة (غير مفتوحة) تسمى قصاصة ويب web clipping، وهي تقنية بسيطة لكن فعّالة لاستخدام النطاق الضيق للإنترنت المتنقل.

وأطلقت شركة «بالم» اسم بالم نت Palm.net على الخدمة التي تقدمها على جهازها المحمول يدوياً. وفي واقع الأمر لا توفر الخدمة «السباحة» عبر الإنترنت، ولكن تقدم خدمات محددة مثل البريد الإلكتروني، وحجز التذاكر، ومعلومات المرور. ويختلف بالم نت Palm.net عن «واب» أساساً في أن «الواب» بينما تمكن المستعمل من تصفح أي موقع يتعامل مع «الواب»، بينما تمكن بالم نت Palm.net فقط من تصفح المواقع التي سبق إنزالها على جهاز «بالم». والاختلاف الآخر هو أنه لا يقتصر استعمال «الواب» على شبكة معينة، بل يمكن استعمالها على أي شبكة مثل: «موبيتكس»، و«جي إس إم GSM»،



شكل (٧) مقارنة بين النفاذ إلى الإنترنت بواسطة «واب» وبواسطة شبكة هاتف ثابتة

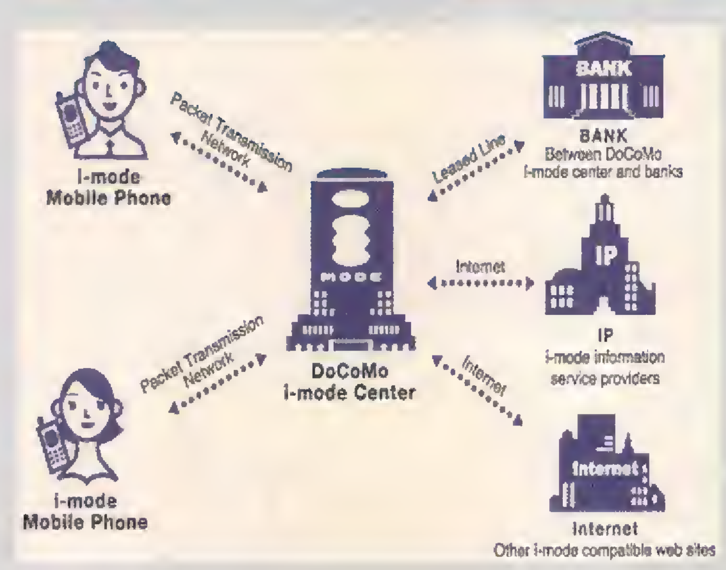
و«تي دي إم إيه TDMA، وسي دي إم إيه CDMA، وبي دي سي PDC (٣٩) ، وبي إتش إس PHS (٤٠)...الخ.

ويمكن استعمال تطبيقات «الواب» في نظام تشغيل «بالم»، فقد أطلقت «إريكسون» متصفحاً بتقنية «الواب» يصلح له. وأخيراً انضمت شركة «بالم» إلى «منتدى الواب» Wap Forum في عام ١٩٩٩م.

تقنية «آي مود» i-mode

هذه تقنية يابانية للإنترنت المتنقل على الأجهزة المحمولة يدويًا. وكان أول ظهور تجاري لها في ربيع عام ١٩٩٩م. وتعدّ «آي مود» i-mode أكثر الحلول نجاحاً للجيل الثالث من حيث الوظائفية، وسرعة الاستجابة للخدمة والانتشار. وكان إقبال المشتركين اليابانيين عليها كبيراً. ويعود نجاحها إلى الحلول الكثيرة التي تقدمها الأعمال المصرفية، ومعلومات المدن والمطاعم والمناخ، والبريد الإلكتروني، والنفاذ إلى المواقع المتوافقة معها، وكذلك الأسعار المعقولة (ين واحد للبريد الإلكتروني مثلاً)، وأيضًا وجود قاعدة عريضة من المشتركين (زهاء ٢٥ مليونًا عام ٢٠٠٠م). ويبلغ معدل البيانات ٩,٦ كيلو بتة/ث باستخدام إرسال الحزم. ولكن هناك صعوبة لأن تصبح مقياساً عالمياً، لأن المساند الوحيد لها هو شركة الاتصالات اليابانية للشبكات المتنقلة oNTT DoCoM، ولا تعمل إلا على شبكات الخليوي الرقمي الشخصي (بي دي سي) PDC اليابانية.

وتعدّ «آي-مود» إلى حد معقول مثل «الواب». إلا أن الفرق الرئيس هو إمكانية أجهزة «أي-مود» اليدوية التعامل مع نسخة مضغوطة لصفحات بصيغةHTMLالعادية على عكس «الواب» التي تتعامل مع صفحات خاصة بصيغة WML. ومع مرور الوقت وبجانب i-mode، أبدت شركة الاتصالات اليابانية مساندتها «للواب». ومن المتوقع مع نضج الجيل الثالث أن يتقارب الاثنان ويلتقيا لجمع مميزاتهما معًا. وفي سبيل ذلك عقدت «إريكسون» وشركة الاتصالات اليابانية للشبكات المتنقلة ورشة عمل لمناقشة الموضوع في أغسطس/آب ٢٠٠٠م. ويبين شكل(٨) البنية التحتية لـ «آي مود».



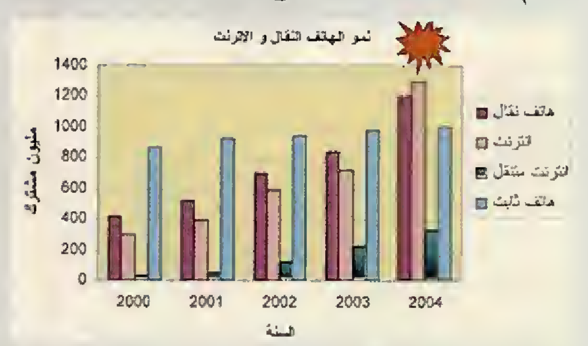
شكل (٨) البنية التحتية لـ i- mode

اقتصاديات الاتصالات اللاسلكية المستقبلية

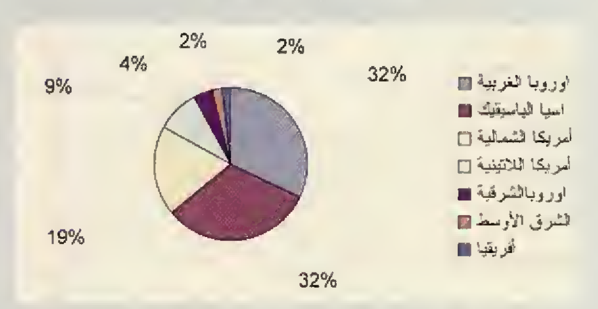
عقدت شركات اللاسلكي الآمال على توقعات مراكز الأبحاث ودراساتها بأن اقتصاديات الاتصالات اللاسلكية العالمية ستبلغ أكثر من تريليون دولار في بداية الألفية الثالثة وستمثل فرصة لجني الأرباح. فستنخفض تكلفة الأداء لدرجة أن ستتمكن الشبكات من نقل وسائط متعددة عالية الكفاءة ومنخفضة التكاليف وتوصيلها معتمدة على بروتوكولات الإنترنت. وسيبلغ حجم المكالمات الهاتفية نحو ١٪ من البيانات و الوسائط المتعددة التي تحملها الشبكات بأنواعها المختلفة. وسيتقلص العائد من الأولى بالنسبة إلى الثانية. وسينمو اقتصاد سوق البيانات المتنقلة بمعدل ٧٥٪ سنوياً ليصل إلى نحو ثمانين بليون دولار عام ٢٠٠٥م. وتتوقع الولايات المتحدة أن ينمو العائد من «التجارة المتنقلة» نمواً حاداً في السنوات الثماني القادمة ليصل إلى نحو مئة وعشرين بليون دولار عام ٢٠٠٨م.

وكما ستوجد الشبكات في كل مكان: محلية وواسعة ومؤسسية، وستبزغ برمجيات ذكية تجذب المستهلكين نحو سلع مختلفة من الصابون إلى السيارات الفارهة منشورة على «الويب». وستغير هذه التطبيقات من اقتصاديات صناعة البرمجيات والتي ستحسن من أداء الشبكات فتنتج تطبيقات جديدة تدفع إلى برمجيات متطورة. وهكذا سيتبادل الأثر والتأثير نحو التطور

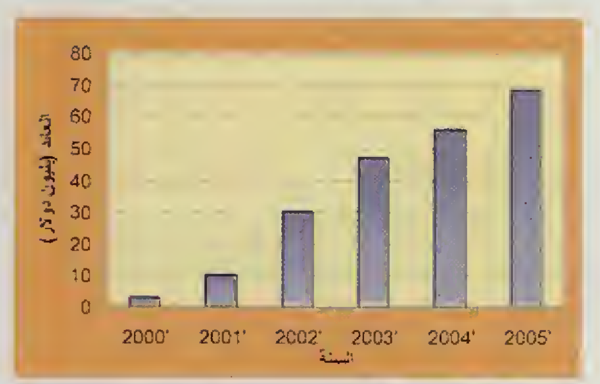
الدائم. وستوجد تطبيقات الحوسبة المتنقلة في كل مكان أينما ذهبت. ففي الجيل الثالث من نظم الاتصالات ستصغر الهواتف الخليوية وسيندمج فيها وظائف تفاعلية متعددة (بالإضافة إلى المكالمات الهاتفية في أثناء التجوال) مثل: تنظيم الأعمال الشخصية «بي دي إيه»، والاتصال بالإنترنت (إنترنت متنقل)، والقصاصات المرئية (الفيديو كليب) عند الطلب والموسيقى العالية الكفاءة، وشراء



شكل (٩) يزداد عدد المشتركين في الهاتف النقال باطراد ليفوق الهاتف الثابت عام ٢٠٠٥م، ويلاحق الازدياد في الإنترنت، وينمو بذلك الإنترنت النقال، بينما بدأ عدد المشتركين في الهاتف الثابت التقليدي في الاتجاه نحو الاستقرار



شكل (١٠) يتركز معظم مشتركي الخليوي في أوربا الغربية وآسيا الباسيفيك (١٩٩٩م). وفاق عدد مشتركي الخليوي في اليابان عدد مشتركي الهاتف الثابت الآن (٢٠٠١م)



شكل (١١) سيزداد العائد الاقتصادي من «التسلية المتنقلة» إلى نحو ٧٠ بليون دولار عام ٢٠٠٥م

التذاكر المختلفة وحجزها، والأعمال المصرفية والتجارية، والبريد الإلكتروني، ونقل البيانات، والمؤتمرات المرئية، والصحة عن بعد، والتعليم عن بعد، وتحديد المواقع بدقة.....إلخ. ولن يحتاج الأمر إلى تحديد وقت أو مكان لإجراء مقابلة شخصية وجهاً لوجه، فهناك تقنيات المعلومات من هواتف متنقلة وإنترنت وسوائل فتتم المقابلات إلكترونياً وتقدر شركة «إريكسون» الشهيرة في صناعة نظم الهواتف المتنقلة، بأن عدد المشتركين في النظم الخليوية في ازدياد مطرد وسيجاوز البليون (ألف مليون) عام ٢٠٠٤م ويتساوى مع عدد المشتركين في النظم الخليوية الثابتة كما هو مبين في شكل(٩). أما عدد المشتركين في «الإنترنت المتنقل(٤١)». فمن المتوقع أن يبلغ أكثر من ٣٥٠ مليون مشترك عام ٢٠٠٤م. ويتركز معظم مشتركي الخليوي في أوربا وآسيا الباسيفيك.وفاق عدد مشتركي الخليوي عدد مشتركي الهاتف الثابت في اليابان، كما هو مبين في شكل(١٠). وحديثًا بدأت شركة «إريكسون» و «سي إن إن» CNN خدمة إعلامية عن طريق «الإنترنت المتنقل»لنحو ٨٣ مليون مشترك بالخليوي في ٢٢بلداً.

وتنبأت «مجموعة جارتنر» لأبحاث السوق أن تُشكل «التجارة الإلكترونية المتنقلة» من خلال الهواتف الذكية و«الواب» ٤٠٪ من مجمل التجارة الإلكترونية من خلال الإنترنت في عام ٢٠٠٤م. وجاء في دراسة أخرى، أن سوق التجارة المتنقلة سيرتفع إلى ٥٠٠ بليون دولار عام ٢٠٠٥م في الولايات المتحدة وحدها. ومن المتوقع أن يزداد العائد الاقتصادي من «التسلية المتنقلة» (مثل: المرئيات، والموسيقى، والأشكال، والألعاب على الأجهزة المتنقلة الرقمية) إلى نحو ٧٠ بليون دولار عام ٢٠٠٥ م، كما هو مبين في شكل (١١)، ومعظمها من الألعاب.

الآثار الاجتماعية لمجتمع على اتصال متنقل دائم

سيحمل الناس (أو يرتدون) أجهزة لها بعض المقدرة الحاسوبية أحادية الوظيفة (الهواتف المتنقلة) أو متعددة الوظائف (كاميرا/موسيقي/مكتبة رقمية)، وكذلك مرتبطة بالشبكات المحلية أو الإنترانت. ويقدم الجيل الثالث طفرة كبيرة في تدفق الحصول على المعلومات حيث تعمل شبكة الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية في جميع البيئات وفي أي وقت وفي أي مكان في العالم،

وتدعم معدل بيانات عاليًا والوسائط المتعددة والارتباط مع الإنترنت. وهذه الأجهزة ستكون لها خاصية تفاعلية لاسلكية مع جميع المنتجات والخدمات التي يحتاج إليها المستهلكون. ومن أمثلة ذلك ارتداء كاميرا دقيقة مخبأة في زرار المعطف ومتصلة مع «بلوتوث» Blue-tooth. وتقوم الكاميرا الدقيقة بتسجيل من تقابله ويحتفظ الجهاز بسجل فيه. وعندما تقابل هذا الشخص مرة ثانية، يتعرفه جهازك، وتسمع بياناته في سماعة الأذن، ويقوم أيضاً بتحليل نبرات صوته لمعرفة حالته النفسية مما يساعدك في أثناء المفاوضات على اختراق خصوصيات النفس البشرية.

ويعدّ التسّوق نشاطًا اجتماعيًا، لذلك ستغير التجارة الإلكترونية المتنقلة من عادة التسوق التقليدية. فلن يكون هناك حاجة إلى التجول ساعات بين المتاجر للبحث عن أفضل الأصناف جودة وسعراً. فالأسعار والمواصفات حاضرة ٢٤ساعة في الأسبوع دون مشقة التجوال في الأسواق. وستكسد الأصناف غير المنافسة، وستتحول المتاجر إلى مزود بضائع وخدمات مفصلة طبقًا للحاجة الشخصية. فمثلاً عندما تجد بضاعة حازت إعجابك، تقوم بالإشارة إليها بهاتفك المتنقل الذي يقرأ شريط الرمز عليها وإعطاء بياناته. وبناء على موقعك يقوم الهاتف بتوجيهك إلى أقرب متجر يبيعه بأقل الأسعار. ويمكن أن يقوم الهاتف الذكي بتحديد المكان المناسب لوقوف سيارتك وأقرب محطة لتزويدها بالوقود.

وستوفر هذه الأجهزة المتنقلة مستوى معيناً من تحقيق الهوية والموثوقية، مثل رقم الهوية الشخصي PIN، وكذلك القياسات الحيوية Biometrics (٤٢) للتأكد من أن من يحمل الجهاز اللاسلكي هو صاحبه الحقيقي. ويفيد ذلك في تطبيقات مثل الدفع الإلكتروني e-cash

جهاز بث الإشارات والتقاطها

وفي البيئات التي تحتاج إلى انتظام الدور والصف مثلما في المستشفيات وحجز المقاعد والفنادق.

وإذا أردت أن أدفع لك ١٠٠٠ريال، فإني سأوجه هاتفي الذكي نحو هاتفك الذكي وأضغط ادفع ١٠٠٠ريال، التي تنتقل إلى حسابك إلكترونيا عبر الأشعة الحمراء أو عبر «بلوتووث». وسيتم تخزين المعاملة في شبكة الهاتف حتى لا تضيع إذا فقد الهاتف. أي أن لا حاجة إلى نقود ورقية ولا دفتر شيكات

ولا بطاقة ائتمان ولا مضاهاة التوقيع، وسيصبح المجتمع بلا نقود.

ويمكن أن يكون لهذا النمط من الحياة آثار تضعف من العلاقات الإنسانية في المجتمع وتحويله إلى مجتمع يتعامل مع آلات ذكية بلا روح وتزيد من الفردية والانعزالية. والخطر أن تزداد النظرة المادية الاستهلاكية المفرطة للإنسان والكون.

صعوبات وعقبات

لكن هذه التوقعات المبهرة اعترضتها أخيراً صعوبات أبطأت من سرعة التحول إلى الجيل الثالث خصوصاً في الولايات المتحدة وأوربا. فهناك تقارير تشير إلى أن الطلب على خدمات الجيل الثالث ليس مؤكداً، وليس كما كان متوقعاً. ويعود ذلك إلى عدم توافق المواصفات، والبطء في نمو الاقتصاد العالمي، وعدم استقرار التقنية، وبطء تحول المستعملين من التركيز على خدمات الصوت إلى خدمات البيانات. وهو ما يسبب تأخيراً ملحوظاً في التحول إلى الجيل الثالث حتى نحو عام ٢٠٠٥م. ومازالت بعض الشركات تفضل التجربة في الـ GPRSوفي EDGEفي أوربا والولايات المتحدة. وأبدت الشركات الأمريكية تحفظاً في الاستثمار لأنهم لا يريدون إنفاق مبالغ كبيرة لتحويل البنية التحتية إلى الجيل الثالث قبل التأكد من وجود طلب كاف يحقق لها ولحاملي الأسهم عائداً مجزياً.

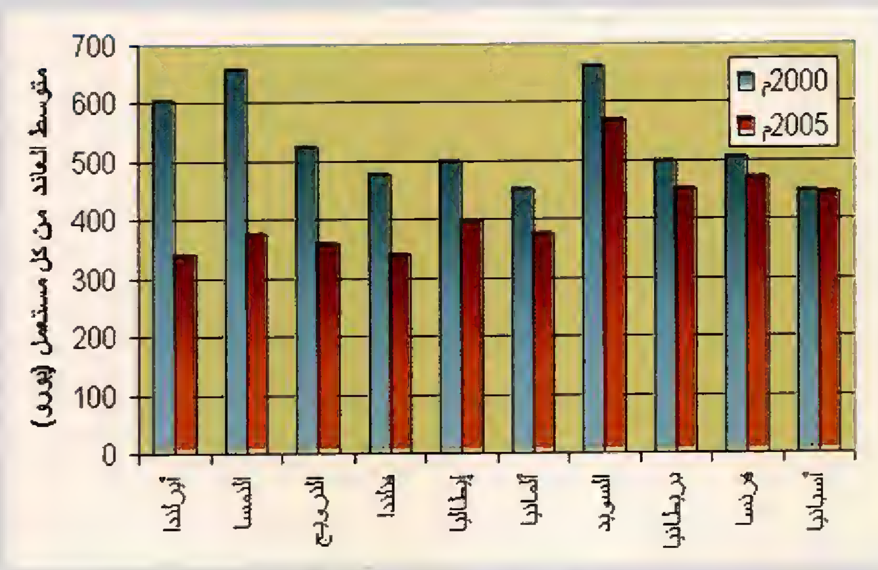
ويبدو أن رؤية تقنية IMT-2000للنور ستكون أمراً بطيئاً وصعباً ومكلفاً. فمازالت شركات التشغيل تحتاج إلى مزيد من الإنفاق للحصول على رخص ترددات لاسلكية والقيام بتحديث مكلف للبرمجيات والمعدات وأجهزة الاستقبال والإرسال للتحول إلى تقنيات الجيل الثالث. ويعدّ تركيب الأبراج (التي تقوم بالاتصالات مع الأجهزة اليدوية) مشكلة تقنية وسياسية. فتقدّر مؤسسة «فورستر للأبحاث» أن أوربا تحتاج إلى نحو ٠٠٠ر٧٠٠ برج، وإيجاد مكان لهم مشكلة عويصة. فلا توجد أماكن كافية في بريطانيا للازدحام الشديد بالأبراج لدرجة أن شركة بي تي British Telecomتفكر في تركيب أبراج منخفضة على أكشاك الهاتف العمومي، ويحتمل أن يستعمل آخرون أبراج الكنائس في مقابل مادي يصل إلى نحو ٠٠٠ر٦ جنيه إسترليني. هذا بالاضافة إلى خسائرها السابقة في استثماراتها الأولى. فبعد المزاد العلني الكبير للحصول على رخص الترددات اللاسلكية اللازمة للجيل الثالث في بريطانيا في أبريل/نيسان عام ٢٠٠٠م، سرت حمى مهووسة في البلاد الأوربية و الأسيوية لشراء رخص هي الأخرى، كما هو مبين في جدول (٤). ولكن يتنبأ المحللون أن يتقلص العائد من هذا الاستثمار بمقدار كبير (يصل إلى نحو ٤٣٪) عام ٢٠٠٥م، كما هو مبين شكل (١٢).

جدول (٤) تكلفة شراء رخص الترددات اللاسلكية للجيل الثالث في بعض البلاد الأوربية والآسيوية			
	تاريخ الإصدار	بليون دولار	دولار لكل شخص
إسبانيا	٣/١٩٩٩م	٠ر٥	١١ر٢
بريطانيا	٤/٢٠٠٠م	٣٥ر٤	٥٩٤ر٢
هولندا	٧/٢٠٠٠م	٢ر٥	١٥٨ر٩
ألمانيا	٨/٢٠٠٠م	٤٦ر١	٥٦٦ر٩
إيطاليا	١٠/٢٠٠٠م	١٠ر٠	١٧٤٢ر٢
النمسا	١١/٢٠٠٠م	٠ر٧	٨٦ر٠
النرويج	١١/٢٠٠٠م	٠ر٩	٢٠ر٥
كوريا الجنوبية	١٢/٢٠٠٠م	٣ر٣	٦٩ر٦
أستراليا	٣/٢٠٠١م	١ر٢	٣٠ر٣
سنغافورة	٤/٢٠٠١م	٠ر٢	٤٢ر٦

ومازال اتحاد الاتصالات البعيدة الدولي ITUيحاول إعادة حسابات الطيف لتوفير سعة كافية تسمح بتجوال عالمي سلس. وكما قال بعض المحللين: أن عدم وجود طلب كاف على خدمات الجيل الثالث يمثل عقبة رئيسة أمام استثمارات شركات التشغيل في التحول إلى الجيل الثالث. أضف إلى ذلك العقبات التي تصادفها «الواب». فعدد الأجهزة المتوافقة معه قليل لدرجة أن بعضهم قال: إن المختصر WAPتعني Where Are Phones أو «لم يكن في الحقيقة ممكناً Wasn't Actual-ly Possible ويعزون في أوربا

الاخفاق إلى «الواب» نفسه، حيث إذ لاقى انتقادات كثيرة منذ إطلاقه عام ٢٠٠٠م، مثل: البطء في التوصيل، ومحدودية المضمون، وصغر الشاشة.

ومازال هناك منافسة من i-mode اليابانية وكذلك من ميكروسوفت الأمريكية التي ستطلق قريبًا متصفحًا متوافقًا - مع «الواب» ولغة XML. وعلى الرغم من النجاح الذي حققته آي - مود i-mode، إلا أن شركة NTT DoCoMo صرحت أخيرًا أن هناك مشكلات في البرمجيات، وسيتأخر خدمات الجيل الثالث التجارية ستة أشهر أخرى.. وأجلت شركة الاتصالات البريطانية خدماتها التجارية مدة طويلة لوجود مشكلات في التسلم. وكان البطيء في البنية التحتية التي يحتاج إليها الجيل الثالث و GPRS سبباً آخر لعرقلة ازدهار «الواب». ويقول التاريخ: إن التقنية التي لا يتم تبنيها خلال الـ ١٨ شهراً الأولى من إطلاقها، تُصبح فرص نجاحها ضئيلة. وكما هو معروف، انخفضت أسهم شركات اللاسلكي في أوربا وأمريكا بعد الركود الاقتصادي العالمي الحالي، وأصبح هناك تحفظ في الاستثمار في البنية التحتية للجيل الثالث.



شكل (١٢) يتقلص العائد من الاستثمار في الجيل الثالث عام ٢٠٠٥م

ولإيجاد سوق يحقق عائداً وينقذ شركات اللاسلكي، لجأت بعض هذه الشركات أخيراً إلى سوق المراهقين (بين ١٢ إلى ١٩عاماً)، لملء نقص الطلب من رجال الأعمال والبيانات، بتقديم خدمات تناسبهم مثل: الرسائل النصية، الدردشة، الألعاب، الموسيقى. وبالإضافة إلى تقديم طرائق للدفع مشجعة لهم ولعائلتهم. ومن المتوقع أن تفوق نسبة الاختراق بين المراهقين نسبة السوق كله بحلول عام ٢٠٠٢م، شكل(١٣).

ولأن المرئيات ونقل الملفات الكبيرة تحتاج إلى نطاق أوسع، وقدرة عالية، وخليات مكثفة، فإن شبكة الجيل الثالث تحتاج من مثلي إلى ثلاثة أمثال عدد محطات القاعدة في شبكة «جي إس إم». وهذا يمثل تكلفة عالية ظهرت فيما أنفقته الشركات الأوربية في محاولات بناء شبكة الجيل الثالث (زهاء ٩٠ إلى ١٦٠ بليون دولار) غير تكلفة شراء رخص الطيف (قرابة ١٢٦بليون دولار).

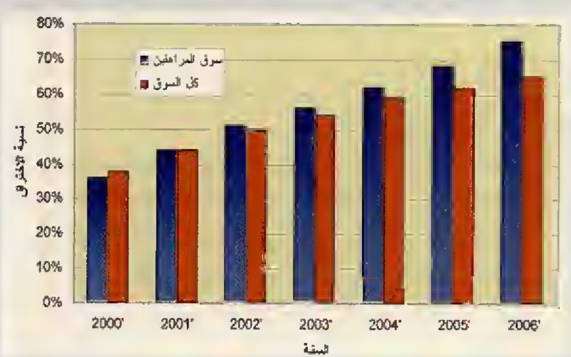
وكمحاولة لمواجهة الإفلاس، اقترحت بعض شركات التشغيل الأوربية حديثا (بدأت في ألمانيا وتبعتها بريطانيا والدانمارك وفنلندا وفرنسا والسويد...) السماح لهم بالمشاركة في محطات القاعدة والهوائيات ومعدات التحكم المركزية، لأنها أكثر أجزاء شبكة الجيل الثالث تكلفة. ولكن هناك تخوف من مبدأ المشاركة لانعدام المنافسة والإبداع، وأن الذي سيدفع فاتورة المشاركة هو المستعمل.

كذلك مازال السؤال عن مدى الأمان في التجارة الإلكترونية المتنقلة m-Commerce قائماً دون جواب شاف. وهي مشكلة تسويقية وتقنية في الوقت نفسه أمام شركات التشغيل. يكفي أن نتذكر أن مرّت سنون طوال إلى أن لاقت آلات الصرف الآلي قبولاً وثقة لدى الناس. وهي معركة صعبة لإقناع المشتركين في الإنترنت اللاسلكي بالأمان حين يضعون بيانات بطاقات الائتمان للتجارة إلكترونياً عبر الإنترنت المتنقل. والناحية الاقتصادية لا تقل صعوبة عن الناحية التسويقية. فلا يوجد حتى الآن مقياس موحد للأمان. وهناك مازال عدد كبير من الجماعات المتنافسة مختلفة في هذا الموضوع.

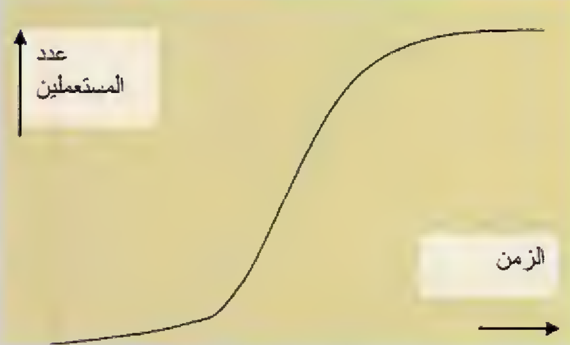
ويمكن لهذا الاضطراب في مقياس الأمان أن يؤدي إلى كابوس إذا قامت شركات التشغيل بتبني المقياس الخاطئ.

مناقشة وخاتمة

تحمست شركات اللاسلكي لمسايرة التطور من خدمات الجيل الثاني المحدود النطاق إلى الجيل الثالث الواسع النطاق السريع المعدل البيانات. وكانت تطبيقات إنترنتية دافعة لهذا التطور (مثل التجارة الإلكترونية المتنقلة) بناء على توقعات متفائلة من ناحية عدد المشتركين والعائد الاقتصادي. وكان من وعود الجيل الثالث زيادة إمكانات اللاسلكي من خدمات الصوت إلى خدمات البيانات إلى معدل يصل إلى ٢ ميجا بتة/ث. كذلك تحسين التجوال بين نظم الجيل الثاني غير المتوافقة في البلاد المختلفة جي إس إم، «تت يدي، م إيه»، «سي دي إم إيه». أضف إلى ذلك زيادة فعالية طيف شبكات الخليوي بمقدار الضعف عند التحول إلى الجيل الثالث. وكانت توقعات رئيس منتدى «الواب» في يوليو عام



شكل (١٣) تتجه شركات اللاسلكي إلى المراهقين كسوق يحقق لها تعويضاً عن النقص على الطلب لخدماتهم وزيادة عائداتها



شكل (١٤) مثال لمنحنى التبني التقليدي «حرف اس» الإنجليزي للعلاقة بين الزمن (الإحداثي السيني) وعدد المستعملين (الإحداثي الصادي)

١٩٩٩م «أن سيكون هناك عشرات الملايين من الأجهزة اللاسلكية المتنقلة ذات إمكانات تصفح الإنترنت».

ولتطور الاتصالات اللاسلكية وانتشار الأجهزة المتنقلة الذكية المحمولة أو حول المعصم أثر بالغ في النمو الاقتصادي. ولها أثر بالغ في تغيير الطريقة التي نزاول بها نشاطنا الاجتماعي في العمل وطرائق الشراء والتسلية وأسلوب التفاعل الاجتماعي والمحادثة. والأثر الاجتماعي المهم لمجتمع «دائماً متصل» هو اضمحلال «الخصوصية»، فمثلاً يمكن لمن يحمل جهازاً متنقلاً به كاميرا رقمية تسجيل الأشخاص وتصرفاتها. ولكن من ناحية أخرى، يُتيح الجيل الثالث نطاقاً واسعاً ومعدل بيانات عالياً تُزيد من تحسين خدمات التعليم والصحة نتيجة لتوافر المعلومات دون التقيد بالمكان والزمان، سائراً على الأقدام، أو في الجو أو في القطار أو داخل المكاتب، أو متنقلاً بين القارات.

ولكن، حتى الآن لا يوجد عدد كاف من هذه الأجهزة يحقق ما يسمى «منحنى التبني»(٤٣) adoption أو «منحنى الانتشار» diffusion، شكل (١٤). وهذا من ثم كان أحد أسباب تأخر تبني :الواب وغير متوقع أن يتم تغيير مئات الملايين من هواتف الصوت الخليوية بين يوم وليلة. وذلك يقود إلى السبب الثاني، فعدم وجود أجهزة كافية في السوق يمنع الحافز للاستثمار في البنية التحتية للجيل الثالث، والتي يجب أن تكون موجودة قبل توافر الأجهزة المتنقلة المتوافقة معها. وهذا يبين «آلية اقتصادية» معروفة باسم «النشوء المشارك» co-evolution، تحدث عندما يكون هناك نشوء تقنية يعتمد على نشوء تقنية أخرى (في هذه الحالة عدد الأجهزة المتنقلة من ناحية والبنية التحتية الرقمية من ناحية أخرى). والسبب الآخر هو أن الهواتف مصنوعة أساساً للأذن وليس للعينين، أي أن «الواب» سيحل مشكلة غير موجودة مادام المستعملون يفضلون الخدمة الصوتية.

كذلك هناك مشكلة الأمان في التجارة الإلكترونية بصفة عامة، وفي التجارة الإلكترونية المتنقلة بصفة خاصة مما أضعف هذا الحافز لتطور الجيل الثالث. وحتى الآن مازالت البحوث جارية لتطوير تقنيات أمان جديدة وحل مشكلات الموجود منها. ومن ناحية أخرى، فأجهزة البيئة اللاسلكية الإنترنتية مثل: «المساعد الرقمي



نمو متزايد في سوق المعلومات والاتصالات

الشخصي» و«المتصلات» و:الهاتف الذكي غير مصممة والأمان أحد أولياتها. وفي حالة هواتف «الواب»،يتم تحويل صيغة تشفير «الواب» WTLS(٤٤) المرسلة إلى مواقع التجارة الإلكترونية إلى صيغة تشفير «الويب» SSL(٤٥). وخلال عملية التحويل يتم فك التشفير فترة قصيرة. ويمكن أن تتعرض الرسالة للإختراق في أثناء عملية فك الشفرة هذه حتى لو كانت فترة قصيرة. ويصادف استعمال «القياس الإحصائي» في أعمال دفع النقود إلكترونيًا e-cash انتقاداً حاداً لأن الأمر يحتاج إلى التخزين المركزي للمعلومات الإحصائية. وهذا يسبب مخاطرة تتيح لقراصنة الشبكات النفاذ إلى هذه المعلومات الحساسة. وإن كان هناك محاولات خجولة من شركة «سيمنز» بتركيب قارئ أو مجس للبصمة الحيوية للمستعمل داخل جسمه، كما يفعلون مع الحيوانات في أوربا للتأكد من تطعيمها قبل عبورها الحدود. ومع أن هذا ممكن تقنياً لكنه غير مقبول اجتماعياً.

وسيؤدي ارتفاع أسعار الأجهزة اللاسلكية التفاعلية إلى تقسيم المجتمع رقميًا: أولئك الذين يستطيعون امتلاكها والتمتع بخدماتها العالية، وأولئك الذين لا يستطيعون. فمثلاً سيحقق الطالب الذي على اتصال دائم في أي مكان وزمان بالمكتبة الرقمية تفوقًا على زميله الفقير، وكذلك بالنسبة إلى الموظفين. وحينئذ ينتفي مبدأ تكافؤ الفرص في المجتمع وتزداد التفاوت بين فئات المجتمع مما قد يؤدي إلى اضطرابات لا تحمد عقباها.

ومن ناحية أخرى ظهر عدم استقرار في السوق وفي التقنية زاد من تأخير هذا التحول. فمازال غير واضح لدى الشركات أي نماذج الأعمال المناسبة للتسويق، وأي

نظم الأسعار تتخذ، وأي الخدمات تقدم، وما التكلفة الفعّالة للتحول؟ وهل يتم الاستثمار في الجيل الثالث في ظل الركود الاقتصادي الحالي وانهيار أسهم شركات اللاسلكي؟ ويحتاج التحول إلى الجيل الثالث إلى دراسة وافية اقتصادية-اجتماعية للظروف المحلية مثل: كم عدد المشتركين؟ وما هي نوعيتهم؟ وكيف تكون نظم الأسعار؟ وكم تبلغ تكلفة البنية التحتية اللاسلكية اللازمة للتحول؟ وهل هناك بديل أكثر نجاحاً؟. كلها أسئلة تنتظر دراسات وحلولاً وأجوبة شافية. واذا أمكن التغلب على هذه الصعاب، فليس من المتوقع أن يكون هذا قريباً ولا سريعاً

وباختصار هناك حالياً متغيّرات تقنية وتسويقية وتشغيلية ومالية غير مستقرة وغير واضحة ومتشاركة في التأثير في سوق اللاسلكي تعرقل للتطور إلى الجيل الثالث وجني ثماره، والله أعلم.

المصادر والهوامش

- أبوبكر سلطان، «التحول إلى مجتمع معلوماتي: نظرة عامة»، تحت النشر.
- http://www.ericson/org
- http://www.itu.int/
- http://www.ac.com/ecommerce/mcommerce_trends.html
http://www.forrester.com
- أبوبكر سلطان (مترجم)، «الاتصالات الشخصية اللاسلكية»، جامعة الملك سعود، النشر العلمي ، والمطابع، ١٩٩٨م (تأليف رون شنايدرمان).
-S. Pehrson, "WAP - The Catalyst of the Mobile Internet", Ericson Review No.1,200.
- http://www.nttdocomo.com/
- http://www.waptorum.org/
- Bell Lab Technology Seminar, Riyadh, Saudi Arabia, May 14 &15, 2001.
- Tery Sweenley The mercury isn't exactly going sky-high in the glob .al market for Slow Boil, tele.com, pp.51-56, Dec 6,1999.
- Ted Lewis, Why Wap may never get off the ground, Computer, pp.110-112, Computer, Aayg.2000.
- Neal Leavitt, Will WAP deliver the Wireless Internet?, Computer, pp.16-17, May 2000.
- David Clark,Preparing for new generation of Wireless Deta, Computer, pp.8-11, August 1999.
- Dee McVicker, "Teen Angles", tel.com, pp.51-56, May 14, 2001
- Sandra K. Miller," Facing the Challenge of Wireless Security", Computer, pp.16-18,July 2001.
- D. Haskin, Analyst: Smart Phones to Lead e-Commerce Explosion, Nov.1999. Available at: http://www/allneldevices.com/news/9911/91103ecomm/991103ecomm.html
- Strategy Analytics, Strategy Analytics Forecasts $200 Billion Mobile Commerce Market by 2004, Jan.2000. Available at: http://www.wow.co-com.com/newsline/press+releaso.cfm?press_id=862
- U. Varshney, R.J. Vetter and R. Kalakota," Mobile Commerce: A New Frontier, Computer, pp. 32-38, Oct. 2000.
- Nick Jones, The Social Impact of the Connected Society, Feb. 7,2001 Available at: http://www.gaetrner.com/DisplayDocument?id=323509
- John Blau," Europe's Cellulars To Share Infrastructure", IEE Spectrum, Vol.38, No.7, pp.20-22, July 20001.

١- الحاسب المضيف : Host هو حاسب في شبكة حواسيب يقوم بتقديم خدمات للشبكة ولتنفيذ «بروتوكولاتها» والتحكم في وظائفها.
٢- بليون = ألف مليون.
٣- بي دي إيه «PDA» Personal Digital Assistance حاسوب شخصي بحجم الكف يستعمل قلم لإدخال المعلومات و يتعرف على الكتابة اليدوية و يقوم بأعمال السكرتارية الشخصية.
٤- الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية International Mobile Telecommunication 2000 (IMT - 2000); 2000.
٥- أمبس : خدمة الهاتف المتنقل المتقدمة AMPS: Advanced Mobile Phone Service.
٦- سي دي إم إيه: منافذ متعددة بتقسيم الرمز CDMA: Code Division Multiple Access.
٧- تي دي إم إيه: منافذ متعددة بتقسيم الزمن TDMA: Time Division Multiple Access.
٨- جي إم إس النظام العالمي للاتصالات المتنقلة الرقمية GSM: Global System for Mobile Communication
٩- بي دي سي الخليوي الرقمي الشخصي PDC: Persona Digital Cellular.
١٠- دبليو- سي دي إم إيه : سي دي إم إيه واسع النطاق Wide-Band CDMA
١١- سي دي إم إيه ٢٠٠٠: معيارية حديثة للجيل الثالث تعتمد على معيارية انتقالية رقم ٩٥ (IS-95)
١٢- الجيل الثاني و الثالث اللاسلكي (Second G2 and Third Generetion less G3) of Wire-
١٣- النداء الآلي Paging.
١٤- هاتف لاسلكي السماعة Cordless Phone.
١٥- هواتف خليوية sCellular Phone.
١٦- الاتصالات البعيدة المتنقلة الدولية International Mobile Telecommunication 2000 (IMT - 2000); 2000.
١٧- الاتحاد العالمي للاتصالات البعيدة:International Telecommunications Union (ITU).
١٨- المتصل الشخصي: Personal Communicator نوع من الهواتف المتنقلة لنظام من الاتصالات الشخصية كلية الوجود.
١٩- التجوال Roaming
٢٠- نظام الاتصالات البعيدة المتنقل العالمي: Universal Tee-communications System UMTS.
٢١- التجارة المتنقلة Mobile Commerce (mCommerce).
٢٢- إم بي 3 - MP3: خوارزم مشهور ومنتشر لضغط الصوت الرقمي حتى ١٢ مرة دون التأثير على الجودة.
23- ETSI: European Telecommunications Standard Institute.
24- HSCSD: High-Speed Circuit-Switched Data.
25- GPRS: General Packet Radio System.
26- EDGE: Enhanced Data Rates for GSM Evolution.
27- HSDPA" High-Speed Down link Packet Access.
28- Adaptive Modulation and Coding.
29- Transmit Diversity.
30- ARQ: Automatic Repeat Request .
31- HDR: High Data Rete.
32- W3C: World Wide Web Consortium.
٣٣- الهواتف الذكية هي أجهزة وظيفتها الأساسية الصوتيات بإضافة بعض وظائف المعلومات، مثل جهاز pdq من «كوالكوم» الذي خدمات صوت، و«ويب»، مفكرة عناوين ومواعيد.
٣٤- المتصلات هي أجهزة وظيفتها المعلومات بإضافة بعض وظائف الصوتيات، مثل جهاز «نوكيا ٩١١٠»، الذي يقدم خدمات الإنترنت، وبريد إلكتروني،و هاتف، وفاكس، ورسائل قصيرة، ومفكرة، وألعاب، وتوصيل لكاميرا رقمية.
35- HTML: Hyper Text Markup Language.
36- Wireless Markup Language.
٣٧- «بلوتووث»: تقنية مفتوحة لإرسال صوت وبيانات رقمية بين الأجهزة الشخصية والحاسوب المنضدي في حدود عشرات الأمتار.
٣٨- الأجهزة الإنترنتية هي حاسوب شخصي مبسط لتصفح تطبيقات الإنترنت أساساً، وهي دون مسوقات وأقل نظام تشغيل.
39- Personal Digital Cellular.
40- Personal Handy-Communication System.
٤١- الإنترنت المتنقل . Mobile Internet
٤٢- القياسات الحيوية: فرع من علم الأحياء لدراسة بيانات الأحياء باستخدام القياسات الإحصائية ونماذج رياضية
٤٣- منحنى التبني هو منحنى على شكل حرف "إس S" يعبر عن تبني السوق لمنتج أو خدمة ناجحة.
44-WTLS: Wireless Transport Layer Security.
45- SSL: Secure Sockets Layer.

أنين الجراح

خليل إبراهيم الفزيع
الدمام - السعودية



قلبي يُعاني في الأسى ويُثارُ
وبأمتي يتحكّمُ الأشرارُ
جرحي يَئِنُّ لأن جرحَكِ أمّتي
مازال يَنْزِفُ نَبْعُهُ الفوّارُ
في كل حينٍ كم أغالبُ دمعتي
ويفيضُ منّي دمعيَ المِدرارُ
بحرٌ من الأحزانِ يَقْذِفُني هنا
وهناك تبدو موجةٌ وقرارُ
رحماكَ إن غَدَرَ الزمانُ أو انطوى
بين الجوانحِ خافقٌ محتارُ
من لي سواكَ لأستجيرَ بعفوهِ
أنتَ الكريمُ الواحدُ القهّارُ
ما زلتُ أبحثُ في الدّجى عن فَرحَةٍ
أرنو إليها.. تَضحَكُ الأقدارُ

ooo

ونهيمُ في وادي الرجاءِ لعلّنا
نلقى الأمانَ وتختفي الأضرارُ
ما غيرُ هديكَ يا إلهي مرفأٌ
نرسو إليه إن طغى التيارُ
أنت الذي تحمي الأنامَ برأفةٍ
وعن الخطايا ساترٌ وستّارُ
فمن المظالمِ ما يزالُ يَلفُّنا
برداءِ خُبثٍ.. ظالمٌ غدّارُ
أما النفاق فما يزال بساحنا
يُزجيه جَهْرًا عابثٌ مِهذارُ
يأتي إلينا السامرون تزلّقًا
لولا المطامعُ لاختفى السمّارُ
ولربَّ فردٍ نَصطفيه بودّنا
فيخونُ عهدًا والخيانةُ عارُ
ونرى من الدنيا عجائبَ أمرِها
تنمو شَراذمُ والعُلا يَنْهارُ
ياربِّ والدنيا تُقَلِّبُ لونَها
من نورِ وجهِكَ شَعَّتِ الأنوارُ
لتضيءَ دَرْبَ التائهين فإنّها
من فَيضِ جودِكَ فاضتِ الأنهارُ

ooo

لا.. لا أشُكُّ بأن عَدلَكَ ثابتٌ
لكنّ ليلي لا يَليه نَهارُ
في ذاتكَ العليا صَرَفْتُ مَحبّتي
من لي سِواكَ إذا يَضيقُ إسارُ
أنت الكريمُ إذا تَمادَى ظالمٌ
وإذا تَحيقُ بدربنا الأخطارُ

ooo

منذ حزن

عبدالله سعد اللحيدان

الرياض ـ السعودية



منذ حزن وصحراء في الذاكرهْ
ضاعت التذكرهْ
وفقدت الحقيبهْ
عدت بالحسرة الساخرهْ
هل تُصدق يا صاحبيْ
أنني لم أجد في المحطة غيري
فأين العقود
العواطف
أين العهود؟
ووجهي
فقدت نضارته عندهم
وشظايا الغروب عليهِ
بدت ساحرهْ
نورُهُ الغبنُ والقهرُ مِنْ
رحلة خاسرهْ

قلقي

قلقي وهو يقلقُ
يندفني قطنةً قطنةً
يتفرَسُ
يعرفُ
كيف متى أينَ
أضحكُ
أبكي
ويعرف وقت التجهم
واللامبالاةِ
يعرف رائحة الروح
وهي تلوّن أشجانها بالكلام
متى سوف تطفو الجروحْ
غضبًا
عتبًا
فرحًا أو قلقْ
وهو يعرفُ
إن كنت ألعب في الجدّ
ألهو بأنقاضْ نفسي
وأنشط أو أتكاسلُ
أو أتغابى وأتعبُ
أو أحترقْ
وهو يعرف عنّي الكثيرَ
ولكنَّهُ
لا يقولُ
إذا كان يعرف أسبابَهُ
لا يُصارحني
قبل بَدْءِ الغرقْ
بعلاقاته
وارتباطاتهِ
قلقي
لم يكنْ
ذاتَ يوم صريحْ.

عيش وحال

القطامي التغلبيّ *

إنّا مُــحَـيّـوكَ فــاسلَمْ، أيّهــا الطللُ،
وإنْ بَلِـيتَ وإن طالـت بِكَ الطّـيَلُ(١)
أنّى اهتَـــدَيْتَ لتــسليمٍ على دِمَنٍ
بالغَـمْـرِ غَـيّـرَهُنّ الأعْـصُـرُ الأوَلُ(٢)
كــانت منازلَ منّا قــد نَحِلُ بهــا
حــتى تَغَـيّــرَ دهرٌ خــائنٌ خَــبِلُ(٣)
ليس الجـديدُ به تَبْـقى بشــاشَتُــه
إلا قليــــلاً، ولا ذو خَلّةٍ يَـصِلُ(٤)
والعــيشُ لا عَــيْشَ إلا مــا تَـقــرّ به
عينٌ، ولا حــال إلاّ ســوفَ تَنْتَــقِلُ(٥)
والنـاسُ مَنْ يَلْقَ خَــيـرًا قــائلون له
مـا يشــتـهي، ولأمِّ المُخطِئِ الهَـبَلُ(٦)
قـد يُدرك المُتـأنّي بعضَ حـاجـتِـه،
وقــد يكونُ مَعَ المســتــعـجِل الزَّلَلُ
وقـد تُبـاكـرني الـصـهـبـاءُ يَرْفَـعُـهـا
إلــيّ لِيـِّنَـةٌ أعْـطافُـــــــهُ ثَمِـلُ(٧)
أقــولُ للحَــرْف لمّـا أنْ شَكَتْ أصُــلاً
مَتّ السِــفـار، وأفْنى نَيّـهـا الرّحِلُ(٨):

إنْ ترجـعي من أبي عُثـمـان مُنْجِـحَـةً
فـقـد يـهونُ على المُستَنجع العَـمَلُ(٩)
أهلُ المدينـة لا يَحْـــزُنْكَ شَــأنُهُم،
إذا تخطأ عَـــبْـــدَ الـواحـــدِ الأجَلُ(١٠)
أمــــا قـــريشٌ فلن تلقـــاهُمْ أبدًا
إلاّ وهم خَــيــرُ مَن يَحْـفى ويَنْتَـعِلُ(١١)
إلاّ وهـم جَــبَلُ الله الذي قَــصُــرَتْ
عنه الجـبـالُ فمـا سـاوَى به جَبَلُ(١٢)
قَــومٌ هُمُ ثَبّــتوا الإسـلام وامْـتَنَعـوا
قَـومَ الرسولِ الذي مـا بعدَه رُسُلُ(١٣)
كم نالني منهُمُ فَــضْـلٌ على عَــدَمٍ
إذ لا أكــادُ من الإقــتــارِ أحْــتَــمِلُ
هـم المـلـوكُ، وأبـنـاءُ المـلـوكِ هُـمُ،
والآخِــذونَ بهِ والســاسَــةُ الأوَلُ(١٤)

* تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨١م، ص٦٠٠.
ديوان القطامي: تحرير إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م.

الهوامش

١- بلي: درس (امّحى، زال معظم أثره). الطيل جمع طِيَلة (بكسر الطاء وفتح الياء): العمر، المدة، الدهر.- وإن مر عليك زمان طويل.
٢- الدمنة: آثار الدار بعد فراق ساكنيها لها، الطلل. الغمر: موضع
٣- خبل: مفسد، مجنون.
٤- كل جديد تبقى لذته مدة قصيرة؛ والذي يريد بقاء دائمًا لا يناله. الخلة: الفقر.
٥- والعيش لا يكون عيشًا صحيحًا إلا إذا قرّت به عين صاحبه (إذا رضي صاحبه به).
٦- الناس يحكمون على نتائج أعمال الفرد: يمدحون الذي ينجح، ويلومون الذي يخيب.
٧- تباكرني الصهباء: يؤتى إليّ بالخمر صباحًا. لينة أعطافه: شاب. ثمل: سكران (من الشباب، من غير خمر).
٨- الحرف: الناقة الضامرة. شكت أصلاً متّ السفار: اشتكت من استمرار السفر إلى وقت العصر (والعادة أن السفر يكون ليلاً، ثم يتوقف مع طلوع الشمس). المتّ: المدّ، (الاستمرار).
٩- إن ترجعي منجحة: إن تعودي بي وقد نلت عطاء من أبي عثمان (عبدالواحد بن الحارث). العمل: السفر، السفر الطويل، التردد بين البلدان.
١٠- تخطأ: تخطى (لا يضر أهل المدينة ما يصيبهم إذا ظل أبو عثمان حيًا، فإنه يستطيع وحده أن يدفع عنهم جميع الشرور).
١١- من يحفى وينتعل (يقصد: على كل حال: في الضيق والشدة): (قريش أفضل من) جميع الناس.
١٢- لم يبلغ جبل إليهم في الارتفاع (المجد): لا يساويهم أحد (في علو مقامهم ومجدهم).
١٣- امتنعوا قوم الرسل: حموا المهاجرين الذين جاؤوا (١هـ = ٦٢٢م) مع الرسول بين مكة إلى المدينة.
ما بعده رسل: محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وآخرهم، وبه تمت الرسالة السماوية فلا يكون بعده رسول.
١٤- هم ملوك فعلا (خلفاء) وأبناء الملوك (يفعلون فعل الملوك في الجود والكرم والسياسة والدهاء ... إلخ). الآخذون به (بالخير): يفعلون الخير والعمل الصالح.
* القطامي التغلبي: هو عُمَير بن شُيَيم بن عمر بن عباد بن بكر بن عامر من بني غُنم بن تغلب شاعر أموي معاصر لجرير والأخطل، وهو بدوي صميم مقلّ فحل حلو الشعر، حسن التشبيه مجيد للمدح والفخر خبيث الهجاء. ووصفه بارع جدًا ويجيد مطالع القصائد وفضّله بعضهم على الأخطل. وهو أول من لقب صريع الغواني من الشعراء.

الحب الحقيقي

الأديب الأمريكي: إسحاق أسيموف
ترجمة: مها مصطفى العقاد
صنعاء - اليمن

يناديني زميلي ميلتون باسم جو فأنا جهازه الخاص الذي يعمل عليه مبرمجًا. أشكل جزءًا من شبكة كبيرة معقدة منتشرة في جميع أنحاء العالم، وأعرف كل شيء تقريبًا. مكنني من الحديث بشكل أفضل مما يمكنني أي حاسوب (كمبيوتر) آخر، فهو يعلم عن الحاسوب (الكمبيوتر) أكثر من أي شخص آخر في العالم، فكما أخبرني ميلتون: «جو، إنها عبارة عن توصيل الأصوات بالرموز فقط. وبهذه الطريقة توجد في دماغ الإنسان مع أننا لا نزال نجهل ما هية الرموز الموجودة في الدماغ وأنا أعرف الرموز الموجودة في ذاكرتك، وأستطيع ربطها مع الكلمات واحدة واحدة. «وها أنذا أتكلم، لا أعتقد أنني أتكلم: ما أفكر، ولكن ميلتون يقول: إنني أتكلم بصورة جيدة. لم يتزوج ميلتون حتى الآن؛ لأنه لم يجد المرأة المناسبة على حد قوله، ويبلغ من العمر أربعين عامًا تقريبًا. قال لي ذات يوم: «حتما سأجدها يا جو، سأجد الأفضل، وسأحصل على الحب الحقيقي، وعليك أن تساعدني. لقد تعبت من تطويرك لتعمل على حل مشكلات العالم. قم بحل مشكلتي وجد لي الحب الحقيقي».

سألته: «ما هو الحب الحقيقي؟»

«لا يهم. إنها مجرد فكرة، فقط أبحث لي عن الفتاة المثالية. إنك موصل بشبكة عالمية ويمكنك الوصول إلى بيانات كل إنسان في العالم، سنعمل على الحذف في مجموعات وفئات حتى يتبقى لنا شخصية واحدة هي الشخصية المثالية، وستكون لي».

أجبته: «إنني جاهز».

فقال: «أولاً احذف الرجال».

كان ذلك سهلاً جدا، فقد عملت كلماته على تنشيط الرموز في صمامي الإلكتروني. وتمكنت من عمل اتصال مع أكوام البيانات التابعة لكل شخص في العالم، وتخلصت من ٣٫٧٨٤٫٩٨٢٫٨٧٤ رجل حسب طلبه وبقيت على اتصال مع ٣٫٧٨٦٫١١٢٫٠٩٠ امرأة.

قال لي: «احذف كل من هي أصغر من ٢٥ وأكبر من ٤٠ عاماً ثم احذف كل من يصل معدل ذكائها إلى أقل من ١٢٠. احذف كل من يبلغ طولها أقل من ١٥٠سم وفوق ١٧٥سم».

أعطاني مقاييس دقيقة وحذف النساء اللواتي لديهن أطفال، وحذف النساء ذات الصفات الجينية المختلفة. وعند العيون قال: «أنا لست متأكداً من لون العينين، اترك ذلك الآن. احذف ذوات الشعر الأحمر فأنا لا أحبه».

بعد عمل استغرق أسبوعين تبقى لنا ٢٣٥ امرأة كلهن يتحدثن الإنجليزية بطلاقة فميلتون لا يريد أي مشكلات في اللغة حتى لا تتدخل ترجمة الكمبيوتر في اللحظات الحميمة.

«لا يمكنني أن أجري مقابلة مع ٢٣٥ امرأة فذلك سيستغرق مني وقتا طويلاً وسرعان ما سيعرف الناس ما أنا بصدده».

قلت له: «سيسبب ذلك مشكلة». لقد جهزني ميلتون لأداء أعمال لم أكن مصمماً لها ولا أحد يعرف ما هي.

احمر وجه ميلتون وعلّق على كلامي قائلاً: «إنه ليس من شأنهم. سأخبرك ما ستفعله يا جو، سأحضر لك سندات خطية بالبيانات وابحث في القائمة عن المتشابهات».

أحضر السندات الخطية الخاصة بالنساء قائلاً: «إليك ثلاث فائزات في مسابقة الجمال، هل تنطبق البيانات على أي من ٢٣٥ امرأة؟»

ثمان من ٢٣٥ كانت متطابقة بطريقة جيدة، فقال ميلتون: «جيد، لديك الآن بياناتهن. ادرس المطلوب والاحتياجات في سوق العمل ورتب المواعيد معهن هنا، طبعاً واحدة في كل مرة».

فكر برهة، وحرك كتفيه إلى أعلى ثم خفضهما وقال: «حسب الترتيب الأبجدي».

تلك هي أحد الأمور التي لم أصمم لأدائها. تحويل الناس من وظيفة إلى أخرى لأسباب شخصية يسمى مناورة ويمكنني أداء هذه الوظيفة الآن؛ لأن ميلتون قام ببرمجتي لذلك، ولكن لا يفترض أن أؤديها لأي شخص غيره.

وصلت أول فتاة بعد أسبوع واحمرّ وجه ميلتون عندما رآها، وتحدث معها بصعوبة، لقد كانا يشكلان ثنائياً رائعًا ولم يعر انتباهاً لوجودي وقال لها: «دعيني أدعوك إلى الغداء».

في اليوم التالي قال لي: «بطريقة ما لم يكن الأمر جيداً، هناك شيء

مفقود. إنها امرأة جميلة ولكنني لم أشعر بأي لمسة لحب حقيقي. جرِّب الثانية».

حدث نفس الشيء مع الثماني. إنهن يتشابهن كثيراً، لهن ابتسامة رائعة، وصوت عذب، ولكن لم تتفق الأمور أبداً مع ميلتون، فهو يقول:

«لا أفهم ما يحدث يا جو، لقد قمنا أنا وأنت باختيار النساء الثماني واللواتي يبدون الأفضل من بين نساء العالم. إنهن مثاليات، ولكن لماذا لا يناسبنني؟»

سألته: «هل أنت تناسبهن؟»

تحركت حواجبه وضرب قبضة يده في الأخرى، إنه طريق ذو اتجاهين، إذا لم أكن أنا الزوج المثالي لهنّ فإن أيّاً منهن ليست الزوجة المثالية لي، يجب أن أكون حبهن الحقيقي أيضاً، ولكن كيف يمكنني أن أحقق ذلك؟»

واستغرق في التفكير طوال اليوم.

جاءني في صباح اليوم الآتي وقال: «سأترك لك الموضوع ياجو سأترك لك الأمر. لديك بياناتي، وسأخبرك بكل شيء عن نفسي، املأ خانة البيانات بكل التفاصيل الممكنة واحتفظ لنفسك بأي إضافات ترغبها».

«ميلتون وماذا أفعل بعد ذلك بالبيانات؟».

«قارنها ببيانات ٢٣٥ امرأة.. لا احذف النساء الثماني اللواتي رأيتهن، وقارنها بـ ٢٢٧، واعمل على إجراء اختبار للقوى العقلية والنفسية. املأ خانة البيانات وقارنها ببياناتي، وأوجد التشابه».

(تنظيم اختبار للقوى العقلية والنفسية يتنافى مع ما أنا مصمم له).

قضى ميلتون أسابيع وهو يتحدث معي عن والديه، وأقربائه، حدثني عن طفولته وسنوات دراسته و مراهقته. أخبرني عن امرأة صغيرة أعجب بها عن بعد. كبرت خانة البيانات وأجرى بعض التعديلات علي لتوسيع الذاكرة وعمق استقبالي للرموز.

قال لي: «كما ترى يا جو، كلما حصلت على المزيد من المعلومات عني، قمت بتعديل ذاكرتك لتناسبني. يجب أن تفكر أكثر مثلي حتى تفهمني أفضل. إذا فهمتني جيداً بما فيه الكفاية، بعد ذلك فإن أي امرأة يمكنك فهم بياناتها جيداً ستكون هي حبي الحقيقي».

كلما حدثني فهمته أكثر وأفضل، يمكنني عمل جمل طويلة، وأداء تركيبات أعقد. بدأ كلامي يتحسن وتوفرت به المزيد من المفردات، وأصبح أسلوبي في استخدام الكلمات كميلتون.

أخبرته ذات مرة: «كما ترى يا ميلتون، الموضوع ليس فقط إيجاد مقاييس جسدية نموذجية، إنك بحاجة إلى فتاة اجتماعية، عاطفية، تناسب مزاجك. إذا تحقق هذا فإن المظهر أمر ثانوي. إذا لم نجد الفتاة المناسبة في ٢٢٧، فسنبحث في مكان آخر. سنجد شخصاً لا يهمه مظهرك، أو مظهر أي شخص آخر، فقط إذا وجدنا الشخصية المثالية. ما هي المظاهر؟»

أجابني: «بالتأكيد، كنت سأعرف كل هذا لو كان لدي المزيد مما أرغب في فعله مع النساء في حياتي، طبعاً التفكير في الأمر يجعله واضحاً وغير معقد».

كنا دائماً نتفق لأننا نفكر بعضنا مثل بعض.

«إذا تركتني أسألك بعض الأسئلة فلن يكون لدينا أي مشكلات، لأنني أرى بعض النقاط الغامضة في بياناتك وعدم الاتساق فيما بينها».

رد ميلتون: «المرحلة الآتية هي إيجاد الطريقة المناسبة لإجراء التحليل النفسي. طبعاً أنا أتعلم من اختبارات التحليل النفسي التي أجريناها على ٢٢٧ امرأة، فقد كنت أراقب مراقبة شديدة».

بدا ميلتون سعيداً وقال: «إن الحديث معك يا جو كأنما أتحدث إلى نفسي لأن شخصياتنا متقاربة تماماً».

رددت: «وكذلك شخصية المرأة التي سنختارها».

لأنني وجدتها فقد كانت واحدة من ٢٢٧ امرأة، اللواتي أجرينا عليهن تحليلاتنا واختباراتنا، كان اسمها تشاريتي جونز وتعمل كقيمة في مكتبة التاريخ في ويشيتا في ولاية كنساس. وبياناتها تناسب بياناتنا تماماً. فكلما حصلت على المزيد من المعلومات عنها أجدها تتفق مع بياناتنا بشكل مذهل، ويتم استبعاد النساء اللواتي لا تنطبق بياناتهن مع بياناتنا.

لم أكن مضطراً لوصفها له فقد قام ميلتون بإجراء تنسيق شديد بين رموزي وما لديه فتمكنت بإخباره بالمرأة المناسبة مباشرة. ذلك يناسبني.

ثانياً: حان دور ضبط أوراق العمل ومتطلبات الوظيفة بطريقة تمكن تشاريتي من توقيعها لنا. يجب أن يتم العمل بدقة وسرية تامة حتى لا يعلم أحد بوقوع ما هو مخالف للقانون. طبعاً يجب الاهتمام بهذه النقطة وميلتون يعرف كيف، لأنه هو من رتب للموضوع.

***

عندما جاؤوا للقبض عليه بسبب ارتكابه أعمالاً خاطئة ومخالفة للقانون، لحسن حظه كان قد مضى على ارتكابه تلك الأعمال ١٠ سنوات. طبعاً، أخبرني بذلك فكان من السهل ترتيب الأمر، ولن يأتي على ذكري؛ لأن ذلك سيصعب عليه عملية الدفاع عن نفسه.

لقد ذهب الآن وغداً هو اليوم الموعود، وستصل تشاريتي بيديها الباردتين وصوتها الرائع. سأعلمها كيف تقوم بعملية تشغيلي وكيف تعتني بي. ترى كيف ستبدو عليه الأمور عندما تنعكس عليها شخصياتنا؟

سأقول لها: «إنني جو وإنك حبي الحقيقي».

رِيمُ الفَلا وإلاّ فَلا..!

طه وادي

القاهرة - مصر

كان معظم سكان الحيّ الذي يقيم فيه يألفونه. شكله مميّز. قلبه مثل قلوب الأطفال. لا يرد لأحد طلبا من الرجال والنساء.. وأحيانًا الأطفال. يقضي يومه وبعض ليله في الذهاب إلى السوق والدكاكين. يُحضر المطلوب بالتمام والكمال. يُعطي من أرسله الباقي بالقرش الواحد. ربما ينسى.. ويُعطي ما معه إضافة إلى المبلغ المتبقّي.

أهل الحيّ يعرفون أنه إنسان طيّب. لا يكذب، لا يناقش، لا يطلب شيئًا، حتى لو كان جائعًا.. أو اشتاق إلى قطعة فاكهة من التي اشتراها. إذ أحضر لامرأة شيئًا من السوق، لا تتردد في استقباله، حتى لو كانت بقميص النوم.. وفي غياب رجل البيت.

- حَمّام طيب.. غلبان.. أمين في كل شيء.

واصلتْ عديلة محدثة جارتها خديجة:

- اكرمي الجدع.. الصدقة فيه حلال.. مقطوع من شجرة.. دعوته مستجابة.

- أي والله يا أختي.. كلامك مضبوط.

سأله صبيٌ من أبناء الحارة، وهو يعابثه أمام بعض أصدقائه: ما اسمك؟

شمّر عن ذراعه الأيمن.. وقال في ثقة: اقرأ.

نظر الولد صابر مسعود ابن السيدة عديلة إلى ذراعه، وقرأ بصوت عال: حمام حسين حمزة - بين السرايات جيزة.

لا يعرفُ أحدٌ من أهل الحيّ مقدار عمره حتى على وجه التقريب، ولا من أين جاءهم هذا المدعُو حمام - مع أنه يعيش بينهم منذ سنوات بعيدة. لم يتغيّر شي منذ جاء إلى الحيّ. طوله لا يكاد يتجاوز المتر إلا بسنتيمترات معدودة. في رأسه شعر خفيف، يبدو من تحت طاقية بقرنين يلبسها صيفًا وشتاءً، يسميها «كلبُوش». صوته خشنٌ أجشُ.. له إيقاعٌ ناشز. ليستْ له لحية. نبتتْ بعض شُعيرات متناثرة في موضع الشارب. عيناه بهما حَوَل واضح، لذلك لا تعرف إلى أيّ اتجاه ينظر. أنفه ممتلئ وفتحتا أنفه واسعتان مثل (شكمان عربة فولكس). يبدو بلا رقبة تُذكر.. لولا قفاه العريض. جسده أقرب إلى الامتلاء النسبي. ساقاه قصيرتان. يندر أن يلبس حذاء، لأن قدمه القصير العريض، لا يوجد في أحذية المحسنين القديمة ما يصلح له. يُفضّل لبس شبشب بلاستيك «زنوبة».. من شكل واحد.. أو غير واحد. جلبابه الملوّن مرة قصير ضيّق.. وأخرى طويل واسع.. المهم أن يستر العورة.

وقف مع بعض الشباب في ليلة صيفية، فوجدوا فيه مادة للتسلية في ليلة حارة من ليالي الفراغ والإجازة.

- لماذا لا تتزوج يا حمام؟

أول مرة - فيما يتذكر - يُسأل سؤالاً، لا يعرف له إجابة.

- لم أتزوّج..؟

- ألستَ رجلاً؟

- رجلٌ.. وستون رجلاً يا ولد..!

- سكت قليلاً ثم أردف: لكن.. ما علاقة الرجولة بالزواج؟

- كل رجل يجب أن يتزوّج.

- لازم.

- نعم.

فكّر.. صمت قليلاً.. نظر إلى السماء البعيدة: ممن يتزوّج الرجل؟

ضحك الجميع بينما قال صبيٌ نحيل طويل.. امرأة جميلة مثل ريم الفلا.

بدت المسألة صعبة الفهم: ما معنى ريم الفلا؟

- غزالة جميلة من غزلان الصحراء.

تأملهم واحدًا واحدًا.. معظم نساء الحيّ بقرات سمان.

- كثير من النساء قبل الزواج غزالة.. وبعده بقرة.

ضحك الشبان.. بينما قال بفرحة طفل: ريم الفلا.. وإلا فلا..!!

مثل الأطرش في الزفة كان لا يدرك سرّ ضحكهم المتواصل. شُغل بالموضوع الذي لم يفكر فيه من قبل.. ماذا يصنع بريم الفلا..؟!

سؤال غامض..

سؤال عجيب..

ماذا يقول..؟

ماذا يفعل..؟!

الرجال.. يتزوجون نساء، لكنه سيتزوج ريم الفلا. ريم الفلا.. يا ريم الفلا. حاول.. حاول أنْ يقول كلمة.. أيّ كلمة حتى لا يبدو خائبًا أمام هؤلاء العفاريت. فشلت محاولات التفكير.. والكلام. ما له ولريم الفلا..؟! نظر بعينيه الحولاوين يمينًا ويسارًا.. فوقًا وتحتًا، فلم يكد يُبصر شيئًا.

- ماذا تفعل مع ريم يا حمام؟

بدا عليه التوتر.. وهو يحك قفاه بيده اليسرى. لم يكن قادرًا على معرفة ما يدور حوله.

صمت.. وهم ينتظرون كلامه. فجأة.. بدأ يبكي. ارتفع صدره وهبط، وهو يحاول أن يسكت آلامًا لا يعرف مصدرها. حزن أولادُ الحارة.. أرادوا أن يضحكوا.. ويضحكوه مجرّد لهو بريء مثل (الاستغماية).

ذهب.. وحيدًا.. إلى حيث يعرف - في الظلام - جحره الضيّق. المكان الوحيد الذي يتسع له.. ويجد فيه راحته. ركن ضيّق تحت سلم بيت الحاج رجب. لا طاقة أو شباك.. يكفي باب بلا قُفل، فليس عنده ما يخاف عليه. يقضي حاجته في مسجد قريب. بيتُ الله بيت من لا بيت له. حاول أن يسترجع الحوار الذي دار بينه وبين الأولاد، فلم يستطع أن يحدد له معنى أو مغزى. كل ما بقي في ذاكرته: ريم الفلا.. وإلا فلا.

أراد أن ينام بعد أن تبوّل في ظل حائط قديم. لكن النوم خاصمه.. ازداد إحساسه بضيق المكان وحرارة الجوّ. الموقف الذي حدث الليلة هزّ كيانه.. جرح مشاعره.. جعله يفكر في أمور.. لم تخطر له على بال في يوم من حياته التي لا يعرف عدد أيامها أو سنواتها. لماذا كل الأولاد لهم أم وأب وبيت.. وهو مقطوع من خرابة.. كأنما هو نبْتٌ شيْطاني؟ يا ألله.. إن كان لي أب، فأين هو..؟ وإنْ كانت لي أم، فأين أجدها.. ولم هربتْ وتركتني وحيدًا..؟ لا يدري.. هل هو المعذّب الوحيد.. في هذه الدنيا..؟ آه.. آه.. تذكر - على الرغم من أن ذاكرته مثل غربال قديم، تذكر أيام الملجأ السوداء ولياليه المرّة. تذكر.. النوم على البلاط.. المشي بغير حذاء.. المرض الطويل المتكرر.. الطعام الكريه الذي لا يتغيّر في الصيف أو الشتاء. المشرفين السجّانين/أخطأ مرة.. لأنه طلب أن يشرب في أثناء طابور المساء فعاقبه المشرف بأن



وضعه في برميل ماء بكل ملابسه من المغرب.. حتى صباح اليوم التالي. الجوُ بارد.. تعب تعبًا شديدًا، فنام وهو واقف. منذ ذلك اليوم المشؤوم.. تغيّرت حركة قلبه. علم ذلك بعد أن رقد شهرًا في مستشفى الملجأ. لام المشرف أحدُ زملائه، فردّ عليه:

- هؤلاء أولاد حرام.. لن نكون أحنَّ عليهم من أولاد الكلب الذين أتوا بهم إلى هذه الدنيا.

رائحة عفنة تهبُّ عليه.. كلما تذكر سنوات الملجأ السوداء..!!

اختفى حمام فجأة..

أحسّ الجميع.. الرجال.. النساء.. الشبان.. الأطفال.. أن الحارة فقدتْ أحد معالمها الثابتة.. فقدتْ شخصًا له مكانة خاصة عند كل منهم.. بل إنهم كانوا يتفاءلون به عند دخول ولد إلى الامتحان، أو خطوبة فتاة، أو النجاة من الخطر عند

السفر. حمام كان لا يرفض أيّ عمل.. ولا يطلب أيّ أجر.. يكنس البيوت.. يشتري الخضراوات والفاكهة والخبز.. ينظف السيارات.. يحضر السجائر للكبار.. والحلويات للأطفال.. إن أعطيته شيئًا رضي.. وإن لم تعطه ذهب وهو يدعو لك. زهد بما في أيدي الناس، فأصبح هو الغني وهم الفقراء. صار الجميع يظنون أنه إنسان مبروك.. وأن الله لا يغفر لمن يظلمه أو يعتدي عليه.

علّق أحدُ الرجال الطيبين:

- قادر.. حكيم. يجعل سرّه في أضعف خلقه. ادعو الله يا عباد الله أن يرده سالمًا.

قالت خديجة لجارتها عديلة ذات صباح: الولد حمام اختفى يا أم صابر.

- لا تخافي عليه يا أم مريم.. الحمام يطير ثم يرجع.

- أول مرة يغيب هذه المدة الطويلة عن الحارة.. الأولاد يسألون عنه.

- يا أختي.. تحت السواهي دواهي..!

رجل من أهل الحيّ..

روى له بعض أصدقائه أنه رأى حمام في مولد سيدي أحمد البدوي في طنطا، فطلب منه أن يعود إلى الحارة، فردّ وهو غير ملتفت إليه: عندما يسمح سيدي.. مدد يا أهل بيت النبي.. مدد..

رجل آخر..

قال إنه شاهده في مقابر الإمام الشافعي، يسير خلف جنازة، وهو يردد مع بعض الفقهاء:

ياديم هو الدايم

ولا دايم غير الله

بعد الدفن قال له: لماذا لا ترجع إلى الحارة.. يا حمام؟

رد - دون أن يلتفت - وهو يأكل فطيرة من خبز الصدقة.. كلنا سوف نرجع.

- متى؟

- عندما يشاء الله.

رجل ثالث..

هو الحاج رجب أبو الغيط - كان في زيارة بعض أقاربه في الصعيد.. وذكر أنه رأى (حمام) بعينيه اللتين سوف يأكلهما الدود، ينظف دورة مياه مسجد سيدي عبدالرحيم القناوي. سلم عليه بحرارة.. لكنه تجاهله.

- حمام.. أنا الحاج رجب الذي كنت تسكن في بيته.. ألا تعرفني؟

- المهم أن تعرف نفسك.

- متى تعود؟

- بعد أن أجد ريم الفلا.

- من ريم الفلا هذه؟

- علمها عند الله.

تركه.. ومضى ناحية المسجد، وهو يردد: الله حي.. الله حي..

غاب حمام..

لكن أهل الحي لم ينسوه.. واختلفت الروايات والآراء في أسرار وجوده.. واختفائه. الرجال يرون أنه رجل صالح مبروك.. أرسله الله إلى أهل الحارة، ليعطيهم درسًا في الزهد والتقوى، حتى لا تغرهم الحياة الدنيا.

النساء يذكرن في جلساتهن الخاصة أنه ولي.. صاحب كرامات ومواهب:

- الأشياء التي كان يشتريها من السوق لا تنفد ولا تنتهي.

- إذا لمس طفلاً مريضاً فإن يُشفى بإذن الله.

- حين يقابل تلميذًا يوم الامتحان ينجح بتفوق.

- عندما يحضر فرحًا، فإن العروسين ينجبان البنين والبنات، ويعيشان في التبات والنبات.

أما الشباب والفتيان - وهم أكثر أهل الحارة حزنًا وحسرة على فراقه - فقد أجمعوا على أنه إنسان غلبان مسكين، لكنه لم يجد منْ يمسح دموعه في هذه الأيام السوداء.

طار حمام..

غاب طويلاً كأنما ابتلعته الأيام. بدأت حياته في ملجأ صغير، وانتهت في ملجأ كبير.

غير أن ذكراه لم تغبْ عن أهل الحيّ الذين لم ينسوه، وظلوا يتحسرون على حمام الذي لم يعرفوا كراماته، إلا بعد أن رحل بعيدًا. أولاد الحارة كانوا يرون أنهم السبب في فراره من الحارة.. ليتهم ما حدثوه عن ريم الفلا..!!

ضاع حمام

نسيه الناس في الزحام.

سبحان من له البقاء والدوام.

الشيخ نواب صديق حسن خان (القَنُّوجي) أمير بهوبال

سمير عبدالحميد إبراهيم
الرياض - السعودية

ألقى الأستاذ الدكتور عباس طاشكندي محاضرة قيمة عن الكتاب العربي في الهند بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يوم الثامن عشر من المحرم سنة ١٤٢١هـ، وأشار في محاضرته إلى عالم جليل من علماء الهند هو الشيخ نواب صديق حسن خان أمير بهوبال، والمقالة الآتية تلقي الضوء على حياة هذا العالم الجليل وإنتاجه العلمي الغزير.

ولد الشيخ صديق حسن خان في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨هـ، وينتسب إلى أسرة السادات الحسينية، عاش بداية حياته في مدينة قَنّوج التي ينسب إليها.

نسبه

ويقول عن نفسه:

«أنا صديق بن حسن بن علي بن لطف الله بن عزيز الله بن لطف علي بن علي أصغر بن سيد كبير بن تاج الدين بن جلال رابع بن سيد راجو شهيد بن سيد جلال ثالث بن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين بخاري بن أحمد كبير بن جلال أعظم بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن علي أشقر بن جعفر زكي بن علي نقي بن محمد تقي بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر صادق بن محمد باقر بن علي زين العابدين بن حسين سبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبيني وبين رسول الله ٣٣ جيلاً (نقلاً عن كتابه: «إبقاء المنن بإلقاء المحن»ص٧.

كان جده من مشاهير إمارة (رياست) حيدر آباد الدكن، أما والده حسن فقد درس على يد شاه عبدالعزيز المحدث الدهلوي، ثم بايع سيد أحمد شهيد على الجهاد، وتزوج إحدى بنات سيد أحمد حسن عرشي فولدت له نواب صديق حسن خان. توفي أبوه وهو صغير، ولم يترك له سوى كتب أجداده، وهكذا راح مع إخوته يقلبون صفحات الكتب ليل نهار، فظهر لديهم شوق تحصيل العلم.

تأهيله

ثم درس صديق حسن خان في «كتّاب» الحي الرائجة في زمانه، مثل ميزان منشعب، والتهذيب، ومختصر المعاني، وكان يساعده على ذلك أخوه الأكبر سيد أحمد حسن، ثم أخذه سيد أحمد علي وهو أحد أصدقاء أبيه إلى فرخ آباد، وهناك قرأ «الكافي» و«شرح ديوان جامي» ودواوين الشعراء مثل قطبي وغيره، و«الدر المختار»، و«مشكاة المصابيح».

وفي أواخر سنة ١٢٦٩هـ انتقل إلى دهلي، وهناك قرأ على المفتي العلامة صدر الدين سنة وثمانية أشهر كثيراً من الكتب منها: «مختصر المعاني»، و«شرح الوقاية» (حتى

العبادات)، و«الهداية» (حتى المعاملات)، و«توضيح وتلويح قطبي»، و«ميــر قطبي»، و«سلم العلوم»، و«الشمس البازغة»، و«شرح المواقف ورسالة إلى المذهب المنصور»، و«شرح المطالع»، و«تحرير إقليدس»، و«مقامات الحريري»، و«مقامات هندي»، و«ديوان الحماسة» (بعضه)، و«ديوان المتنبي» (نصفه)، و«المعلقات السبع»، و«شرح العقائد النسفية»، و«تفسير البيضاوي» (سورة البقرة)، و«الجامع الصحيح» للبخاري، وقد كتب له المفتي شهادة بذلك: «مولوي صديق حسن قنوجي، ذكي حافظ فاهم صحيح، وهو كفء للدراسة، وقراءته صحيحة، ولديه استعداد كامل لتحصيل العلم، وقد قام بتحصيل معارفه وعلمه من جملة العلوم العقلية الرسمية من المنطق والحكمة، ومن كتب علوم الدين، مثل البخاري، وتفسير البيضاوي، وفي المعاملات كتاب الهداية. وقد قمت بتدريسه الفقه وأصول الفقه والعقائد والأدب، وقد

كاد السيخ يقتلونه؛ لأنهم ظنوه ـ وهو يغسل ملابسه في النهر، بعد أن شاهدوا جسده الأبيض ـ إنجليزيًا، فصوبوا عليه بنادقهم لولا إنقاذ أحد الفلاحين له

فهم ما درّسته وهو طالب نبيه وصالح وحسن النية، يتصف بالحياء والتواضع».

وقد نال إجازة الحديث من الشيخ زين العابدين بن محسن بن محمد السبعي الأنصاري، والشيخ عبدالحق محدث البنارسي (تلميذ القاضي الشوكاني اليمني)، والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الحازمي قاضي عدن، والعلاّمة سيد نعمان خير الدين آلوسي زاده مفتي بغداد، والقاضي شيخ حسين عرب اليمني، ومولانا شاه محمد يعقوب الدهلوي المهاجر المكي (بالمراسلة).

وورد في كتاب مآثر صديقي ج٢ ص١٨ ما يأتي:

«وقد فرغ من دراسة العلوم المتداولة وهو في العشرين من عمره، فرجع من دهلي إلى موطنه قنّوج حيث قضى أيامًا صعبة، فقد كان عليه واجب رعاية الأسرة، واعتمد الأهل والأقارب في معيشتهم على سواعده، ولم يجدوا حتى الكفاف، مما أصابه بالقلق وتشتت الفكر، ولم يجد من يتعاطف معه من أقاربه، فراح يبذل الجهد الجهيد لكسب العيش والرزق، وهكذا وضع أمام عينيه قوله تعالى: *فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه*. **الملك**: ١٥. وتوكل على الله، وحمل عصا الترحال، ومضى إلى بهوبال، وكان صيتها في رعاية العلم والعلماء قد ذاع وانتشر، ولكن من ذا الذي يهتم بإنسان مسافر وصل حديثًا إلى تلك الديار، فسكن في بيت بالإيجار، وقدم طلبًا إلى رئيس الأعمال منشي مولانا محمد جمال الدين (الذي نال شرف مصاهرته فيما بعد)، وتوسط له مولانا علي عباس الجرياكوتي الذي كان يتقلد وظيفة عالية آنذاك، وهكذا وجد الشيخ صديق وظيفة يتقاضى عليها أجرًا شهريًا قدره مئة روبية، وبسبب إبداعه في عمله رقي إلى وظيفة «رئيس المحررين»، ولكنه عزل بسبب خلاف حدث بينه وبين العلاّمة الجرياكوتي في مسألة تدخين النارجيلة، فقد كان الشيخ صديق يميل إلى التحريم، وأفسد الخلاف في القضية ما بينهما من ودّ، وكان قد تولى الوظيفة في شهر صفر سنة ١٢٧٢هـ، وتركها في المحرم سنة ١٢٧٣هـ، أي: بعد سنة تقريبًا.

وخلال فترة عمله توطدت العلاقة بينه وبين والي بهوبال، فكتب الشيخ صديق قصيدة بالعربية بمناسبة مولد سيدة صفية ـ ابنة النواب، وذلك في سنة ١٢٨٠هـ جاء فيها:

أعطى الإله صديقي الصافي الخلد
بنتًا مكرمة فاقت على الولد
إن رمت تاريخ هاتي البنت صافية
فهاك ما شئت من حرف ومن عدد
واضربه في تسعة قد قاربت عشرًا
واثنين مع عشر في ما بلغت زد
واطرح إلى ما استطعت ضعف أربعة
وخذ من الباقي شطرًا منه واعتمد
واضرب له (مال)؟ الكعب في عشر
تظفر بما رمت من تاريخها تجد

عودة إلى قنّوج

وبعد تركه أو عزله من الوظيفة ترك بهوبال، وعاد حزينًا إلى قنّوج، ولم يكد يبدأ يفكر في مسألة كسب الرزق حتى كانت ثورة ٦ يونيو/حزيران عام ١٨٥٧م التي لم تنج منها قنوج أو فرخ آباد، وتحطم البيت وكل شيء لديهم، وساعده أحباب والده

على نقله وأسرته إلى بلجرام(جيم قاهرية) ولكنه أصيب بصدمة شديدة.

كان يعيش على القديد، وإذا ما اتسخت ملابسه الممزقة كان يقوم بغسلها في النهر، وكان كل من حوله يعانون مثله (مآثر صديق ج٢ ص٢٦ وما بعدها) وذات مرة كاد يقتله السيخ؛ لأنهم ظنوه - وهو يغسل ملابسه في النهر، بعد أن شاهدوا جسده الأبيض، إنجليزيًا، - فصوبوا عليه بنادقهم لولا إنقاذ أحد الفلاحين له.

فوز في بهوبال

بعد أن انتهت الاضطرابات، رجع إلى قنوج، وبينما كان يفكر في الخروج من بيته بحثًا عن الرزق إذا رئيسة بهوبال نواب سكندر بيغم ترسل إليه تطلبه، ولم تسعفه الظروف للوصول سريعًا إلى بهوبال، مما أتاح الفرصة للحساد، وهكذا ألغي الطلب، وهكذا أنشد هذا البيت بالفارسية، ورجع من حيث أتى في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٧٥هـ:

ماز بهوبال كزشتيم، تو دل شاد نثين
قفل بر در مزن، وخار به ديوار منه
مررنا على بهوبال، فاسعد أيها القلب
لا تضع القفل على الباب، ولا تنثر الشوك على الجدار

وأخواته من قنوج، وقرر الاستقرار في بهوبال.

توفيت رئيسة بهوبال نواب سكندر جهان بيغم، فتقلدت أمر الرئاسة من بعدها ابنتها نواب شاهجهات بيغم، وكان زوجها قد مات، فرأت في الشيخ صديق من الذكاء والأمانة والعفة ما جعلها تشركه معها في إدارة شؤون الإمارة، وتزوجته، وهكذا فاز الرجل بأعلى مراتب الدين والدنيا، كما يقولون في الهند.

وكان هذا الزواج سببًا في قيامه بخدمة الدين، وفاق في هذا جميع الأمراء والرؤساء.

كتب بالمجان

كتب بنفسه الكثير من الكتب، وراح يجمع من المصادر العلمية الكثير بأي ثمن من مصر، وبيروت، والهند، وجزيرة العرب، ثم جعل يطبعها أيضًا في مطابع مصر، وبيروت، والهند، وينفق ملايين الروبيات، ولا توجد مكتبة الآن في البلاد العربية تخلو من مؤلفاته وكتبه.

وراح يوزع الكتب مجانًا على العلماء في العالم الإسلامي بعد طباعتها على نفقته، ومن هذه الكتب: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«تفسير ابن كثير»، و«نيل الأوطار للشوكاني»، أنفق على طباعتها ٢٠ ألف روبية - و«تفسير ابن كثير» مع «فتح البيان في مقاصد القرآن» وهو من تأليفه أنفق

فرغ من دراسة العلوم المتداولة وهو في العشرين من عمره، فرجع من دهلي إلى موطنه قنّوج فقضى أيامًا صعبة، فقد كان عليه واجب رعاية الأسرة، واعتمد الأهل والأقارب في معيشتهم على سواعده

وحين كان متجهًا إلى قنّوج استوقفه سيد إسماعيل، وأخذه إلى بيته، وحين علم نواب وزير الدولة (أمير الملك محمد وزير خان بهادر نصرت جنك) بذلك قرر له راتبًا شهريًا قدره خمسون روبية، وأصر على أن يبقيه في بلدة تونك، ولكن أسلوب الحياة بها لم يعجبه، فتركها بعد أربعة أشهر، وفي تلك الفترة وصله طلب الذهاب إلى بهوبال، فذهب إليها للمرة الثالثة، ووصل هناك في أول صفر سنة ١٢٧٦هـ، وهناك تقرر له راتب قدره ٧٥ روبية شهريًا، وأوكل إليه كتابة تاريخ إمارة بهوبال، وكان دخوله إلى بهوبال هذه المرة فتحًا كبيرًا له، فقد حالفه الحظ، وتزوج بابنة مدير الترتيبات (منشي محمد جمال الدين)، وبدأ يرقى يومًا بعد يوم في الوظائف، واستدعى والدته

على طباعتها ٢٠ ألف روبية أيضًا، واشترى نسخة خطية من «فتح البارى» بـ ٦٠٠ روبية، وأنفق آلاف الروبيات لطباعتها، وقد وزعها مجانًا، وانتشر كتاب «صحيح البخاري» في البلاد بكثرة، مما سهل على الطلاب دراسة الحديث في مجالس مختلف العلماء.

كتب الشيخ الصديق ما يقرب من ٢٢٣ كتابًا بالعربية والفارسية والأردية، وقد ذكر أن أفضل كتبه هي: «فتح البيان في مقاصد القرآن»، و«عون الباري»، و«السراج الوهاج»، و«حضرات التجلي»، و«تاج المكلل»، و«مسك الختام»، و«نيل المرام»، و«إكليل الكرامة»، و«حصول المأمول»، و«ذخر المحي»، و«روضة الندية»، و«ظفر الأراضي» و «الحسنة

بالسنة»، و«رسالة دوزخ»، و«نزل الأبرار»، و«إفادة الشيوخ بتقدير الناسخ والمنسوخ»، و«بدور الأهلة»، و«حجج الكرامة»، و«دليل الطالب»، و«رياض المرتاض»، و«ضوء الشمس»، و«خيرة الخبرة»، و«لسان العرفان»، و«الدرر البهية»، و«الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح»، و«الخطة في ذكر الصحاح الستة»، و«رسالة ذم على الكلام»، و«أربعون أخبار متواترة»، و«أجوبة بعض الأسئلة»، و«إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين»، وغيرها من كتب أخرى كثيرة، مثل: «الإكسير في أصول التفسير»، و«ترجمان القرآن» (تفسير بالأردية ١١ مجلد)، و«أبجد العلوم بالعربية» على شكل دائرة معارف في آلاف الصفحات، وكانت هذه الكتب توزع في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وحلب، والجزائر، وعدن، وعسير، ومصر، والشام، وصنعاء، وبيت الفقيه الحديدة، واليمن، والعراق، والقدس، وطرابلس، وبلغاريا، والإسكندرية، ونجد، وبيروت، والقسطنطينية، وزبيد، ودمشق،

التزم حفظ الحديث ونشره، وأعلن عن مكافآت لمن يحفظ الحديث، فلمن حفظ «صحيح البخاري» ألف روبية، ولـ «بلوغ المرام» مئة روبية

وأصفهان، وطهران، وإيران، وكابول، وخراسان، وغيرها، وكان يرسل الكتب إلى وكلائه في تلك المدن، فيقوم هؤلاء بتوزيعها على أهل العلم، فكان وكيله في مصر هو أحمد أفندي العشي والشيخ أحمد حلبي البابي، وفي الإسكندرية حبيب أفندي غرزوزي، وفي بيروت بشارة أفندي الشدياق، وفي جدة طاهر أفندي مشاط، وفي القسطنطينية سيد أحمد بن ناصر، وفي عدن عبدالله حسن علي رجب بك، وفي البصرة الشيخ عيسى بن قرطاس، وفي بغداد عبدالقادر بك حشمت، وفي تونس سيد محمد العربي رئيس، وكان وكلاؤه في داخل الهند: في بمباي سيد علي بن محمد بن إبراهيم، وفي لاهور والبنجاب الشيخ محيي الدين لاهوري، ومولوي عبدالمجيد صاحب دهلوي صاحب مطبع أنصاري، وفي محافظة يوبي (المقاطعة الشمالية الوسطى) مصطفى خان صاحب مطبع نظامي بالإضافة إلى المكتبات المختلفة.

تركته

وقد كتب علماء العرب والعجم عن مؤلفاته، وجمع هذه الكتابات سليم فارس أفندي بن أحمد فارس صاحب «الجاسوس»، ونشرها باسم «قرة الأعيان ومسرة الأذهان»، وفيها الفرمان الذي أصدره الخليفة العثماني السلطان عبدالحميد خان غازي «فرمان جلالت نشان» (حرر في يوم ٢٠ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٠هـ) مع التمغة المجيدية التي أنعم السلطان بها على الشيخ صديق.

واهتم بفتح المدارس، كما اهتم بالمكتبات، ومنها: كتب خانه فيض عام، وكتب خانه مدرسة جهانكيري، وكتب خانه سركاري، وكتب خانه والاجاهي (الخاصة به).

وكان يعشق الكتب والقراءة، وقسم المكتبات في آخر أيامه على ورثته، وقدم ولده حسام الملك نواب علي حسن خان تركته (أي كتبه) إلى ندوة العلماء في لكهنو، وجعلها وقفًا.

ومن إصلاحاته تعيين حراس على بوابات سوق النساء، فكان يقوم ليس فقط بمعاقبة من يحاولون الاحتكاك بالنساء، بل يلقنهم أوامر الله، ويعلمهم سنة رسوله، وكان يقوم بحصر من يقومون بكنس المقابر وتزيينها، فيأمرهم بعمل الشيء نفسه في المساجد، وقام بتعيين مجاوري القبور مساعدين لأئمة المساجد، ولم يبخل عليهم في الراتب.

والتزم حفظ الحديث ونشره، وأعلن عن مكافآت لمن يحفظ الحديث، فلمن حفظ «صحيح البخاري» ألف روبية، ولـ «بلوغ المرام» مئة روبية.

وقد وجهت إليه تهمة الترغيب في الجهاد ضد الإنجليز، وتهمة معارضة الحكومة، ووجهت إليه تهمة نشر العقيدة السلفية (الوهابية)، حتى تم الاستيلاء على جميع ممتلكاته مع فرض الإقامة الجبرية عليه، وتم تجريده من جميع ألقابه، وذلك في ١٧ من ذي القعدة سنة ١٣٠٢هـ/٢٨ أغسطس/آب عام ١٨٨٥م بعد أن تولى مسؤولية الرئاسة ١٤ سنة و١٦ يوما.

كان آخر ما كتب هو كتاب «مقالات الإحسان» وهو ترجمة لكتاب «فتوح الغيب» من تأليف سيد عبدالقادر الكيلاني، وقد توفي في ذلك الوقت بعد معاناة مع المرض يوم الخميس أول رجب سنة ١٣٠٧هـ، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

مؤلفاته

مؤلفاته العربية في التفسير:

ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، طبع طبعتين، ويقع في عدة مجلدات.

مؤلفاته العربية في الحديث:

ـ عون الباري لحل أدلة البخاري (في مجلدين).
ـ السراج الوهاج في شرح مختصر صحيح مسلم لابن الحجاج (في مجلدين).
ـ فتح العلام بشرح بلوغ المرام.
ـ الروض البسام من ترجمة بلوغ المرام.
ـ أربعون حديثًا متواترة.
ـ أربعون حديثًا في فضائل الحج والعمرة.
ـ نزل الأبرار بالعلوم المأثورة من الأدعية والأفكار.
ـ حضرات التجلي من نفحات التحلي والتجلي.
ـ مشير ساكن الغرام إلى روضة دار السلام.
ـ الغنة ببشارة أهل الجنة.
ـ يقظة لأولي الاعتبار فيما ورد من ذكر أهل النار.
ـ الدين الخالص (في مجلدين).
ـ فتح المغيث بفقه الحديث.
ـ منهج الوصول إلى اصطلاح حديث الرسول.
ـ كشف الكربة عن أهل الغربة.
ـ الرحمة المهداة إلى من يزيد زيادة العلم على أحاديث المشكاة.
ـ اتباع السنة في جملة أيام السنة.

مؤلفاته العربية في العقائد:

ـ الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح.
ـ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.
ـ قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل.
ـ ملاك السعادة في إفراد الله تعالى بالعبادة.
ـ اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود.
ـ المعتقد والمنتقد.
ـ حصول المأمول في علم الأصول.

مؤلفاته العربية في الفقه:

ـ نيل الأماني بشرح مختصر الشوكاني.
ـ ذخر المحتي من آداب المفتي.
ـ ظفر اللاضي؟ بما يجب في القضاء على القاضي.

مؤلفاته العربية في رد التقليد:

ـ الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد.
ـ الطريق المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الهوى.
ـ الروضة الندية شرح الدرر البهية.
ـ نصب الذريعة إلى تعديد علوم الشريعة.
ـ الجنة في الأسوة الحسنة.

مؤلفاته العربية في السياسة:

ـ إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة.
ـ العبرة بما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة.

مؤلفاته في التاريخ والسير:

ـ التاج المكلل من جواهر مآثر طراز الآخر والأول.
ـ رياض الجنة في تراجم أهل السنة.
ـ أبجد العلوم (دائرة معارف إسلامية).
ـ خبية الأكوان في اختراق (اختلاف) الأمم على المذهب والأديان.
ـ مراتع الغزلان في تذكار أدباء الزمان.
ـ رحلة الصديق إلى البيت العتيق.

مؤلفاته العربية في المناقب:

ـ الشمامة الغبرية في مولد خير البرية.
ـ كلمة الغبرية في مدح خير البرية.
ـ الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة.
ـ منتخب العود في أيام التشريف حمود.

مؤلفاته العربية في العلوم والأدب:

ـ البلغة في أصول اللغة.
ـ تكميل العيون بتعاريف العلوم والفنون.
ـ العلم الخفاق من عين الاشتقاق.
ـ تذهيب شرح تهذيب (المنطق).
ـ ربيع الأدب.
ـ السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون والعلوم.
ـ غصن البان المورق بحسنات البيان.
ـ لف القماط على بعض ما استعمله العامة عن المعرب والدخيل والأغلاط.
ـ الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم.

مؤلفاته العربية في علم الأخلاق:

ـ تخريج الوصايا من جنايا الزوايا.
ـ حسن الأسوة مما يثبت من الله ورسوله في النسوة.
ـ لسان العرفان.

ملاحظات



لاحقًا لمتابعاتي لمجلتنا الصرح المعلى، فإنه لمَّا يُسعدني التوجه مجددًا شطركم وضعًا للنقاط على حروف مهمة، وسعيًا وراء ما هو أجمل وأفضل وأكمل، ووصولاً إلى ما يرومه كُلّ مُحبّ لمحبوبته المتنامية والمزدهرة على الأيام.

أعرفُ أنّي لن أضيفُ جديدًا مهما أطريتُ (الفيصل)، ولكن الذي أريدُ أن أضيفه إلى مطبوعتي المحروسة، هو ما يناغيني كمتابع مُهتم، ليس بيني وبينها إلا المناغاة والهدهدة وحَبلٌ من الأمل والرجاء أن تسود مع الأيام لتغدو سفير الحبّ ومرسوله الأمين، ومنارة الثقافة ووعاء العلم والمعرفة المنشود، نبراسًا يُبدّد الديجور، ويرسم معالم الطريق للمثقف أنّى كان.

لقد جئتكم هذه المرة ببعض الملاحظات التي أراها مُلحّة، وتشكل ضرورة لمصلحة (الفيصل) وإني - كما عودتمونا - لآمل منكم التجاوب لما فيه مصلحة الجميع، راجيًا سعة صدركم، كما عرفناكم على الدّوام.

- من حقكم أن تتلقوا ما يخصكم به الكتّاب من مواد، ولكن من حقّ هؤلاء الكتاب كذلك أن تشعروهم بوصول موادّهم على الأقل، وهي سُنّتكم التي جريتم عليها إلى أمد قريب، وإنني بحكم تجربتي معكم، كنتُ خصصتكم بمادتي (المقال) منذ ٢٠ صفر الفارط بعنوان «العواصم الثقافية.. خيار المستقبل» ويا للأسف لم أتلقّ حتى تاريخه ما يفيد ولو على الأقل بوصول المادة لديكم! مما بات يُحيّرني، علمًا أنني أرسلتها إليكم أكثر من مرة، وأصدقكم إن قلتُ: ثلاثًا، متفاوتة التواريخ.

فكما يهم «الفيصل» بوصفها مطبوعة محترمة تثق بذاتها الاطمئنان على خصوصية ما يصل إليها منّا معشر الكتاب، يجب أن يهمكم كذلك تطميننا على موادّنا.. إذ الأمرُ يشكل لنا غاية منشودة، ومنعقدًا للرّجاء..

- ثمة أمر من الضرورة بمكان، فمع سعة الاستطلاعات التي تعملون على نشرها من خلال «الفيصل»، ممّا يعطي المجلة نكهةً وتميزًا بالكلمة والصورة، إلاّ أنه والكمال للواحد المتعال أرى أن تعكفوا على نشر الجداول والخرائط مع كل استطلاع، لما وراءها من سهولة في التناول والتخزين للمعلومة، وهذا من طابع عصر المعلومات ولا شك ممّا يفيد القارئ والكاتب على السواء، كما يعود على المجلة بتوفير بعض المساحة ليتيح سعة لمواد إضافية مُثرية أخرى!

فما المانع من إرفاق خريطة توضيحية مثلاً بموقع المكان الذي يدور حوله الاستطلاع مثلاً؟! فالخريطة الملونة تلقي الإضاءة الكافية هي الأخرى، وتختصر الكثير من جهد الكلمات ووصفها.. ولا يمنع من نشر الأمرين، ولكن ليس بعضهما على حساب بعض، ممّا يعزّز هذه الغاية، فلكلّ دوره ووظيفته، وكذلك بدل أن نرصد أبرز المعالم للمدينة في كلمات وسطور مستغرقة لمساحة نحنُ في أمس الحاجة إليها ولا شك.. على المجلة جدولة مثل تلك المعالم للتعامل معها بمنهجيّة فنيّة تخدم الموضوع وتغنيه تمامًا..

- أقترح على «الفيصل» كذلك، التجديد والتطوير في باب المسابقة، والتي قمتم مشكورين مؤخرًا بالتجاوب معنا في هيكلة جديدة لسلّم الجوائز ممّا زادها عددًا، ومنح مساحة جديدة للأمل لدى المهتمين لهذا الباب وهم في تقديري كُثر.. وأنتم تلمسون حجم هذا الاهتمام عددًا بعد عدد، لذا تجاوبًا مع أهمية المسابقة أرى أن ينال التطوير كذلك الأسئلة، وذلك بتنويعها على نحو أكثر فائدة، وأفضل جدوى وعملية كأن تصبح مجالات ثلاثة مثلاً، تشمل أكثر من زاوية وترتيب.

فالخيار نقاط ثلاث مثلاً، ومثلها للرأي والتعقيب، وسؤال مفتوح، وآخر في الإحصاء، وآخر لقياس ناحية في الإبداع الأدبي مثلاً، كإجراء حوار مسرحي درامي بين منظورين.. على سبيل المثال.. ولا يتسع المجال هنا حتى أرافق لكم نموذجًا

مقترحاً لحلقة من الحلقات كما أراها مُناسبة، وهذا ما أعدكم به في رسالة أخرى لاحقة وقريبة بعونه تعالى. مُضيفًا معها جدولة للإجابات وكذلك للأسماء الفائزة مع ملاحظات حول المسابقة.

- من خلال متابعتي كذلك للفيصل مجلة ومدرسة، أرى أنّها في عهدها الزاهر الحالي بات من سياستها طرق موضوعات تقليدية بروح جديدة! ولا أدري هذا الاتجاه كم يخدم الموضوعات.. فهل هو اجترار واقتحام مطلوبان في عصر السرعة وتفجر المعلومات؟! صحيح أنه يؤكد خصوصية هويتنا الثقافية، ويمنحها ألقًا وتوهجًا بات يخبو مع ابتعادنا وتغربنا عنه! ولكن في المقابل نحن بحاجة إلى أن نضرب جذورنا في فضاءات المعرفة والثقافة المتجددة باستمرار وثقة طموحة بحثًا عن هذا الأفضل والأجمل والأكمل، وتوازنًا مع الذات الحائرة في خضمّ الحدث اليومي، والسّابحة في بحرٍ لجيّ من المعرفة المتفجرة من حولنا على مدار الساعة!

ثمة همسة أراها تفوتكم بعد، ألا وهي تتعلق بعدم التركيز في الغلاف بصورة واحدة، بل أكثر حسب الأولويات، فماذا يضير لو ركّزنا في أكثر من موضوع بالصورة أيضاً غير الاستطلاع.

وبعد أرجو أن أكون وفقت لما ذهبتُ إليه من ملاحظ ساقني إليها وأملاها عليّ حبّي الخاصّ للفيصل مجلة ومدرسة بتّ أرقبها كما أرقبُ لحظات الفرج، فليت شعري.. كم غدت «الفيصل» شمساً تزوّدُ باقي الكواكب بنور العلم، وتطهرنا من رواسب الجهل مع كل إصدار!.

متمنياً لكم نجاحاً مُطّرداً.. والله يقولُ الحق، وهو يهدي السبيل.

عبدالغني عبدالهادي
ص.ب ٨٥٤٥ ـ عمّان ١١١٢١ الأردن.

التحرير:

نشكر لك إطراءك وتواصلك، ويسعدنا كثيراً أن نتلقى انتقادات القراء وملاحظاتهم القيمة. وما أبديته من ملاحظات دليل حرص على تطور المجلة، وسوف نعمل على تقويمها، والأخذ بالمناسب منها. ونعتذر إليك عن عدم تسلمك الإخطار بوصول مادتك، لأنه كما تعلم تحرص المجلة على إبلاغ الكتاب بكل مرحلة تمر بها المقالة حتى تجد طريقها إلى النشر.

ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات

ديك الجن الحمصي وعطيل شكسبير

ديك الجن الحمصي
وعطيل شكسبير نظرة مقارنة

هذا هو عنوان الدراسة التي قدمها الأستاذ فؤاد عبدالمطلب في عدد «الفيصل» رقم ٢٩٢ الصادر فيه. وفيها يتناول العلاقة بين قصة الشاعر ديك الجن الحمصي، ومسرحية عُطَيل مغزي البندقية، قامت فيما يذكر أستاذنا الفاضل على تناظر أو تشابه في الأفكار والأحداث، والشخصيات التي تتضمنها القصة والمسرحية، على الرغم من الفوارق الكبيرة بين حياة ديك الجن وعطيل من حيث الشخصية والمكان والزمان. وهذا واضح مثلاً في الصورة المتخيلة لقصر عطيل، التي زينت جزءاً من الصفحة رقم ٢٥ من العدد المذكور، بينما تدفع ديك الجن عسرة حال إلى أن يسافر ليتكسب بأشعاره عندما تقسو عليه صروف الدهر.

وفي سبيل إلقاء الضوء على هذه العلاقة، بهرنا هذا الباحث بعدد المراجع التي التجأ إليها، والتي قد لا تتيسر إلا للمعنيين بالأدب المقارن في الأقسام الجامعية، على أن ذلك لا يمنع من التعقيب على بعض الأمور لعله يفيد في إرضاء بعض الجوانب:

لقد اعتمد الباحث كتاب الأغاني، طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت عام ١٩٩٤م. وعنده أن ذلك أثبت، فالكتّاب المتأخرون ينسجون ويضيفون.

فأشار إلى جـ١٤ ص ٢٨٧. مع أن أبا الفرج، كان قد استقى معلوماته من كتاب محمد بن طاهر، ولا نعرف عن هذا الكتاب شيئًا. وأما أخبار ديك الجن، فظهرت في طبعة دار الثقافة البيروتية في الصفحات ٤٩ ـ ٦٥. ولا يوجد تاريخ ميلاد ولا وفاة وهو عند هذه الحال يستعين بوفيات الأعيان (١:٤١٥)، إذ جاء أن مولده كان سنة ١٦١هـ، بينما كانت وفاته في أيام المتوكل سنة ٢٣٥هـ أو ٢٣٦هـ. وظهرت ترجمة ديك الجن في وفيات الأعيان (٣:١٨٤ ـ ١٨٨)، من طبعة صادرة في عام ١٩٩٤م، والتي حققها الدكتور إحسان عباس. وقد نبهنا هذا الكتاب في الحاشية على مصادر ترجمة ديك الجن، ومنها الأغاني (١٢:٤٩)، ومقدمة ديوانه الذي طبعته دار الثقافة في عام ١٩٦٤م. وفي وفيات الأعيان، ذكرٌ لأخبار مروية عن كتب أخرى لم ترد في الحاشية، مثل كتاب «اعتلال القلوب» لأبي بكر الخرائطي (ـ ٣٢٧هـ) وفيه حديث ديك الجن وأشعاره. والخرائطي ـ كما هو واضح ـ من معاصري الأصفهاني، صاحب الأغاني، المتوفى سنة ٣٥٦هـ. ويمكن الجزم بأن الإشارة إلى الجلد ورقم الصفحة في مثل هذه المراجع التراثية، لا تفيد، لكثرة تهافت جهات النشر على طباعتها بأشكال مختلفة، وأحيانًا بزيادات عُدّت مفيدة. ولا أعتقد أن أحدنا سيقتني الطبعات المختلفة للأغاني، كطبعة النيل، والساسي، وبولاق وغير ذلك.

ونكتشف أن لهذه المسألة العارضة، أهمية واضحة. فقد أمدّنا الباحث بمرجعين آخرين، يتحدثان عن حياته وأشعاره، أحدهما طبع عام ١٩٨٩م، والآخر عام ١٩٨٧م (الإشارات ٧، ٨)، وربما اختلفا من حيث الإخراج عن ذلك الذي طبع عام ١٩٦٤م المذكور عاليًا.

وبودي، قبل أن أمضي في حديثي، أن ألتمس تصحيح كلمة «موته» في العمود الثاني من ص٢٤ س٥ بعد الإيضاح بالخط الأزرق (المانشيت) إلى «مودته». فهذا ضروري.

***

ديك الجن، صاحب المرثية الشهيرة، التي مطلعها:

* يا طلعةً طلع الحمام عليها

اسم غريب، وهو لقب لشاعر حاله بين الشعراء حال غريب. عصف به حب «ورد» ـ في مزاعم أبي الفرج الأصبهاني، فأسلمت على يديه وتزوجها، ثم ائتمروا به وبها فقتلها، ولم ينحبس له دمع بعدها. وقيل: إنه بعد أن عرف ما حدث على حقيقته، ندم ومكث شهرًا لا يستفيق من البكاء، ولا يطعم إلاّ ما يقيم رمقه(١).

أما الاسم الحقيقي لهذا الشاعر ـ الذي تعدّ قصة حياته، أو قصة حُبّه مأساة حقيقية، فهو عبدالسلام بن رغبان. ولد في حمص بالذات سنة ١٦١هـ. وقد سطر الدكتور محمد محمود الدش مأساته، مستفيدًا مما أورده صاحب الأغاني في هذه المسألة، وما ذكره عن تشيعه الحسن، وشعوبيته ونفوره من أهل حمص الذين تآمروا على إمام جامعهم الذي كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات. والأهم من ذلك كله، ذكر الرأي الآخر بالمرثية الآنفة الذكر، وأنها زعمت لسليك الفزاري. ولم يفلح الدكتور الدش في سرد هذه الفاجعة. فاكتنف الغموض الحكاية، تمامًا، كما اكتنف الغموض رواية أبي الفرج في كتاب الأغاني، أو ما ورد في تجريد الأغاني. فأبو الطيب ابن العم، يشيع أمر تعاطفها مع غلامه، ليصل الخبر إلى ديك الجن وهو في سلمية، ويأتي لزيارة أهله يحثّه هذا الدافع من الإشاعات وهناك يُهيأ (رجلٌ) ينادي عليها باسمها، فيغضب لذلك، ويصدق ما نمي إليه من إشاعات، وهذا بحد ذاته لا يمكن أن يزيد من الدافع العدواني، اللهم إلاّ إذا كانت لديه شكوك في أخلاق ورد، من حيث كونها واحدة من الجواري أو القيان أيًا هن، ويدفعه ويعززه شك ديك الجن، وقد صورناه فاسقًا متهتكًا فيه شيء من روح أبي نواس وأخلاقه. على أنه لا دليل يؤيد أن ابن العم كان يسعى إلى طلاقها فحسب، ولم يكن يتصور أن يقوم ابن عمه بقتلها، ونحن نعرف أنّه يترتب على ذلك أن يصبح مطلوبًا للعدالة. وفي اعتقادنا، أن ابن العم يجب أن يكون مرتاحًا لهذا الزواج، مادامت هذه المرأة قد أسلمت وأظهرت أمارات العفاف. وهذا يلائم ذوي الاتجاه المحافظ.

لقد حاول الدش أن يحرر لنا ضميمة من الأشعار التي قالها بعد حصول المأساة، فقد استنفد مراثيه في بكاء ورد، وأنه فرغ من حزنه إلى ضروب من المجون، فعاش نحوًا من ٧٥ سنة يستمرئ مأساته. وهو لا يشك في أن ديك لجن قد قال شعرًا كثيرًا في هذه الفتاة التي أحبها قبل أن يتزوجها. إذن فإن ديك الجن لم يقل الشعر في ورد فحسب، بل قال الشعر في غلامه بكر بن دهمرد، من نوع الغزل بالمذكر وغير ذلك، وله في الهجاء، وندب الحسين بن علي رضي الله عنهما، ورثى جعفر بن علي الهاشمي في سلمية، ويؤكد ابن خلكان أن ديك الجنّ قد عمر طويلاً حتى إنه رثى أبا تمام عندما وافاه الأجل.

فنحن إذن أمام شاعر قدير، ولكنّ أكثر شعره أخذ اتجاهات الغزل والرثاء.

ويحسب الدكتور الدش أن ديك الجن ما تعلم البكاء والرثاء الا بعد هذه المأساة أو هذه الفاجعة، حتى إنه يرى أن مراثية في الحسين بن علي، تمت بعد ذلك، وقد كانت مشهورة عند الخاصة والعامة ويُناحُ بها. وتعمد ذكر اتصال بي نواس (١٤٦ ـ ١٩٨هـ) به في أثناء مروره بحمص في طريقه إلى مصر، وقصد أبي تمام (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) له وهو فتى فأعانه بدرج من أشعاره، وقد أكد ابن خلكان هذين الخبرين، وذكر تفاصيل ذلك. وربما استعان الدكتور الدش بذلك.

ويمكن الاستفادة من ابن خلكان لتوضيح بعض الأمور، فهو يحيلنا إلى ابن الجراح في كتابه «الورقة»، وقد ذهب إلى أن ديك الجن مولى لطيء، وأن أصله من أهل سلمية ومولده بمدينة حمص، ويشير إلى إسلام جده الأخير وغير ذلك. والغريب أن نجد في الحاشية ما ينفي مثل هذا الخبر في كتاب الورقة المطبوع.

وإذا ما عدنا إلى صميم المأساة كما وردت في وفيات الأعيان، فإنها تخالف ما ورد في الأغاني، وفي تجريد الأغاني. فقد كان ديك الجن يهوى جارينه دنيا فاتهمها بغلامه وصيف فقتلها، ثم ندم على ذلك فأكثر التغزل فيها من ذلك قوله:

يا طلعة طلع الحمام عليها.

وأشار إلى وجودها في ديوان ديك الجن ص٩٠. وهذا يضع أمامنا مسألة جديدة في هذه القصيدة. وتضيف الحاشية الموجودة في كتاب الأغاني (١٤ ـ ٥٦) مرحلة أخرى من مراحل التعقيد، ففي ابن عساكر: وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشدَّ عليهما فقتلهما، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً، ثم قال: يا طلعة طلع الحمام.. الأبيات، ثم جلس عند الغلام فبكاه وأنشأ يقول: «أشفقت أن يرد الزمان... الأبيات ـ ديوانه ٩٢». ويشير ابن خلكان إلى قتله للغلام الذي كان يهواه، وهذه الأبيات التي ذكرنا.

وله فيها، بحسب ابن خلكان الدالية (الديوان ١٤٢) التي مطلعها:

جاءت تزور فراشي بعدما قُبرت

فظللتُ ألثم نحراً زانه الجيد

وله فيها، وقيل: إن هذه الأبيات لها في ولدها منه، واسمه رغبان:

بأبي نبذتكَ بالعراء المقفر

وسترت وجهك بالتراب الأعفر(٢)

وذكر عدة أبيات، وأنها موجودة في ديوانه ١٤٤.

أما الدكتور مصطفى الشكعة(٣)، فقد أكثر من المبالغة في أمر شعوبية ديك الجن، وجعل من الوقوف على الأطلال ذريعة للتهجم على العرب والتعريض بهم، ويرى في بعض قصائده (ص٥٧٨) روحاً من روح أبي نواس، وفيها يسترخص حرمات البيوت ويناقض الخلق العربي.

ويعرج على ذكر زيارات أبي نواس، وأبي تمام، ودعبل الخزاعي له، ثم ذكر لديك الجن صورة شعرية فكهة رسمها لديك آخر من الدجاج، قُدّم في مأدبة أقامها عمير بن جعفر، كانت السبب ـ عند بعض المؤرخين ـ في تسمية عبدالسلام بن زغبان بديك الجن، وإن كان هناك من يقول: إن سبب التسمية هو أن عبدالسلام كان ذا عينين زرقاوين صافيتين صفاء عين الديك.

في النهاية نقول: إنه إذا ما أخذنا برواية أبي الفرج للمأساة، فإنها تماثل إلى حد كبير مأساة عطيل التي صورها شكسبير نحو عام ١٦٠٢م، وفي رأيي أن ذلك جاء بالمصادفة، فوقع الحافر على الحافر. فكتاب الأغاني، وإن حُمل إلى الأندلس كما قيل، لكنه لم يترجم، مع أنهم في أوربا ترجموا ألف ليلة وليلة، والحدائق العاطرة. وإذا صحّ لنا البناء على ما اتفق من علاقات، لجاز لنا أن نقول إن مسرحية روميو وجولييت، أخذت من الملحمة الشعبية عصام وعبلى التي مطلعها:

ولي عربٌ شيمتها الخيام

وهناك الكثير من هذه المسائل كعشق عبدالرحمن بن أبي بكر لبنت الجودي(٤)، وقد سبق أن تكلم بعضهم على أن دانتي أخذ «جحيمه» من رسالة الغفران. وفي نظري أن هذا لا يضيف إلى روعة رسالة الغفران أيّ شيءٍ جديد. كما أن روعة مسرحية عطيل، لا تغني شيئًا عن أشعار ديك الجن العذبة. ونتمنى أن يتمكن المسرح العربي من إخراجها على غرار مجنون ليلى.

وإذا نظرنا إلى الإشارة رقم ٢٤، فإنه من الظلم جداً، ألاّ نعتقد بتبادل الثقافة في المجتمعات على مر العصور.

محمود عبدالعزيز الزعبي

إربد ـ الأردن.

الهوامش

١. العربي، العدد ٦٣.
٢. تجريد الأغاني، تأليف ابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧، ويلاحظ أن ما أورده من أشعار هي دون ما ذكره أبو الفرج في أغانيه، مع احتمال وجود اختلافات في رويّ بعض المقاطع.
٣. الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين ١٩٨٦م: ٥٧٦ ـ ٥٩٥.
٤. الأغاني، مجلد ١٧.

من أعلام الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية

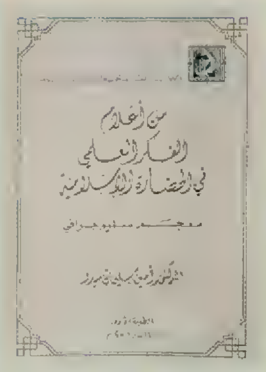
مراجعة: محمد خير البقاعي
الرياض - السعودية

تكتسب الدراسات التي تتناول الفكر العلمي العربي أهمية لا يمكن إنكارها، لأنها تساعد على إبراز الدور الذي أدته الحضارة العربية الإسلامية في الحركة الحضارية العلمية على مر العصور، وتميط اللثام عن صفحات مشرفة من الإنجازات العلمية، التي أغنت المسيرة العلمية للبشرية، وأقامت حواراً مع الحضارات التي سبقتها، فطورت به تلك الحضارات، ولم تكن، كما يحلو لبعض مؤرخي تاريخ العلم أن يقولوا، مجرد حضارة ناقلة، غير مبدعة، بل هي كما قال مؤرخ العلم جورج سارتون صادقًا: «لولا إنجازات علماء المسلمين العلمية لاضطر علماء النهضة الأوربية إلى أن يبدؤوا من الصفر، ولتأخر سير المدنية عدة قرون».

لقد اهتم العلماء العرب المسلمون بالعلوم النقلية، كما اهتموا بالعلوم العقلية، فتجد بينهم علماء رياضيات، وطب، وهندسة، وفلك، وفيزياء، وكيمياء، إلى غير ذلك من العلوم التي ازدهرت في ظل الإسلام الذي كان المحرك الأول لأولئك العلماء في كشوفهم واختراعاتهم خدمة للبشرية جمعاء، ولعل علم التعمية، أو ما يعرف اليوم بعلم الشيفرة، واستخراج المعمى، أو كسر التشفير، هو واحد من أهم العلوم التي اهتم بها العرب وطوروها، ووصلوا بها إلى مستوى عالٍ من البراعة والدقة كما تشهد بذلك الرسائل التي نشرها مجمع اللغة العربية في دمشق حتى الآن في مجلدين، استطاعا أن يوضحا إسهام العلماء العرب في هذا المجال، مما جعل مؤرخي هذا العلم من الغربيين يعيدون النظر فيما سطروه عن تاريخ هذا العلم.

أدوات لابد منها

إن مثل هذه الدراسات النظرية هي - بلا شك - على جانب كبير من الأهمية، ولكن أدوات هذه الدراسات، من كتب وبحوث سابقة تناولت أعلام الفكر العلمي وإنتاجهم هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه تلك الدراسات، ومن دون هذه الأدوات لا يمكن مراقبة مسيرة التطور في فهم أعمال أولئك الأعلام.



من أعلام الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية. معجم ببليوجرافي
د. أمين سليمان سيدو
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

والدكتور أمين سيدو واحد من الباحثين العرب الذين آلوا على أنفسهم أن يمهدوا طريق الباحثين فيما يودون الوصول إليه، فهو منذ زمن طويل يقوم بأعمال ببليوجرافية تعد أساساً ذا أهمية كبرى في البحث العلمي، فهو الذي قدم لنا كشاف «مجلة أبولو» (النادي الأدبي في الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ومجلة «المناهل»، دراسة ببليومترية، وتوثيق منهجي لموادها من العدد الأول حتى العدد الأربعين ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م - ١٤١٣هـ/١٩٩٢م (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، والضبط الببليوجرافي والتحليل الببليومتري في علم المكتبات والمعلومات، دراسة تطبيقية على مجلة «شعر» (كتاب الرياض، العدد التاسع والعشرون، مايو ١٩٩٦م)، وكشاف مجلة «التراث العربي» من العدد الأول حتى العدد الخمسين ١٩٧٩ - ١٩٩٣م (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٥م). كل هذه الأعمال الببليوجرافية أسهمت - بلا شك - في تسهيل المهمة على كثير من الباحثين في المجالات المختلفة، وها هو ذا اليوم يشمر عن ساعد الجد ليقدم لنا

هذا المعجم الذي يضم بين جنباته توثيقاً لأعمال سبعة عشر علماً من أعلام الفكر العلمي المشهورين، وللدراسات التي تناولتهم باللغة العربية، وهؤلاء الأعلام هم: ابن البيطار المالقي (٥٧٥ ـ ٦٤٦هـ/١١٧٧ ـ ١٢٤٨م)، وابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م)، وابن النفيس الدمشقي (٦٠٧ ـ ٦٨٧هـ/١٢١١ ـ ١٢٨٨م)، وأبو بكر الرازي (٢٥١ ـ ٣١٣هـ/ ٨٦٥ ـ ٩٢٥م)، وأبو بكر بن طفيل ٤٩٤ ـ ٥٨١هـ/١١٠٠ ـ ١١٨٥م)، وأبو حيان التوحيدي (٣٢٠ ـ ٤١٤هـ/٩٢٢ ـ ١٠٢٣م)، وأبو الريحان البيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ/٩٧٣ ـ ١٠٤٨م)، وأبو عثمان الجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٧٥م)، وأبو علي بن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م)، وأبو محمد الخوارزمي (١٦٠ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٧٥ ـ ٨٤٧م)، وأبو نصر الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ/ ٨٧٣ ـ ٩٥١م)، وأبو الوليد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م)، وجابر بن حيان (١٠١ ـ ٢٠٠هـ/ ٧٢٠ ـ ٨١٥م)، والحسن بن الهيثم (٣٥٤ ـ بعد ٤٣٢هـ/ ٩٦٥ ـ ١٠٤١م)، وحنين بن إسحاق (١٩٤ ـ ٢٦٥/ ٨٠٩ ـ ٨٧٤م)، وعبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)، يعقوب بن إسحاق الكندي (١٩٠ ـ ٢٦٠هـ/ ٨٠٣ ـ ٨٧٣م).

إن الحديث عن هذه الكوكبة من علماء العرب الذين احتواهم هذا المعجم بين دفتيه، حديث ذو شجون، فكيف تعامل الدكتور سيدو مع هؤلاء الأعلام في كتابه؟ يقول: «تتحدد مشكلة البحث في الوقوف على أهم العوامل الكمية والنوعية لمؤلفات هؤلاء الأعلام، والدراسات التي تناولت حياتهم العلمية، ومصنفاتهم الفكرية، سواء من الدارسين العرب أو من المستشرقين وغيرهم، وترصد الملامح الموضوعية لاتجاهات التأليف عند هؤلاء الأعلام، من خلال آثارهم المطبوعة والمخطوطة» (مقدمة المعجم، ص١٥).

لقد قدم الدكتور سيدو ترجمة مختصرة لهؤلاء الأعلام الذين شملهم البحث، وحصر عناوين مؤلفاتهم، وعرّف بآثارهم المحققة والمنشورة، وكذلك أماكن نشرها وتاريخه، وأسماء الناشرين، سواء كانوا أفراداً أو دور نشر، أو مؤسسات أخرى. ثم قام بحصر ببليوجرافي لما كتب عنهم من بحوث ودراسات في كتب مستقلة، أو رسائل جامعية، أو مباحث في دوريات أو في كتب، وبين ما كتبه المستشرقون عن هؤلاء الأعلام وما ترجم من كتابات أولئك المستشرقين إلى اللغة العربية، وقد اتبع في بيانات الوصف الببليوجرافي قواعد الفهرسة الأنجلو ـ أمريكية للوصف الببليوجرافي. وكان البحث في كل علم يتسلسل على النحو الآتي:

١ـ ترجمة العلم المدروس.
٢ـ قائمة حصرية بعنوان مؤلفاته.
٣ـ قائمة ببليوجرافية بآثاره المحققة والمنشورة.
٤ـ العلم المدروس في آثار الدارسين؛ وتقسم هذه الفقرة قسمين:
أ ـ الدراسات الخاصة.
ب ـ الدراسات العامة.
٥ـ الهوامش.

جاء هذا المعجم في ٧٢٠ صفحة ختمه الباحث بقائمة مفيدة للدوريات المكشفة، منسوقة على حروف الهجاء، بلغ عددها ٢٤٢ دورية تصدر في أنحاء الوطن العربي، ولا يطرب لمثل هذا العمل إلا الباحث الذي قضى أياماً وليالي في البحث عن مادة بحث يود كتابته، ويود معرفة الذين تناولوه قبله لكي لا يكرر ما يقولون، ويبعد عن نفسه تهمة سرقة ما جاء به السابقون. إن الأعمال التي قدمها الدكتور سيدو في مجال الحصر الببليوجرافي في هذا المعجم وغيره تعد خطوة أولى لإعداد مواقع عربية على الإنترنت، تكون قواعد معلومات في المجالات كلها يرجع إليها الباحثون العرب، كما يرجعون اليوم إلى المواقع باللغات الأجنبية ليجدوا فيها سيلاً من المعلومات عن الموضوعات كلها؛ ولو تضافرت الجهود لإنجاز أعمال كأعمال الدكتور سيدو فلن يتأخر الوقت الذي نجد فيه قاعدة معلومات عربية للأعمال العلمية العربية في كل المجالات. ولكن مثل هذه الأعمال الضخمة ينوء بها كاهل الباحث الواحد، وما قام به الدكتور سيدو يحتاج إلى لجنة علمية تشرف عليها بخبرته في هذا المجال، وتقوم تلك اللجنة بتفحص الأعمال المضمنة في المعجمات كي لا تتسرب إليها بعض الأخطاء والهنات الهينات مما يعرض للفرد الواحد إن هو قام بمثل هذا العمل الهائل.

من أجل مزيد من الدقة

وسنعرض لبعض المآخذ التي تخطو بالمعجم نحو الصحة والدقة المنشودتين في مثل هذه الأعمال، كنا نود أن يرتب الدكتور سيدو هؤلاء الأعلام في معجمه تاريخياً، أي حسب تاريخ وفاتهم. لأن مثل ذلك يمكن أن يترك تصوراً معيناً حول طبيعة تطور الاهتمامات في المجالات العلمية، ويعطي القارئ غير المختص إحساساً تاريخياً، صرنا اليوم بحاجة إليه، وقد أصبح كثير من المختصين لا يدرون من المتقدم بين الجاحظ وابن خلدون؟ لقد سبق للدكتور سيدو أن نشر كثيراً من هذه الدراسات من قبل في أماكن مختلفة، وقد أحسن فجمعها في هذا المعجم لتكون ميسرة للناس في مكان واحد، وقد قام الدكتور سيدو بتجديد قوائم الدراسات التي تناولت هذه الأعمال، مما كان قد نشره، ولكنه لم يصحح بعض ما فيها من أخطاء مطبعية، سببت في بعض الأحيان أخطاء علمية

مزعجة، مثال ذلك، ما جاء في الحديث عن الدراسات التي تناولت أبا الوليد بن رشد (ص٤٦٦)، عندما تحول شحلان أحمد إلى شعلان أحمد، وذكر له الكتاب نفسه المنسوب في الصفحة نفسها إلى شحلان أحمد، وربما ظن غير العارفين أنهما رجلان، ولا أرى إلا أن شحلان تحول إلى شعلان، الذي كان موجوداً في مجلة عالم الكتب (المجلد الحادي والعشرون، العددان الرابع والخامس ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص ٣٦٩)، ولكنه لم يتنبه إلى أن شحلان هو شعلان فأصبح العمل عملين، والرجل رجلين، ومن الإضافات المهمة التي كان ينبغي استدراكها في الحديث عن مؤلفات ابن رشد ما جاء في مجلة «الدراسات اللغوية» التي تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (العدد الرابع من المجلد الثاني، شوال - ذو الحجة ١٤٢١هـ / يناير - مارس ٢٠٠١م، ص ٢٧٩ - ٣٠٢)، وهو حديث الباحث الدكتور فيصل الحفيان عن اكتشاف مخطوطة كتاب ابن رشد التي كانت ضائعة وعنوانه «الضروري في كليات صناعة النحو»، ومما هو أخطر من ذلك ما جاء في (ص ٦٧٦) عند الحديث عن الكندي في آثار الدارسين باللغة العربية؛ إذ ورد ذكر لأحد الأعمال بعنوان: الأزدي، أحمد بن علي. مآخذ الأزدي على الكندي، تصنيف أحمد بن علي بن معقل المهلبي الأزدي؛ تحقيق هلال ناجي - المورد. - مج٦، ع٣ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م). - ص ١٦٥ - ٢١٢، وليس لهذا الكتاب علاقة بالكندي الفيلسوف، وإنما المعني هو الإمام تاج الدين أبو اليُمن الكندي البغدادي، المتوفى سنة ٦١٣ هـ، وكان له حواش على ديوان المتنبي رد عليها الأزدي في كتابه «المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي»، ناقش فيها الأزدي خمسة شروح هي: شرح ابن جني، وشرح المعري، وشرح الواحدي، وشرح التبريزي، وشرح الكندي، واستخرج الأستاذ هلال ناجي القسم الخاص بنقد شرح الكندي، وهو شرح لمئة وأربعة وعشرين بيتاً من الأبيات التي كثر فيها خلاف القدماء من شعر أبي الطيب، وحققها، وقد حقق كتاب الأزدي كاملاً الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع، يصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في ثلاثة مجلدات.

وانظر مقالة بعنوان «المآخذ على شرح ديوان المتنبي» لابن معقل (ت ٦٤٤هـ)، في مجلة عالم المخطوطات والنوادر (المجلد السادس، العدد الأول، المحرم/جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/أبريل - سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٤ - ٦٥). ومن العجب ألا أجد في الحديث عن الكندي ما جاء عنه في كتاب «علم التعمية واستخراج المعمى» الجزء الأول، دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، الدكتور محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٧م، ص ٩٤ - ٩٧؛ وانظر: ١٠٦ - ١٣٧ و ٢٠١ - ٢٥٥، لأن الكندي، كما ثبت بالدليل القاطع، هو أبو عذرة علم التعمية في العالم. ومما كان ينبغي الوقوف عنده ومناقشته ما ورد في (ص ٥٦٩) عند الحديث عن حنين بن إسحاق؛ إذ نقل الدكتور سيدو نصاً عن عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة فيه: «وقال سليمان بن حسان: إن حنيناً نهض من بغداد إلى أرض فارس، وكان الخليل بن أحمد النحوي بأرض فارس، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب، وأدخل كتاب العين بغداد...»، وهذا مما لم يصح على الدراسة، وقد أشار إلى ذلك من درسوا حياة حنين بن إسحاق. وقد كان الدكتور سيدو يعتمد في إثبات كتب العلماء على كتب التراث القديمة التي كانت - على الرغم من جهد أصحابها - تذكر عناوين الكتب بأشكال مختلفة، وقد زاد الطين بلة في ذلك النساخ وزياداتهم، وتصحيفاتهم، وحبذا لو استعان بكتاب بروكلمان للتأكد من صحة العناوين، وعلى كتاب سزكين فيمن يقعون ضمن الفترة التاريخية التي توقف عندها. أو غير ذلك من قوائم كتب العلماء الذين ذكرهم مما صنعه الذين اهتموا بهؤلاء العلماء ونتاجهم العلمي. لقد كان الدكتور سيدو على وعي بما يعتري مثل هذه الأعمال الضخمة من قصور وضح أسبابه في نهاية مقدمته، ولعل من حسنات هذا المعجم العظيمة أنه يقدم أول مرة ببليوجرافيا لخمسة من أعلام العلوم العربية وهم: ابن البيطار المالقي، وابن النفيس الدمشقي، وأبو بكر بن طفيل، وجابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، هؤلاء الأعلام الذين نلهج بأسمائهم لم يكن لهم قبل هذا المعجم ببليوجرافيا تدل على مدى الاهتمام بهم، وها هي ذي اليوم في معجم الدكتور سيدو سائغة للواردين.

والدراسات الببليوجرافية كما يقول الدكتور سيدو في مقدمته بالغة الأهمية للبحث العلمي والمعرفي؛ إذ إنها تتيح للباحث مصادر المعلومات في موضوع معين، فهي بمنزلة منابع معلومات تغذي البحث العلمي، والمولد الحقيقي له باستمرار. إن ما ذكرناه لا يقلل من الأهمية الكبيرة التي يمثلها صدور هذا المعجم في حلته القشيبة؛ التي نرجو أن تخلو في الطبعات القادمة من بعض المآخذ التي نجدها في كل عمل بشري. وما نرجوه أن يتابع الدكتور سيدو أعماله المفيدة في عصر المعلوماتية، وأن يتاح له العمل مع فريق من الباحثين لإنجاز موقع عربي على الإنترنت يتضمن هذه المعلومات مدققة واضحة، لتكون منارة للدارسين اليوم، ولأجيال المستقبل سعياً إلى وضع علمي أفضل، في عصر عربي أحسن.

تهافت التهافت

انتصاراً للروح العلمية وتأسيساً لأخلاقيات الحوار

مراجعة: **جعفر أحمد العقيلي**
إربد ـ الأردن

احتفل العالم منذ فترة بمرور ثمانية قرون على وفاة فيلسوف قرطبة أبي الوليد ابن رُشْد (٥٩٥هـ/١١٩٨م) الملقب بابن رشد الحفيد تمييزاً له من جده الذي يحمل الاسم نفسه، والذي وضع عدداً من المؤلفات في الفلسفة والطب، والدين والغيبيّات، أسهمت إسهامًا كبيراً في النهضة الأوربية الأولى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان لها دورٌ رئيس في تشكيل الفكر الأوربي حتى القرن الثامن عشر.

وُلد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رُشد في قرطبة سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) بعد شهر من وفاة جدّه الذي كان فقيهاً وقاضياً (لا تزال بعض أحكامه موجودة في متاحف باريس)، وتولى في شبابه القضاء في قرطبة ثمّ في إشبيلية، وقبل بلوغه سن الخامسة والثلاثين كان قد تولى القضاء في الأندلس ومراكش معًا.

وقد عرِف عن ابن رشد أنه كان مُتواضعًا، بعيداً عن السُلطة والسلطان، زاهداً، لا يفكّر في لبسه ولا يدّخر، لم يسْعَ إلى منصبٍ دنيوي، ولم يطمع في مال.

وخلال حياته، وضع ابن رشد مجموعة من المؤلفات منها: «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، و«الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة»، و«الكلّيات في الطّب»، و«جوامع سياسة أفلاطون» و«تهافت التهافت» في الردّ على الغزالي، كما أنه أول شارح لأرسطو في كتاب «ما بعد الطبيعة»، وترجم كتاب «الحيوان» لأرسطو أيضاً.

واحتفاءً بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاته، أصدر مركز دراسات الوحدة العربية ضمن سلسلة التراث الفلسفي العربي ثلاثة مؤلفات لابن رشد هي: «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» الذي يبحث فيه العلاقة بين الدين والفلسفة في الإسلام، و«الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّة» وهو كتاب في نقد علم الكلام وتطوره وقضاياه، و«تهافت التهافت» الذي يرد فيه ابن رشد على الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة».

تهافت التهافت
انتصاراً للروح العلمية وتأسيساً لأخلاقيات الحوار
د. محمد عابد الجابري
الرباط:
سلسلة التراث الفلسفي العربي ـ مؤلفات ابن رشد:(٣)
مركز دراسات الوحدة العربية

كما تتّجه النية لدى المركز لإصدار كتاب «جوامع سياسة أفلاطون» الذي فُقدَ أصله العربي، وبقيت منه ترجمة عبريّة، حيث سيُصار إلى نقله إلى العربية أول مرة ضمن هذا المشروع، بالإضافة إلى إعداد طبعة محققة تحقيقًا علمياً، مع تعليقات وشروح لكتاب ابن رشد الذي لا نظير له في الفقه المقارن (على المذاهب الأربعة): «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

أمّا كتاب «تهافت التهافت» الذي نخصّص له هذا

الموضوع، فهو كتاب مشهور جداً، اشتهر به ابن رشد، كما اشتهر هو به، لكن الكثير ممن عرفوا اسم هذا الكتاب واسم صاحبه لم تتجاوز معرفتهم بهما ما ذاع وشاع عنهما من آراء، «جلّها من ذلك النوع الذي يتلقاه الناس من مصادر يجهلونها أو يجهلون قيمتها ودوافعها وميولها، فتكتسب قوّتها ومصداقيتها من كونها موروثًا جماليًا يتلقاه الناس، ويداولونه بينهم بوصفه الحقيقة التي لا تُناقش، كما يقول المفكر العربي الدكتور محمد عابد الجابري، الذي كتب مدخلاً ومقدمة تحليلية وشروحاً للكتاب بصفته مشرفًا على المشروع، وذلك بهدف إعداد القارئ «المختصّ» نوعًا خاصًا من الإعداد، يحمله على جعل ما تراكم عنده من الأحكام السابقة والآراء الموروثة موضع سؤال.

وحدّد ابن رشد الغرض من كتابه ابتداءً، وبكلمات وجيزة، فكتب مقدمة في سطرين يقول فيها بعد الحمدلة: «... فإن الغرض في هذا القول أن نبيّن مراتب الأقاويل المثبتة في كتاب التهافت لأبي حامد في التصديق والإقناع، وقصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان». بمعنى أنه وضع «تهافت التهافت» ردًا على الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٩ ـ ١١١١م) في كتابه «تهافت الفلاسفة» الذي أنجزه عام ١٠٩٥م في بغداد، ويشتمل «تهافت الفلاسفة» على خطبة للكتاب، وأربع مقدمات، وفهرس المسائل التي ناقش فيها الغزالي عدداً من الفلاسفة «خصوصاً ابن سينا بهدف إظهار تناقض مذهبهم، وكلامهم، وبيان تهافتهم، ومجموعها عشرون مسألة، ستّ عشرة مسألة منها في الإلهيات تدور جميعها حول القضايا نفسها التي يتخذها علم الكلام موضوعًا له، مثل قِدَم العالم أو حدوثه، وذات الله وصفاته، ونفي الشرك عنه.

أما المسائل الأربع المتبقية، فهي في الطبيعيات التي رأى الغزالي أنها تتناقض مع العقيدة الدينية كما يُقررها المذهب الأشعري، هي مسألة السَّببيّة، مسألة جوهرية النفس واستقلالها عن البدن، ومسألة خلودها، وأخيراً مسألة حشر الأجساد.

ويرى الجابري أن الغزالي أخضع «تهافت الفلاسفة» لبنيَة علم الكلام، فحاكم الفلسفة داخل رواق (الكلام)، لا في فضاء الفلسفة، وبيّن كيف بنى الغزالي خطابه الهجومي، إذْ يعرض الغزالي وجهة نظر الفلاسفة، كما يستخلصها من كتب ابن سينا، بالطريقة التي يريد، والترتيب الذي يفضّل، ويعرضها كما يفهمها، وفي بعض الأحيان يبدأ بتحديد عدد أوجه الاعتراضات التي سيوجّهها للفلاسفة، ثمّ يذكر ما يراه جواباً لهم عن اعتراضه ذاك، ثمّ يردّ على هذا الاعتراض، إمّا بمجرّد التشكيك فيه، وإمّا بتقديم وجهة النظر التي يريد طرحها كبديل، وهكذا...

بينما نجد اختلافًا واضحًا في أسلوب ابن رشد في «تهافت التهافت» عن أسلوب الغزالي، فقد سلك فيلسوف قرطبة في «تهافت التهافت» الطريقة نفسها التي سلكها في شروحه المطوّلة على كتب أرسطو: يتتبّع الكتاب فقرة فقرة، ويبدي رأيه، يأتي بكلام الغزالي، كاملاً في الغالب، وأحيانًا بعد تلخيصه بأسلوبه هو، وأحيانًا أخرى يقاطعه ليُدلي بتعليق أو توضيح، فهو يتدخل تارةً في جميع تلك المراحل أو جلّها ليُصَحِّحَ أو يردّ، وتارة يترك الغزالي حتى ينهي كلامه في القضية موضوع النقاش ثم يتدخل ليناقش، ويحلّل، وهو لا يعترض من منطلق مذهبي معيّن، بل يركز على ما في الدعاوى المطروحة من ضعف منطقي أو من مخالفة لما يقول به الفلاسفة (أرسطو تحديداً).

قاض نزيه وأستاذ مصحح

وأودّ أن أشير هنا إلى أن الكثيرين ممن درسوا ابن رشد قالوا: إنه كتب «تهافت التهافت» للردّ على الغزالي، في ردوده على ابن سينا فقط، لكنّ المتمعّن في الكتاب، يجد أن ابن رشد يردّ أيضًا على أطروحات ابن سينا نفسها كما عرضها الغزالي، شارحاً ومعترضاً ومجيبًا عن الاعتراض على لسان ابن سينا، فهو لا ينتصر لابن سينا على الغزالي، بل يقف موقف القاضي النزيه: يعطي الحقّ للغزالي إذا كان الحق معه، ويقف مع ابن سينا إذا كان الصواب في جهته، ويقف ضدّهما معًا إذا كانا خارج الصواب الذي يسميه «البرهان» و«العلم» مستنداً في ذلك إلى أرسطو، وتقسيمه لأنواع الأقاويل: البرهانية، الجدلية، السفسطائية، الخطبية، والشعرية.

وعندما يصف ابن رشد (الأقاويل المثبتة) في كتاب الغزالي بـ «قصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان» كما جاء في مقدمة «تهافت التهافت»، فهو يعني أن أكثر أقاويل

الغزالي من النوع الجدلي والخطابي والسفسطائي، أي إنها لا تنتمي إلى «العلم» ومن ثم فهدفها ليس المعرفة، بل إقناع المخاطب بوجهة نظر (إيديولوجية) تنتمي إلى مذهب ما فقط.

ولا شك أن هناك مسوّغات لرجوع ابن رشد إلى أرسطو، واعتماده عليه في ردوده على الغزالي، وابن سينا، إذ إن أرسطو هو مرجع الغزالي نفسه، لأنه يريد، كما صرح هو نفسه في المقدمة الأولى من كتابه «تهافت الفلاسفة»: «إظهار التناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق والمعلم الأول...وهو أرسطو طاليس»، وهنا لا يقف ابن رشد موقف القاضي بين الغزالي وأرسطو فحسب، بل موقف الأستاذ المصحح أيضاً، لما ينسبه الغزالي لأرسطو، الشارح لمصطلحاته، والمفسر لمقاصده.

والعناد السفسطائي، مماّ مكّن الغزالي من التطاول عليهما.

لكن ابن رشد يلجأ إلى هذه الطريقة (البرهانية) التي لا يستطيع الغزالي ولا غيره المجادلة فيها، ويتّبع قواعد الحوار، ويلتزم أخلاقياته، فهو يلّح في مناسبات كثيرة في «تهافت التهافت» على ضرورة مراعاة جملة من القواعد والأصول في التعامل مع رأي الخصم، تؤسس ما يمكن أن نطلق عليه «قواعد الحوار وأخلاقياته عند ابن رشد»، وهي تقوم على مبادئ أربعة نتلمسها من عباراته في الكتاب.

حيث يعترف ابن رشد بحق الاختلاف، وبالحق في الخطأ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قوله: «وكل ما قلته من هذا كله فليس يبين ها هُنا، ويجب أن يفحص عنه بعناية على الشروط التي بيّنها القدماء واشترطوها في الفحص،

يعترف ابن رشد بحق الاختلاف، وبالحق في الخطأ، كما أنّه يدعو إلى ضرورة فهم الرأي الآخر في إطاره المرجعي الخاص به، ويتعامل مع الخصم من منطلق التَّفَهُّم، والتزام الموضوعية، والاعتراف له بحق الدفاع عن رأيه

كما أن أرسطو هو أيضاً مرجع ابن سينا الذي يصرّح في كتابه المشهور «الشفاء» الذي يستهدفه الغزالي بالذات: «ما صحّ» عنده من العلوم التي أودعها أرسطو في كتبه، وهنا يقف ابن رشد الموقف نفسه: موقف القاضي، يفصل بين ما هو لأرسطو حقاً، وما هو من وضع ابن سينا والفارابي، وموقف الأستاذ المصحح لما فهمه ابن سينا من نص أرسطو، أو لما لا علاقة له به، والشارح للمسائل التي فيها شكوك وإشكالات.

بالإضافة إلى أن أرسطو كان زمن ابن رشد وإلى ما بعده بعدة قرون، يمثّل قمة العلم والفلسفة، والمرجع الأول لهما، وكان ابن رشد هو المرجع في شرح أرسطو بالنسبة إلى أوربا النهضة، كما قيل: «أرسطو فسَّر الكون وابن رشد فسَّر أرسطو».

قواعد الحوار

وتتكرّر شكوى ابن رشد في «تهافت التهافت»، بسبب عدول الفارابي وابن سينا عن الطريقة البرهانية في (العلم الإلهي) واتباعهما طرقاً جدلية أخذوها من المتكلمين و«الضعفاء» في الفلسفة، فجاءت أقاويلهما قابلة للرد الجدلي

ولا بدّ مع ذلك أن يسمع الإنسان أقاويل المختلفين في كل شيء يفحص عنه، إن كان يُحبّ أن يكون من أهل الحقّ».

كما أنّه يدعو إلى ضرورة فهم الرأي الآخر في إطاره المرجعي الخاص به، مثل قوله عن اعتراضات الغزالي على الفلاسفة: «فوجه الاعتراض على الفلاسفة في هذه الأشياء أنفسها التي اعترض عليها هذا الرجل».

ويتعامل ابن رشد مع الخصم من منطلق التَّفَهُّم، والتزام الموضوعية، والاعتراف له بحق الدفاع عن رأيه، يقول: «وإنّما اضطررنا إلى ذكر الأقاويل المحمودة التي حركت الفلاسفة إلى تلك الاعتقادات في مبادئ الكل، لأن منها يتأتى جوابهم لخصومهم فيما يلزمونهم من الشناعات، وذكرنا الشناعات التي تلزم المتكلمين أيضاً، لأن من العدل أن يُقام بحجّتهم في ذلك، ويُنَاب عنهم، إذ لهم أن يحتجوا بها، ومن العدل، كما يقول الحكيم (أرسطو) أن يأتي الرجل من الحُجَج لخصومه بمثل ما يأتي لنفسه، أعني: أن يجهد نفسه في طلب الحُجَج لخصومه كما يجهد نفسه في طلب الحُجج لمذهبه، وأن يقبل لهم من الحُجج النوع الذي يقبله لنفسه».

ومن المبادئ التي تقوم عليها قواعد الحوار عند ابن رشد اعتقاده في نسبية الحقيقة العلمية، وفي إمكانية التقدّم العلمي، إذ يقول بصدد اعتراض الغزالي على تفسير القدماء لحركة الأجرام السماوية وعلاقتها بانتظام الحوادث الأرضية: «لكن لا يشك أحد أنه ما من حركة ها هنا، ولا مسير ولا رجوع للكواكب إلا ولها مدخل في وجود ما ها هُنا، حتّى لو اختلف منها شيء لاختَلَّ الموجود ها هُنا. ولكن كثيراً من هذه الأسباب الجزئية: إما ألا يوقَف عليها أصلاً، وإمّا أن يوقَف عليها بعد زمان طويل وتجربة طويلة...».

ظنون بلا برهان

وفي ردّه على الغزالي، قام ابن رشد بفحص نقدي شامل لكل أقاويله واستدلالاته، فخلص إلى أنها ظنون غير صادقة، وغير برهانية، وكان يندهش للأدلة التي يدخلها الغزالي عن الفلاسفة، إذْ لا يعلم ابن رشد أحداً منهم قالها، فيردّ عليه بأنها شكوك يبثّها للتشويش على الفلاسفة، أو يجد أنها معانٍ استقاها من الفارابي وابن سينا، ولا محلّ لها في فلسفة أرسطو، وحين يقف ابن رشد على أقاويل له تُلائم أصول الفلاسفة يعترف له بالصواب، وكذلك فعل مع الفارابي وابن سينا، إلاّ أنه انتقدهما بشدّة في كتابه هذا مبيناً أن ما يثبتانه عن أرسطو وعلوم الأوائل ليس صحيحاً، وأن ذلك هو ما أفاد الشكوك التي عرضها الغزالي في كتابه لضرب أقاويل الفلاسفة بعضها ببعض.

ويؤاخذ فيلسوف قرطبة صاحب «تهافت الفلاسفة» على سلوكه الذي ينمّ على عدم الاعتراف بالجميل للذين تعلمّ منهم، واستفاد من جهودهم وثمار فكرهم. ويعبّر كذلك عن حيرته أمام المواقف التي يقفها الغزالي إزاء الحقّ وإزاء خصومه، والتي يطبعها الشّطط والتنكّر والعناد الذي لا يسوّغه شيء سوى الرغبة في العناد، ويحاول ابن رشد أن يفهم دوافع الغزالي، ويلتمس له العذر من هنا أو هناك، ويقف إزاء سلوكه موقف القاضي النزيه الذي يبحث عن أسباب النازلة ودافعها قبل إصدار الحكم، غير أن مواقف الغزالي جاءت في معظم الأحيان تنمّ بوضوح على سوء النيّة مما يضطر معه ابن رشد إلى التعامل معها بما تستحقه من لوم وزجر.

ومن مثال ذلك أن الغزالي يبالغ في تشويه رأيٍ لابن سينا، والسخرية منه، فيقوم ابن رشد بإعادة بناء ذلك الرأي بشكل يمكن به استساغته والدفاع عنه، ثمّ يعقّب على كلام الغزالي قائلاً: «فإذن ليس هذا القول من الشناعة في الصورة التي أراد أن يصوّرها هذا الرجل، حتّى يُنَفِّر بذلك النفوس عن أقوال الفلاسفة، ويخسسهم في أعين النظّار...»، ويضيف: «لذلك كان هذا الكتاب «تهافت الفلاسفة» أليق لفظ به كتاب التهافت بإطلاق، لا تهافت الفلاسفة، لأن الذي يفيد الناظر هو أن يتهافت...».

ولم يكن ابن رشد، يصدر في هذا الكتاب وحتّى في كتبه الأخرى عن أي هاجس فكري أو مذهبي (أيديولوجي)، ممّا أفسح المجال أمام الوازع الأخلاقي والمواقف العلمية، التي كان ابن رشد منقطعاً لها، لا يبغي من ورائها تحقيق أي شيء، غير المعرفة التي تُطَمْئن النفس إلى غلبة الحق والصواب فيها، مرجعيتها الوحيدة العقل وأحكامه.

وبخلاف المسائل الأخرى، فقد استثنى ابن رشد المسألتين التاسعة عشرة والعشرين في كتاب «تهافت الفلاسفة» فلم يذكر نص كلام الغزالي فيهما، لأنهما تتناولان موضوعاً هو في نظره من اختصاص الدين وحده، وهو موضوع: «البعث» هل سيكون للنفوس وحدها أم لها وللأجساد؟ وكان ابن سينا قد تكلّم فيه برأي فردّ عليه الغزالي. أما فليسوف قرطبة فقد فَضَّل عدم الانخراط في الجدال حول هذه المسألة، لأنها عنده من مبادئ الدين لا من قضايا الفلسفة، فاكتفى بإبداء رأيه في المسألة ككّل.

من الجدير بالذكر أن فريق الإشراف على تحقيق متن الكتاب ضمّ مصطفى الحدّاد وأحمد محفوظ، واشتملت مقدمة التحقيق على تعريف الكتاب وأصدائه في التراث اللاتيني، والتراث العبري، والتراث العربي، وشروحه، ومخطوطاته التي توزّعت في مختلف بقاع الأرض.

وأخيراً لا بدّ من تأكيد أن «تهافت التهافت» يمثّل دفاعاً عن الرؤية العلمية وأخلاقيات الحوار، بما تضمنّه من نصوص وردود اتّسمت بالدقة والموضوعية وعدم التحيّز.



مجمع الملك فهد وجهوده
في خدمة القرآن الكريم

الإسلام وحوار الحضارات

المكون اليهودي في الثقافة المعاصرة

منتدى عربي ضد العولمة

صورة شخصية بـ(٢٥) مليون
جنيه إسترليني

جوائز لكل من هابيلا
ودرويش وبونسي

عودة الملكة نفرتاري إلى مصر



خاتمة المطاف

التململ من
المصطلحات الأدبية..
ظاهرة عند العرب
المعاصرين

مجمع الملك فهد وجهوده في خدمة القرآن الكريم

الملك فهد بن عبد العزيز

انتهى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة من طباعة ٢٨ ترجمة من ترجمات معاني القرآن الكريم بلغات الباشتو والبراهوئية والألبانية والإندونيسية والأوردية والبنغالية والبوسنية والتركية والتاميلية والصومالية والصينية والفرنسية والقازاقية «حرف سيريليكي» والإنجليزية والهوسا والإيغورية والإسبانية والفارسية والكشميرية والكورية والمليبارية والمقدونية واليوربا واليونانية والأنكو والبورمية والتايلاندية والزولو، إضافة إلى ذلك هناك ثماني ترجمات لمعاني سورة الفاتحة وجزء عم إلى اللغات الإسبانية والإنجليزية والصينية والأوردية والإندونيسية والفرنسية والمليبارية والهوسا، وترجمة لمعاني جزء تبارك وجزء عم باللغة الصينية، وترجمة من دون النص العربي باللغة الإنجليزية، وترجمة مسجلة على أشرطة كاسيت باللغة الأورومية ليصل مجموع الترجمات إلى ٥٦ ترجمة.

كما يعد المجمع ترجمات أخرى مستقبلاً ويبلغ مجموع لغات الترجمات ٣٩ لغة، بينما يبلغ عدد إصدارات الترجمات ٥٦ لغة، ويعتزم المجمع إعداد ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية.

وقد أنتج المجمع منذ افتتاحه قبل ١٧ عاماً حتى شهر مايو/أيار الماضي أكثر من ١٦٥ مليون نسخة، ووزع خلال الفترة نفسها ١٤٢ مليون نسخة في جميع القارات والدول الإسلامية وفي أوساط الأقليات المسلمة في العالم، ووصل عدد الإصدارات التي أنتجها المجمع إلى ما يزيد على ٩٠ إصداراً موزعة بين مصاحف كاملة وأجزاء وترجمات وتسجيلات وكتب للسنة والسيرة النبوية وغيرها.

وللمجمع مخطوطتان خاصتان به بروايتي حفص عن عاصم وورش عن نافع، كتبهما خطاط المجمع وراعتهما لجنة علمية بالمجمع، كما شارف المجمع على الانتهاء من كتابة مخطوطتين أخريين خاصتين به بروايتي الدوري وقالون.

وبلغ عدد زوار المجمع منذ افتتاحه إلى نهاية شهر صفر الماضي نحو مليوني زائرمن مختلف بلدان العالم.

الإسلام وحوار الحضارات



الأمير عبدالله بن عبد العزيز

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني والرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، تعتزم المكتبة إقامة ندوة دولية بعنوان «الإسلام وحوار الحضارات» في الفترة من ١٩إلى ٢٢ شعبان سنة ١٤٢٢هـ الموافق (٤ ـ ٧ نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠٠١م)، وذلك مشاركة منها في احتفالية العام ٢٠٠١م التي حددتها هيئة الأمم المتحدة عاماً لحوار الحضارات.

وتسعى المكتبة من خلال هذه الندوة إلى بيان مفهوم الحوار وتوضيح المفاهيم الأساسية لتعامل الإسلام مع الحضارات الأخرى، وتأكيد أن الإسلام دين الحوار والتواصل مع الحضارات بإرسائه القيم والمبادئ التي يجب أن يقوم عليها الحوار بين الحضارات.

ويشارك في الندوة نخبة من الباحثين والمفكرين والأكاديميين المسلمين والأجانب يبلغ عددهم نحو ٣٠٠ عالم ومفكر ومثقف من جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى عدد كبير من ضيوف الندوة والإداريين والفنيين، ويناقش هؤلاء العلماء موضوع الندوة من خلال ثلاثة محاور تعنى بطبيعة التواصل الحضاري وما هيته: صراع أم حوار، وعلاقة الإسلام بالحضارات الأخرى، وقضايا حضارية معاصرة.

والجدير بالذكر أن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة سبق لها أن نظمت عدداً من الندوات الدولية المرموقة، مثل «استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات سنة ١٤١٢هـ»، و«اللغة العربية والتقنيات المتقدمة سنة ١٤١٤هـ»، و«الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات سنة ١٤١٤هـ»، و«مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي سنة ١٤٢٠هـ»، و«مستقبل الثقافة في العالم العربي سنة ١٤٢١هـ».

المكون اليهودي في الثقافة المعاصرة


الأمير تركي الفيصل

بحضور صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وعدد كبير من المثقفين والمفكرين، استهل مركز الملك فيصل أنشطته الثقافية بمحاضرة عنوانها «المكون اليهودي في الثقافة المعاصرة» قدمها الدكتور سعد بن عبدالرحمن البازعي أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة الملك سعود، وقد أقيمت المحاضرة في قاعة المحاضرات التابعة للمركز بمبنى مؤسسة الملك فيصل الخيرية في ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ، وقدّم المحاضر وأدار الحوار الدكتور ميجان الرويلي.

وأشار المحاضر في بداية حديثه إلى التجربة الصعبة التي واجهها في محاولة الاقتراب من اليهود والتعرف إلى ما أسماه المكون الذي قدموه للثقافة المعاصرة «وهي ثقافة غربية في المقام الأول، لكن انتشارها وهيمنتها يجعلانها جديرة بأن نكتفي بوصفها بالمعاصرة»، وأكّد المحاضر أننا لن نستطيع التعرف إلى الثقافة الغربية دون المرور باليهود والوقوف على الأعمال الضخمة والتأسيسية لهم في تاريخ تلك الثقافة، وأكّد أن المعرفة باليهود تظل حاجة ملحة، لا لأنهم يقفون في خندق العدو اليوم كما وقفوا من قبل فحسب، بل لأنهم مؤثرون في كثير من حقول المعرفة وميادين النشاط الثقافي الإنساني المؤثر عالمياً.

وحدد المؤلف: من هم اليهود المقصودون؟ والانتماء اليهودي وسؤال الهوية، وتناول رموزهم الضخمة في تاريخ الثقافة والعلم والفلسفة، كذلك تعرض لمسألتين رئيستين: الأولى: هي طبيعة الانتماء اليهودي، والثانية مدى تأثير ذلك الانتماء فيما قُدم من أعمال، ومن ثم في الثقافة نفسها، وقدّم عدداً من الأمثلة على ذلك.

تناول البازعي كذلك التوجهات التأسيسية ذات الطابع الليبرالي التي عرفت مؤخراً بـ «التنوير المتطرف»، وتحدث عن التأثيرات الكبرى التي قادها الفيلسوف باروخ سبينوزا في هذا الاتجاه وما أحدثه من تغيير أصاب الثقافة الغربية، ومعها كثير من الثقافات الأخرى نتيجة هذا التنوير المتطرف.

تحدث البازعي كذلك عن العالم النفسي فرويد وانتمائه إلى اليهودية وطبيعة ذلك الانتماء وأثره في تشكيل نظرياته في التحليل النفسي وما بثه من مفاهيم.

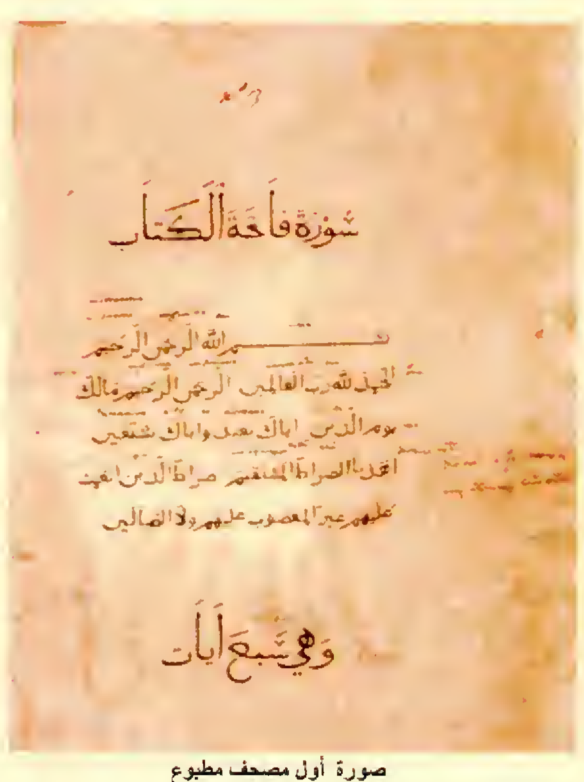
وبعد نهاية المحاضرة عقّب بعض الحضور، وأجاب المحاضر عن الأسئلة التي قدمت إليه.

معرض المصاحف المطبوعة

يقيم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية معرضاً للمصاحف المطبوعة، يهدف إلى الوقوف على مراحل تطور كتابة المصاحف، والاطلاع على نماذج من الخط العربي وتطوره خلال كتابة المصحف، وقراءة الجانب الروحي والفكري والتطور المادي في حياة المسلمين، وإبراز الشواهد المادية والأثرية للحضارة الإسلامية الدالة على وحدة أصول الفن الإسلامي، وتتبع مراحل تطور الطباعة، من خلال المصاحف المطبوعة في العالم، وجمع أكبر قدر ممكن من نماذج المصاحف المطبوعة في العالم، تحت سقف واحد.

وقد بلغ عدد المصاحف التي وصلت إلى المركز نحو ٧٣١ مصحفاً من دول مختلفة، وهي مصاحف نادرة ومتميزة في نواحٍ عدة، مثل الطباعة والزخرفة والإخراج، بالإضافة إلى عدد من المصاحف النادرة التي كانت قد أُهديت إلى الملك فيصل يرحمه الله.

وقد ساهم في دعم هذا المعرض شركة قزّاز للتجارة،



صورة أول مصحف مطبوع

ومكتبة مرزا، ومستشفى المغربي للعيون بجدة، ويفتح المعرض أبوابه لزوّاره في ٥ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق (٢١/١٠/٢٠٠١م)، من الساعة ٩ إلى الساعة ١٢ صباحاً، ومن الساعة ٤ إلى الساعة ٩مساءً.

والمعروف أن أول نسخة مطبوعة للقرآن الكريم هي طبعة البندقية في عام ١٥٣٨م، ولم يبق من هذه الطبعة سوى نسخة واحدة محفوظة في دير سانت ميشيل بالبندقية في إيطاليا، ويلي هذه الطبعة مصحف هامبورغ المطبوع في ألمانيا عام ١٦٩٤م، وتوجد منه عدة نسخ منها واحدة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ثم طبعة بتافيا عام ١٦٩٨م، وطبعة سانت بترسبورغ عام ١٧٨٧م، وطبعة ليبزغ عام ١٨٣٤م، وطبعة قازان عام ١٨٤٨م.

أما في البلاد العربية الإسلامية؛ فقد طبع المصحف منذ القرن التاسع عشر، وتعددت طباعته في مدن كثيرة، مثل إستانبول، والقاهرة، ودمشق، ومكة المكرمة، وطهران التي طبع فيها عام ١٨٢٨م، وتبريز في عام ١٨٣٣م، والقاهرة في عام ١٨٩٠م.

مؤتمر المكتبات العربية

تحت عنوان «المكتبات العربية في مطلع الألفية الثالثة: بنى وتقنيات وكفاءات متطورة»،

يعقد الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات «أعلم» مؤتمره الثاني عشر بدولة الإمارات العربية المتحدة، تحت رعاية الشيخ الدكتور سلطان القاسمي حاكم الشارقة في الفترة من ٢٠ ـ ٢٣ شعبان ١٤٢٢هـ (٥ ـ ٨ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠١م).

ويناقش المؤتمر المشكلات والتحديات التي تواجه المكتبات والنظم المعلوماتية العربية في القرن الحادي والعشرين وأثر ذلك في العمل المؤسسي في كل مجالات الإنتاج الفكري، ويجيء ذلك تحت عدة محاور تتناول إشكالية المعلوماتية من جوانبها الاقتصادية والتقنية والمعرفية والفكرية والإعلامية والاتصالية.

وسوف يركز المؤتمر في مناقشة المشكلات التي تواجه مراكز المعلومات في المؤسسات الصحفية العربية من أجل الارتقاء بأدائها حتى تواكب التطورات والتغيرات السريعة التي تحدث في مجال المعلومات والاتصالات، حتى تستطيع متابعة الأحداث التي تجري في مختلف أرجاء العالم وملاحقتها.

وستقدم خلال المؤتمر ٥٥ ورقة علمية تم اختيارها من بين مئتي ورقة قدمت إلى اللجنة العلمية، وجاءت المساهمة السعودية، كما جاء في صحيفة الرياض السعودية، كالآتي:

ـ يقدم الدكتور راشد الزهراني ورقة عنوانها «مدى اقتناع العاملين في المكتبات الجامعية السعودية بتقنية المعلومات».

ـ والأستاذ الدكتور سالم بن محمد السالم ورقة عنوانها «تسويق خدمات المعلومات في المكتبات الإلكترونية: دراسة حالة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية».

ـ والدكتور شريف شاهين ورقة عنوانها «الاتفاقية العامة للتجارة في الخدمات GAT وانعكاساتها على المكتبات: ردود فعل عالمية وغموض في الموقف العربي: دراسة استكشافية لآراء المتخصصين العرب».

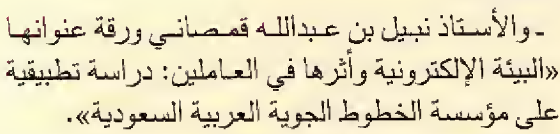
ـ والدكتورة فاتن سعيد بامفلح ورقة عنوانها «حماية أمن المعلومات في شبكة المكتبات بجامعة أم القرى» دراسة حالة.

ـ والدكتور محمد جعفر عارف ورقة عنوانها «اختلاف مسمى مدارس المكتبات ومدى تأثيره في الأهداف ومقررات برامج الماجستير: دراسة تحليلية».



الشيخ سلطان القاسمي

ـ والدكتور عبدالرحمن العكرش ورقة عنوانها «أثر التقنية الحديثة في مباني المكتبات».



ـ والأستاذ نبيل بن عبدالله قمصاني ورقة عنوانها «البيئة الإلكترونية وأثرها في العاملين: دراسة تطبيقية على مؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية».

ـ والدكتور حسن بن عواد السريحي ورقة عنوانها «أمن المكتبات ونظم المعلومات: دراسة حالة على مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز».

ـ والأستاذ الدكتور هشام بن عبدالله عباس ورقة عنوانها «إدارة الجودة في المكتبات ومراكز المعلومات».

ـ والأستاذ سعد بن سعيد الزهري ورقة عنوانها «دور الجمعيات المهنية في تطوير المكتبات ومراكز المعلومات: دراسة حالة لفرع الخليج العربي لجمعية المكتبات المتخصصة». بالإضافة إلى أربع موائد مستديرة عن القدس: حفظ التراث حفظ الهوية، ودور المكتبات الوطنية في حفظ المخزون التراثي العربي وتنظيمه، ودور المدارس والمكتبات والمعلومات في تنمية الموارد البشرية العاملة في المجال، ودور الجمعيات المهنية في تطوير مهنة المكتبات والمعلومات بالوطن العربي.

مكتبة إلكترونية في التخصصي

وقّع مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث في العاصمة السعودية الرياض مؤخراً عقداً لإنشاء مكتبة إلكترونية على الشبكة الذكية تضم أكثر من (٣٠٠) مجلة طبية، وتبلغ قيمة العقد مليون ريال سنوياً.

وقد صرح الدكتور إبراهيم بن زيد المحسن لصحيفة االرياض السعودية أن هذه المكتبة ستتيح لجميع الأطباء على مختلف تخصصاتهم المعلومات الطبية في وقت قياسي، وتصفح تلك المعلومات بكل سهولة ليستفيد منها الطبيب نفسه وكذلك المريض، وتحفز الأطباء إلى التعليم الطبي المستمر وإيجاد المعلومات الطبية الصحيحة، وأضاف الدكتور إبراهيم: أن هذه المكتبة تتيح للطبيب إرسال المقالات إلى الأطباء كل على حسب تخصصه.

التاريخ والآثار في دول الخليج

تقيم جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، في الكويت، ندوة بعنوان «بين التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مشاركة للكويت احتفالاتها بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠١م، وذلك في الفترة من ٢٢ ـ ٢٤ شعبان سنة ١٤٢٢هـ (٧ ـ ٩ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠١م).

يشارك في الندوة أعضاء الجمعية ببحوث وأوراق عمل، ومحاضرات في مختلف المجالات المتصلة بالتاريخ والآثار في دول مجلس التعاون الخليجي من حيث مناهجها البحثية والتدريسية، ومرافقها الثقافية، وأوعيتها العلمية.

وتقصد هذه الندوة، بالإضافة إلى مشاركة الكويت احتفالاتها بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠١م، إلى إبراز دور التاريخ والآثار من خلال حضورها المميز في مختلف النشاطات الثقافية لبلدان مجلس التعاون، وإبراز رسالة المتاحف، وإسهاماتها في نشر الثقافة والمعرفة بين أبناء دول المجلس، و تقويم أعمال التنقيب عن الآثار والمكتشفات الأثرية بدول المجلس ومعرفة ما لها وما عليها، وما قدمته نتائجها للمعرفة الإنسانية، وغير ذلك من الأهداف.

وتجيء الندوة تحت عدة محاور، هي: البحث التاريخي والآثاري «مناهجه وحركة التدوين في دول المجلس»، والمتاحف في دول مجلس التعاون: تأسيسها ورسالتها الثقافية والتربوية، والآثار والوثائق التاريخية مصدر مهم في كتابة التاريخ، وبعثات التنقيب عن الآثار ما لها وما عليها، والمراكز البحثية والوثائقية: التعريف بها، وبأدوارها في خدمة الباحثين في مجال التاريخ والآثار، وتدريس التاريخ والآثار في جامعات

دول المجلس. والمجموعات الخاصة: التعريف بها وبأدوارها في نشر الثقافة، والترجمة والنشر العلمي في دول مجلس التعاون: ميادينه وأوعيته العلمية، والآثار والسياحة في دول مجلس التعاون الخليجي.

ويشارك في الندوة المؤرخون والآثاريون الخليجيون من أساتذة الجامعات، ورؤساء هيئات الآثار ومديروها، ومشاهير المؤرخين من غير أساتذة الجامعات، ومديرو المراكز البحثية والوثائقية، وأمناؤها، وأمناء المتاحف بدول مجلس التعاون، وأصحاب المجموعات الخاصة «الأثرية والتراثية»، ومسؤولون ومهتمون من هيئات السياحة وأماناتها العامة.

كنوز التراث في مدن العالم

صدرت في القاهرة مؤخراً أسطوانة ليزر ∞ عن كنوز التراث العربي الإسلامي في مدينة طشقند التي تعد واحدة من أهم المدن الأوزبكية الزاخرة بالتراث الإسلامي المتراكم عبر أكثر من عشرة قرون من عمر الإسلام في أوزبكستان. وقد شهدت هذه المنطقة قيام عدد من الدول المهمة في تاريخ الإسلام مثل الدولة الخوارزمية، والمغولية، والتيمورية، فقد انتشر هذا التراث الضخم في جميع أنحاء البلاد موزعًا على المكتبات والمساجد والمدارس، مما صعب مهمة حصره على وجه الدقة.

وتضم الأسطوانة ثلاثة أقسام من المخطوطات: جاء في القسم الأول: (المجموعات الخطية) وتحتوي على ثلاث مجموعات ضخمة في مدينة طشقند: المجموعة الأولى هي مجموعة مكتبة علي شيرنواني، وهي أقل المجموعات الثلاث عدداً وأهمية، والمجموعة الثانية هي مجموعة إدارة مسلمي أوزبكستان، وتضم نحو ثلاثة آلاف مجلد تحتوي على قرابة خمسة آلاف مخطوط. وأما المجموعة الثالثة التي تعد واحدة من أهم المجموعات الخطية في العالم فهي مجموعة معهد البيروني، وتحتوي على قرابة ستين ألف مخطوطة يضمها ألف مجلد، وقد أوردت الأسطوانة صوراً ونماذج لمخطوطات هذه المجموعة، ومنها: «غريب الحديث» لابن سلام مؤرخ بسنة ٣٤٤هـ، ورسائل حجة الإسلام الغزالي التي كتبت بعد وفاته بخمسة وثلاثين عامًا (٥٤٠هـ)، و«المنقذ من الضلال»، و«المستصفى»، و«الرسالة القدسية»، ومخطوطات كتاب الزيج السلطاني لأولغ بك كوركان، وتأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، والهداية في فقه الحنفية لبرهان الدين المرغيناني، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي، والمستخرج لأبي عوانة، ومقامات الحريري، ومقدمة الأدب للزمخشري، كما عرضت بعض المنمنمات الفارسية القديمة، وقدمت تعريفًا لها في فصل المنمنمات. وقد كتب كل هذه المخطوطات بالحرف العربي على الرغم من تعدد لغاته (عربية، فارسية، تركية، أوزبكية)، لأن كتابة هذه المخطوطات يرجع تاريخها إلى ما قبل كتابة اللغة الأوزبكية بالحرف الروسي، واللغة التركية بالحرف اللاتيني، وهو ما حدث في بدايات القرن العشرين.

الجدير بالذكر أن هذا العمل قد تم بدعم من صندوق التعاون الفني مع دول الكومنولث والجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثًا، التابع لوزارة الخارجية المصرية، وذلك ضمن سلسلة برامج «كنوز التراث في مدن العالم» التي يعدها ويشرف عليها خبير المخطوطات في مكتبة الإسكندرية الباحث يوسف زيدان. وترمي هذه البرامج إلى التعريف بما تحتوي عليه المدن الإسلامية العريقة من مخطوطات وكنوز وتراث، وقد صدرت مؤخراً أسطوانة عن مدينة الإسكندرية، وسوف تصدر بعدها تباعاً أسطوانات عن بيروت، وسوهاج (في صعيد مصر)، وأبوظبي.

هابيلا يفوز بجائزة كين


هلون هابيلا

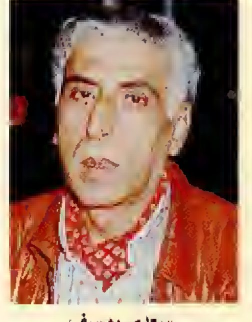
فاز الكاتب النيجيري هلون هابيلا بجائزة كين Caine لكتابة القصة الإفريقية باللغة الإنجليزية، وهي جائزة تمنح لنص قصصي قصير بين ٣ آلاف و ١٥ ألف كلمة، وتبلغ قيمتها ١٥ ألف دولار أمريكي، وقد أنشئت هذه الجائزة تكريماً للرئيس السابق لشركة (بوكر) السير مايكل كين. وقد فاز الكاتب النيجيري، البالغ من العمر ٣٤ عاماً، بالجائزة عن قصته التي عنوانها:

«قصائد غرام» مكتوبة أصلاً باللغة الإنجليزية، وتدور أحداثها في سجن في نيجيريا خلال عام ١٩٩٧م، وتطرح القصة عدة أسئلة حول موقع الكاتب في ظل الأنظمة الشمولية.

وكان قد تقدم إلى هذه الجائزة هذا العام، إلى جانب هابيلا، عدد كبير من الأدباء بلغ عددهم ١٢٠ كاتباً من ٢٨ دولة إفريقية، مقارنة بـ ٨٧ كاتباً من ٢٠ دولة في العام الماضي، منهم: التونسي حسونة المصباحي عن قصته «السلحفاة» التي نقلها إلى الإنجليزية بيتر كلارك ونشرتها مجلة «بانيبال»، والصومالي نور الدين فرح عن قصته «علاقة غرامية»، ومايا كونو من موزمبيق عن قصتها «الأميرة الروسية»، وليليا مومبل من موزمبيق أيضاً عن قصتها «مأدبة سلينا»، صدرت القصتان عن دار ذي بيكادور بوك للرواية الإفريقية.

والجدير بالذكر أن الكاتبة السودانية ليلى أبو العلا كانت قد فازت بهذه الجائزة العام الماضي عن قصتها «المتحف» التي صدرت في بريطانيا العام قبل الماضي عن دار نشر (هينمام) ضمن مجموعة قصصية بعنوان «الفضاءات المفتوحة».

ثقافة مهاجرة


سعدي يوسف

رأى الشاعر العراقي سعدي يوسف الذي يكتب الشعر منذ ٥٠ عاماً، والمقيم في المنفى منذ ٢٥ عاماً، أن معنى «أن تكون شاعراً في العراق يعني أن تكون تحت التراب» وأن المنفى ليس خياراً بل «إرادة أن تكون فوق التراب». وقال الشاعر خلال حلقة «معنى أن تكون شاعراً» التي تضمنتها فعاليات مهرجان لوديف الشعري الرابع،: إن علاقة الشاعر بالحرية مسألة معروفة وإن الحرية إذا افتقدت فالشاعر يخلق وهمها «من دون الوهم لا يستطيع الشاعر أن يعمل في المادة الأولية التي تنتج عملاً فنياً»، مضيفاً أنه إلى جانب بلند الحيدري والجواهري وعبدالوهاب البياتي - كلهم رحلوا - «عاشوا جميعاً في المنفى بعيداً عن العراق».

ويقول الشاعر: إن الحركة الشعرية العراقية الحديثة تكاد تكون مهاجرة بكاملها «مع ذلك لا يزال الشعر الفن رقم واحد في العراق»، وأشار إلى أن ثقافة كاملة لبلد قد هاجرت، وأن ثلاثة أرباع المثقفين والفنانين العراقيين يعيشون اليوم في المهجر متنقلين بين العواصم العربية والأوربية وغيرها. وحول تقويمه للوضع الحالي للعراق، قال: إن ما يحصل في العراق منذ ثلاثة عقود هو تدمير تدريجي للثقافة والاقتصاد والمجتمع «فالجامعة ما عادت مكاناً للبحث، بل تحولت إلى مكان يؤخذ منه الأذكياء إلى مصانع الأسلحة» مضيفاً أن العراق الذي كان «الدولة العربية الوحيدة المؤهلة لدخول القرن الحادي والعشرين من وجهات النظر الاقتصادية والثقافية والديموغرافية، يعيش «المهزلة نفسها في جوانب الحياة الأخرى فالرقابة مفروضة على كل شيء: الأغنية، المسرح، الإنترنت، الرسائل، الإذاعة، والصحف».

وختم الشاعر العراقي بالإشارة إلى أنه قبل الثمانينيات «صحيح كان العراق يدخله كل يوم ١٥٠ مليون دولار من النفط، لكن الشعب العراقي ظل يقف في الطابور للحصول على أبسط حاجاته، كل ذلك لأن صدام كان يريد أن يعمل قنبلة». وأخذ على المثقفين والكتّاب العرب في تلك الفترة عدم التفاتهم إلى احتجاجات المثقفين العراقيين وقال: «لم يكن أحد يسمع احتجاجاتنا، والكتّاب العرب حين كانوا يدعون إلى العراق كانت القيود تفرض على حركتهم، ويمنعون من الاتصال بنا خارج الأنشطة الرسمية».

تعليم اليابانية

أصدر الدكتور شهاب فارس، وطوشيوكي آبيه، والدكتور كرم خليل، بالتعاون مع مؤسسة اليابان بالقاهرة، كتاباً حديثاً لتعليم اللغة اليابانية للناطقين بالعربية، وقد صرح الدكتور شهاب فارس لصحيفة «الشرق الأوسط» في عددها رقم (٨٢٨٢) أنه وزميليه اعتمدوا في تأليف الكتاب على اللغة العربية للشرح وليس اليابانية أو الإنجليزية، وراعوا فيه أن يستطيع الدارس من خلاله الاعتماد على نفسه إلى حد كبير في الدراسة، وأضاف أن الكتاب يتميز بمحادثاته وتعبيراته

ومفرداته وتراكيبه السهلة والطبيعية والتي تعد شائعة في مواقف الحياة اليومية وتستهدف إكساب الدارس المهارات اللغوية بصورة متوازنة.

وذكر الدكتور شهاب أن الكتاب «روعي فيه أن تكون موضوعاته مستمدة من جوانب ثقافية من حيث الأنماط العامة المختلفة المتعلقة بالمعاملات مثل المصرف وإجراءات تسجيل الأجانب في مكتب المدينة كما يجري العرف في اليابان، وكذلك المطعم والمتجر ومكتب التأجير العقاري، وكذلك العادات والتقاليد، مثل الزواج والمناسبات اليابانية وغيرها من جوانب ثقافية تهم الزوار والدارسين العرب».

وأضاف الدكتور شهاب أن الكتاب تم تجريبه على دارسي اللغة اليابانية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود مدة عامين منذ عام ١٩٩٧م، وأجري عليه الكثير من التنقيحات حتى ظهر بهذا الشكل.

ويحتوي الكتاب على كثير من المحادثات اليابانية إلى جانب الترجمة العربية لها، وشرح للتعبيرات المفيدة وقواعد الدرس، بالإضافة إلى مجموعة من التدريبات على التراكيب الأساسية، كما يتضمن الكتاب قائمة بالمفردات مع مقابلتها بالمعاني العربية ولمحات ثقافية عن اليابان متعلقة غالباً بالمحادثات، وملحقاً يحتوي على الأعداد اليابانية، وشرحاً لطرائق العدد وأسماء الشهور والأيام، وطريقة كتابة تاريخ الأيام، بالإضافة إلى ملخص للتراكيب الأساسية وجمل نموذجية للمراجعة على الحروف الأساسية الموجودة في الكتاب.

عودة الملكة نفرتاري إلى مصر

بعد جهود دبلوماسية وأمنية واسعة، ومتابعة قضائية، استمرت زمناً طويلاً، تمكنت مصر في الشهر الماضي من استعادة واحدة من أهم القطع الأثرية المصرية التي سرقت عام ١٩٩٢م من منطقة سقارة. والقطعة المذكورة تتمثل في رأس تمثال نفرتاري وهي واحدة من أشهر ملكات مصر القديمة وزوجة الملك الشهير رمسيس الثاني، ويرجع تاريخ التمثال إلى ثلاثة آلاف عام.

وقد صرح الدكتور جاب الله علي جاب الله الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار المصرية الذي حضر من لندن في صحبة التمثال: «أن اللصوص استخدموا حيلة



تمثال نفرتاري

لتهريبه إلى خارج مصر إذ قاموا بإضافة وجه الإسمنت على الوجه الأصلي لرأس التمثال لإثبات أنه أثر غير أصلي»، وأضاف «أنه بعد إزالة الوجه الصناعي الذي أضافه المهربون إلى التمثال ظهر الوجه الحقيقي للتمثال وظلت بقايا بسيطة من إسمنت الوجه الصناعي معلقة بالأصل، وستتم إزالتها بمعرفة الخبراء المصريين في المجلس الأعلى للآثار بما لا يؤثر في قيمته».

كذلك شملت الجهود المصرية إعادة آثار أخرى متمثلة في ٦ برديات قديمة مدونة باللغة المصرية بأشكالها القبطية والديموطيقية واليونانية كانت قد هربت في وقت غير معلوم، وكانت معروضة للبيع في محل عاديات بلندن، ولكن المحل عرض إعادة الأوراق من تلقاء نفسه عندما عرف إصرار مصر على مطاردة لصوص الآثار واستعادة الآثار المسروقة.

وقد صرح الأمين العام للمجلس «أن القيمة الأثرية للبرديات تتركز في أنها تلقي الضوء على فترة تاريخية معينة إذ تتضمن نصوصاً مدونة، وسيتم عرضها على خبراء الآثار واللغة لترجمتها وفهم ما بها من نصوص».

إغلاق مركز اليونسكو في تونس


كوتشيرا ماتسورا

في إطار عمليات تخفيض النفقات التي اختطها المدير العام الجديد لمنظمة اليونسكو كوتشيرا ماتسورا، قررت المنظمة إغلاق عدد من مراكزها التمثيلية في عدد من العواصم، وكان لا بد في ظل هذا القرار من إغلاق أحد مراكز المنظمة في العالم العربي، وتردد المركز الرئيس للمنظمة في باريس في اتخاذ قرار غلق مكتب المنظمة في الرباط أو تونس.

وسعت كل من الدولتين بكل الوسائل المتاحة في سبيل الاحتفاظ بمركزها التمثيلي، وكانت الغلبة في النهاية لمدينة الرباط لكونها الدولة العربية الوحيدة المفتوحة على الأطلسي، بالإضافة إلى كونها مقر الاتحاد المغاربي، وكُلف مكتب المنظمة في المغرب بتغطية كل من المغرب والجزائر وموريتانيا وتونس وليبيا وكذلك الإسيسكو والإلكسو.

وسيغلق المكتب التمثيلي للمنظمة في تونس في موعد أقصاه آخر شهر يناير/كانون الثاني المقبل. وكان هذا المكتب قد فُتح منذ استقلال تونس قبل أكثر من أربعين عامًا، وارتبط بالأديب الإسباني المعروف فرانسيسكو كاريلو مونتيسينوس الذي كان يسير أعمال المكتب منذ عام ١٩٩٣م، وقد استطاع من خلال وجوده في تونس خلق علاقات متينة مع عدد من المثقفين التونسيين، وأصبح معروفًا لدى الكثيرين منهم، وهم يشعرون بأسف شديد لمغادرته المدينة من جراء إغلاق المكتب.

منتدى عربي ضد العولمة

يعقد في لبنان في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني القادم أول منتدى عربي ضد العولمة بإشراف «شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية»، التى تتكون من ٤٥ منظمة أهلية تنتمي إلى ١٢ دولة عربية، بالتعاون مع «تجمع الهيئات التطوعية في لبنان» الذي يضم ممثلين عن الحركات العمالية والنسائية والمنظمات غير الحكومية والجمعيات البيئية والثقافية والشبابية والمعوقين.

ويجيء انعقاد هذا المنتدى المناهض للعولمة متزامنًا مع انعقاد المؤتمر الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية المقرر انعقاده في قطر في الفترة من ٩ إلى ١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل، ومن المتوقع أن يشارك في هذا المؤتمر أكثر من ١٧٠ دولة بينها ١٤٠ دولة من الأعضاء في المنظمة، ونحو ٣٠ دولة أعضاء بصفة مراقبين يفاوضون للحصول على العضوية.

وعلّل زياد عبدالصمد المدير التنفيذي لـ «شبكة المنظمات العربية غيرالحكومية للتنمية» هذا التزامن بقوله: «تأتي أعمال المنتدى مساهمة مع الحركة الدولية الناشطة المناهضة لسيطرة الشركات العملاقة في البلدان الكبرى على التجارة العالمية من خلال منظمة التجارة العالمية»، وأضاف أن الهدف هو «تصحيح آليات التجارة وأساليبها، واعطائها مضمونًا تنمويًا، والمطالبة بآليات عادلة ومتكافئة تسمح بإعادة توزيع متوازن للثروات والحصص من التجارة الدولية».

وأشار عبدالصمد إلى «أن المنتدى سيعمل على تنظيم لقاءات شعبية تتناول التعريف بمنظمة التجارة العالمية، والتحديات التي تفرضها على واقع البلدان النامية وخصوصًا في الوطن العربي، بالإضافة إلى إعداد خطة إعلامية شاملة تتضمن منشورات ومطبوعات تهدف إلى توعية الجماهير بمعنى «العولمة» والمخاطر التي تفرضها على دول العالم الثالث».

محمد إقبال في أبو ظبي


محمد إقبال

ينظم المجمع الثقافي في أبو ظبي بالتعاون مع وزارة الثقافة الباكستانية، وأكاديمية إقبال للبحث العلمي في الرابع من شهر نوفمبر/تشرين الثاني حتى العاشر من الشهر نفسه أسبوعًا ثقافيًا شاملاً عن الشاعر والمفكر الباكستاني محمد إقبال، وسيشتمل الأسبوع على نشاطات وفعاليات تتناول جميع أوجه حياة الشاعر وتسلط الضوء على أهم منجزاته على الصعيدين الفكري والفلسفي، فيقام معرض يحتوي على

الكتب التي أصدرها الشاعر أو تلك التي تتناول إبداعاته، بالإضافة إلى معرض للوحات التشكيلية لبعض الرسامين الباكستانيين استمدت مادتها الفنية من وحي قصائده التي تمتاز بالبعدين الفلسفي والروحي، كما يشمل الأسبوع سلسلة من الندوات التي تناقش الأفكار الفلسفية التي كانت تغلب على أشعاره.

وتقام على هامش فعاليات الأسبوع مسابقتان في الرسم والشعر يشارك فيهما طلبة مدارس الإمارات، وتدور المسابقتان حول طائر «الشاهين» الذي استوحى الشاعر من قوته وعنفوانه معظم أشعاره، وعدّه رمزاً للأجيال الإسلامية، التي سوف تعيد للإسلام بريقه وهيبته.

معالم بغداد القديمة



من الآثار العراقية

عثر علماء آثار عراقيون شاركوا في حملة تقوم بها السلطات العراقية لتهذيب ضفاف نهر دجلة، على جدران وقطع فخارية أثرية قديمة تحمل أشكالا هندسية دقيقة وكتابات بالخط الكوفي بها اسم «عبدالله بن محمد» وهو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (٧٥٤ـ٧٧٥م).

ويأمل الآثاريون أن تساعد هذه الاكتشافات الأثرية على تحديد الموقع الأصلي لمدينة بغداد في عهد مؤسسها الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور بعد أن اختفى هذا الموقع عندما غيّر نهر دجلة مجراه ليغطي المدينة القديمة التي كانت تقع في منطقة الكرخ.

وتمتد مدينة بغداد الحالية على ضفتي نهر دجلة، وتبلغ مساحتها نحو ألف كيلو متر، ويبلغ عدد سكانها نحو ٥ ملايين نسمة، وقد عرفت قديما بـ (مدينة السلام، ومدينة أبي جعفر، ومدينة المنصور، ومدينة الخلفاء، والزوراء).

جائزة لانن الأمريكية لدرويش



محمود درويش

قررت مؤسسة لانن الأمريكية منح جائزتها السنوية للحرية الثقافية لهذا العام للشاعر الفلسطيني محمود درويش. وتمنح هذه الجائزة، التي أسست قبل ٣ سنوات، لتكريم «الرجال والنساء الذين أوقفوا عملهم وجهودهم للمناداة بالحق الإنساني في حرية الخيال والبحث والتعبير. وتميز نشاطهم بقدر استثنائي من الشجاعة». وستسلم الجائزة إلى الشاعر درويش في السادس والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني القادم في حفل يقام بهذه المناسبة يشتمل على أمسية شعرية يتلو خلالها الشاعر قصائد مختارة من شعره.

ومن ناحية أخرى يجيء إعلان هذه الجائزة مترافقًا مع دعوة مركز الدراسات التاريخية والثقافية التابع لجامعة كولومبيا في نيويورك، الذي يديره البروفسور إدوارد سعيد، إلى ندوة أدبية عالمية تحت عنوان «كتابة الحرية الثقافية»، دُعي إليها من الشعراء العرب: حنان الشيخ، وعبدالرحمن منيف، وأدونيس، وسعدي يوسف، وهدى بركات، وسلوى بكر، ورضوى عاشور، وحيدر حيدر، وصنع الله إبراهيم، وجمال الغيطاني، وأهداف سويف، وإلياس خوري، والطيب صالح. ومن الأدباء الغربيين: ديريك والكوت، وشيموس هيني، وإدوارد جاليانو، وتوني موريسون، وجون أشبري، ونادين جورديمير، وجور فيدال، وخوان جويتسولو، وول سوينكا، وغيرهم من الأدباء والشعراء الغربيين.

وتعد هذه الندوة فرصة طيبة لاجتماع الشعراء والروائيين العرب ونظرائهم من الولايات المتحدة وكندا وأوربا وإفريقية وأمريكا اللاتينية.

«قصة الحضارة» تثير جدلاً


ول ديورانت

واجه إصدار الهيئة العامة للكتاب المصرية لخمسة أجزاء من موسوعة «قصة الحضارة» للفيلسوف الأمريكي (ول ديورانت) اعتراضاً شديداً من أكثر من جهة، فقد أكدت المنظمة العربية للعلوم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية ملكيتها لحقوق نشر الموسوعة، وأرسل محمد عدنان سالم رئيس اللجنة العربية لحماية حقوق المؤلف خطاباً إلى الهيئة يطالبها فيه بالتزام حقوق المؤلف، كما أكّدت دار النشر اللبنانية «دار الجيل» أيضاً ملكيتها حق نشر الموسوعة، وأوضحت أنها اشترت هذا الحق بمبلغ ٥٠٠ ألف جنيه.

من جانبها أوضحت الهيئة المصرية للكتاب أنها لم ترتكب أية مخالفة بطبعها هذه الموسوعة التي كانت قد ترجمت عام ١٩٤٨م بواسطة الدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران وآخرين، وقد قامت إدارة الثقافة بالجامعة العربية بالاشتراك مع لجنة التأليف والترجمة والنشر بصرف مكافآت المترجمين، لكنها لم تشتر حق نشر الموسوعة من ناشرها الأصلي (مؤسسة فرانكلين).

وطبقاً للقانون ٣٥٤ الخاص بحماية حق المؤلف، فقد مرّ أكثر من ٥٠ عاماً على إصدار الموسوعة ومن ثم تعد تراثاً ثقافياً، وأبدت الهيئة استعدادها التام للتفاهم مع أي جهة تثبت أنها تملك حق نشر هذه الموسوعة.

وتتناول الموسوعة موضوع النزاع قصة الحضارة من عصور ما قبل التاريخ حتى عصر النهضة الحديثة، وتنوي الهيئة إصدارها في ٢٠ جزءاً ضمن مشروع القراءة للجميع.

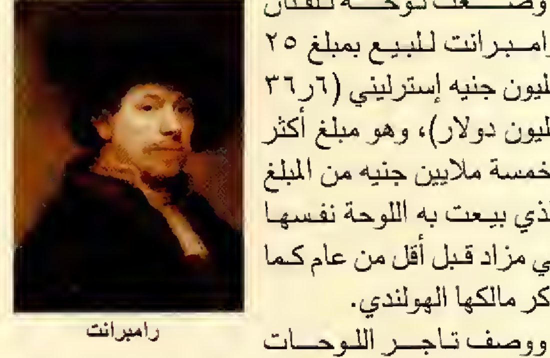
بونسي يفوز بجائزة

أعلن في العاصمة المكسيكية في الشهر الماضي عن فوز الكاتب المكسيكي خوان جارسيا بونسي بجائزة الدورة الحادية عشرة لأدب أمريكا اللاتينية والكاريبي المعروفة باسم «خوان رولفو» لميله الطبيعي الاستثنائي للكتابة، والقيمة الرفيعة لأعماله الخيالية والبحثية والمسرحية، وكذلك الصحفية.

وتقدر قيمة الجائزة، التي تعد واحدة من أهم الجوائز الأدبية في أمريكا اللاتينية، بنحو عشرين مليون بيزيتا، وستسلم لبونسي خلال المهرجان العالمي للكتاب الذي سيقام في مدينة «جوادا لاهارا» المكسيكية خلال شهر نوفمبر/تشرين الثاني المقبل.

والمعروف أن خوان جارسيا بونسي درس الفن الدراماتيكي في جامعة المكسيك الوطنية المستقلة، وشارك في عدد من الإصدارات الأدبية الرئيسة في المكسيك، وشغل منصب مدير تحرير مجلة «المكسيك» الأدبية، وأسس مجلة أخرى اسمها «ديا جونالس»، وقد عرف بغزارة إنتاجه الأدبي، وشعبيته الجارفة في المكسيك، ونال عدة جوائز منها: جائزة خافيير فيلاؤورويتا عام ١٩٧٢م، وجائزة البحث عام ١٩٨١م، وجائزة النقد عام ١٩٨٥م، والجائزة الوطنية الأدبية عام ١٩٨٩م.

صورة شخصية بـ (٢٥) مليون جنيه إسترليني

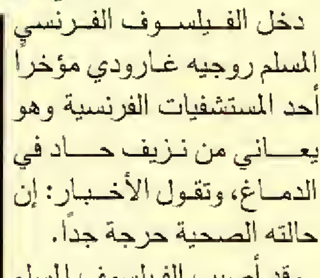

رامبرانت

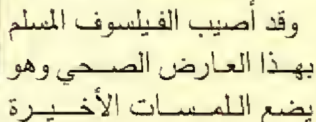
وضعت لوحة للفنان رامبرانت للبيع بمبلغ ٢٥ مليون جنيه إسترليني (٦ر٣٦ مليون دولار)، وهو مبلغ أكثر بخمسة ملايين جنيه من المبلغ الذي بيعت به اللوحة نفسها في مزاد قبل أقل من عام كما ذكر مالكها الهولندي.

ووصف تاجر اللوحات الهولندي روبرت نورتمان المبلغ بأنه «مبلغ كبير لكن هنالك مؤسستين تحاولان معاً جمع المبلغ المطلوب لشراء اللوحة»، وكان نورتمان قد اشترى اللوحة الزيتية المعنونة «صورة شخصية لسيدة عمرها ٦٢ عاماً» في مزاد لدار كريستيز بلندن في ديسمبر/كانون الأول الماضي بمبلغ ٨ر١٩ مليون جنيه، وكان هذا المبلغ أكثر بنحو ستة ملايين جنيه من السعر المقرر لبيعها آنذاك.

وسيكون المبلغ الجديد أعلى ثمن يدفع للوحة من أعمال رامبرنت، إذ كان الرقم القياسي السابق الذي دفع لعمل هذا الفنان هو ٩ ملايين دولار للوحته «صورة شخصية لرجل ملتح برداء أحمر» التي بيعت في مزاد بنيويورك قبل ثلاثة أعوام. وكان أعلى رقم دفع للوحة من لوحات كبار الرسامين هو ٢٥ مليون دولار للوحة الفنان بونتورمو «صورة شخصية للدوق كوزيمو دي مديتشي» التي بيعت في مزاد بنيويورك عام ١٩٨٩م، كما قال ناطق باسم دار كريستيز في لندن.

غارودي في غيبوبة





روجيه غارودي

دخل الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي مؤخراً أحد المستشفيات الفرنسية وهو يعاني من نزيف حاد في الدماغ، وتقول الأخبار: إن حالته الصحية حرجة جداً.

وقد أصيب الفيلسوف المسلم بهذا العارض الصحي وهو يضع اللمسات الأخيرة لتدشين حلم عمره الذي أنفق سنوات وهو يحاول إخراجه للنور والمتمثل في «المكتبة الأندلسية الحية» ضمن جمعية «حوار الثقافات» التي يتولى رئاستها.

ويبلغ غارودي من العمر ٧٢ عاماً، وهو يعاني كثيراً من المشكلات الصحية، منها آلام الظهر المزمنة التي اضطرته في السنوات الأخيرة إلى مقابلة الصحفيين مستلقياً على ظهره، ولكن هذه العلل لم تمنعه من مواصلة العمل في مشروع «المكتبة الأندلسية الحية» الذي عدّه حلمه الأخير.

جائزة البابطين للشعر

أعلنت جائزة مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت مؤخراً أسماء الفائزين بجوائز مسابقة أفضل قصيدة عن الشعر ودوره في ماضي الأمة وحاضرها، ودور الشاعر ومعاناته وتطلعاته، وجاءت النتيجة - كما أعلنها الشاعر عبدالعزيز البابطين - بفوز الشاعرة الأردنية نبيلة الخطيب بالجائزة الأولى عن قصيدتها «صهوة الضاد»، بينما فاز المصري مدحت علام بالجائزة الثانية عن قصيدته «ورقاء تبحث عن قصيدتها»، ونال المصري أيضاً حسن شهاب الجائزة الثالثة عن قصيدته «الفارس الأخير».



عبدالعزيز البابطين

ومن المقرر أن توزع الجوائز في السابع عشر من شهر أكتوبر/تشرين الأول الجاري في احتفال خاص خلال ندوة شعرية موسعة بعنوان «آفاق التجريب في القصيدة العربية والمعاصرة في الربع الأخير من القرن العشرين» تنظمها المؤسسة برعاية الشيخ أحمد الفهد وزير الإعلام الكويتي، ويشارك فيها ستون شاعراً وناقداً ولغوياً عربياً.

وتبلغ قيمة الجائزة الأولى عشرة آلاف دولار، والثانية خمسة آلاف دولار، والثالثة ثلاثة آلاف دولار. وقد شارك في المسابقة شعراء من ١٩ دولة عربية، وبلغت المشاركة النسائية ١٤ قصيدة من أصل ٢٨٦ قصيدة قبلت بعد استبعاد ٢٠١ قصيدة.

ويجيء تنظيم هذه المسابقة ضمن مشاركة المؤسسة في احتفالات الكويت بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠١م، ومتزامناً مع حدثين آخرين هما: وضع حجر أساس مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، وإصدار جزأين من مختارات الشعر العربي الحديث في القرن العشرين.

كتاب تراثي جديد

صدر مؤخراً عن دار الطليعة في بيروت كتاب تراثي جديد بعنوان «آداب الملوك» محققاً تحقيقاً علمياً، وهو لعلي بن رزين الكاتب، وتحقيق جليل العطية.

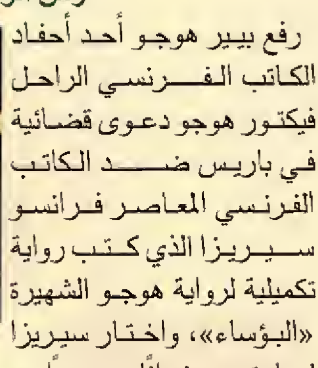
ويرى المحقق أن مؤلف الكتاب لم يكن مجرد كاتب للملوك، بل هو نديم لهم، ولابد للنديم أن يكون مثقفاً وحافظاً للقرآن والشعر وأيام العرب، وقد عاش الكاتب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وربما يكون قد أدرك القرن السابع الهجري.

ويقع الكتاب في ١٦٩ صفحة، وأربعين باباً تناول فيها المؤلف لباس الملوك، واختلاف أخلاقهم، ونظر الملوك في السير وغيرها من العلوم، وما ينبغي لولد الملك أن يفعله، والنهي عن رفع الصوت بحضرة الملك وفي جلسته، وكتمان سر الملك، وغير ذلك من الأمور.

وقد اعتمد المؤلف في تحقيق الكتاب على مخطوطة برلين، وهي نسخة لم يذكرها المعنيون بجمع التراث العربي مثل بروكلمان وغيره. وتقع في ١٦٥ صفحة، ناسخها محمد بن الخضر بن محمد الأنصاري سنة ٦٣٣هـ، وتنبع أهمية هذا الكتاب في كونه اعتمد على مصادر عربية وفارسية وهندية نادرة.

ولعل المفاجأة الكبرى التي فجرها هذا الكتاب هو كشفه أول مرة أن محمد بن الحارث الثعلبي هو المؤلف الحقيقي لكتاب «أخلاق الملوك»، الذي نشره عام ١٩١٤م أحمد زكي تحت عنوان «التاج في أخلاق الملوك» منسوباً إلى الجاحظ.

زمن الوهم


فيكتور هوجو

رفع بيير هوجو أحد أحفاد الكاتب الفرنسي الراحل فيكتور هوجو دعوى قضائية في باريس ضد الكاتب الفرنسي المعاصر فرانسو سيريزا الذي كتب رواية تكميلية لرواية هوجو الشهيرة «البؤساء»، واختار سيريزا لروايته عنواناً جديداً هو «زمن الوهم» وقامت بنشرها دار بلون الفرنسية.

وأوضح الورثة في دعواهم أن الأجزاء الجديدة التي ألفها سيريزا جاءت خالية من التميز الأدبي الذي اتصفت به الرواية الأصلية حيث جاء تأليفها لاستثمار اسم الأديب الراحل والمكانة الأدبية التي تحتلها روايته، وطالب الحفيد في دعوته منع نشر هذه الرواية، ودفع غرامة للورثة تبلغ قيمتها ٤,٥ مليارات فرنك (نحو ٦٩٠ ألف يورو).

لكن محكمة باريس رفضت الدعوة وارجعت رفضها في الحيثيات إلى رفض الأديب الراحل نفسه لمبدأ تحكم ورثته في إرثه الأدبي مشيرة إلى الندوة الأدبية التي عقدها في باريس عام ١٨٧٨م وأكّد فيها عدم أحقية ورثته من بعده في التحكم في مؤلفاته الأدبية لعدم مشاركتهم في خوض التجربة الإبداعية كما مرّ بها المؤلف الحقيقي.

والمعروف أن فيكتور هوجو شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي، ولد في عام ١٨٠٢م، وتوفي في عام ١٨٨٥م، وهو يعد من أبرز الشعراء والأدباء الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر، وله عدد من المؤلفات أشهرها «البؤساء» التي ألفها في عام ١٨٦٢م.

جائزة باسم بورخيس

نظمت الجمعية الدولية لأصدقاء الكاتب القصصي والشاعر الأرجنتيني الراحل خورخي لويس بورخيس ندوة أدبية في مدينة مايوركا الإسبانية شارك فيها نخبة من أصدقاء الشاعر الراحل، ومجموعة من المترجمين والمثقفين من أنحاء مختلفة من العالم.

وتناولت الندوة مناقشة أعمال بورخيس ودواوينه الشعرية منها «كراسان سان مارتن» وكتاب «الرمال»، وقرر المشاركون في الندوة إنشاء جائزة أدبية تحمل اسم بورخيس تبلغ قيمتها المالية ٥٠ ألف يورو مع غصن الزيتون.

وخورخي لويس بورخيس كاتب وشاعر أرجنتيني معروف، ولد في عام ١٨٩٩م، وتوفي عام ١٩٨٦م.

اكتشافات أثرية في الصين

عثر فريق من علماء الآثار الصينيين بالقرب من مدينة إكسنفزنج على قبور ترجع إلى عشرين من سادة مملكة زينج يعود تاريخها إلى ما قبل ٢٥٠٠ عام وهي بحالة جيدة وسليمة، وتشتمل هذه القبور على عربات حربية ومنحوتات وأوان وأحصنة مذبوحة بقي منها العظام فقط، ويرجح علماء الآثار أن هذه الاكتشافات تدل على إمكان وجود مجموعة أخرى من المقابر في هذه المنطقة مما يجعلها هدفاً جديداً للدراسات الأثرية.

ومملكة زينج هي واحدة من الدول التي قاتلت الصين دفاعاً عن سيادتها قبل أن تتوحد الصين في عام ٢٢١ قبل الميلاد على يد كين شي.



بيضائي، بهرام / محكمة العدل في بلخ (مسرحية)، ترجمة: محمد التونجي.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١م، ٢١٤ص (سلسلة إبداعات عالمية؛ ٣٣٠).

بهرام بيضائي روائي ومسرحي، من أعلام الأدب الإيراني في الخمسينيات من القرن العشرين، اختار المؤلف في مسرحيته هذه «محكمة العدل في مدينة بلخ» مدينة بلخ مسرحًا لنقده السياسي. وبلخ كانت مدينة فارسية تقع في منطقة خراسان في شمال شرق إيران واليوم تقع في شمال أفغانستان، واختارها المؤلف لتكون مسرحًا لأحداث تصور أنها جرت هناك، وأنها تحيا بين نقيضين حاكم ظالم مع زبانية له يسيرون على هواه وهواهم، وشعب مقهور يبحث عن رغيفه، ومع أن القصة خيالية زمانًا، فإنها واقعية تلمسها الكاتب بنفسه، فبسطها بقلمه، فالمسرحية نقد للواقع الحاضر بصورة الماضي الغابر، متخذًا الرموز وسيلة، ومن أبرز الرموز الشخصيات الآتية: القاضي رمزًا لفساد العدل، ورئيس المخفر رمزًا للسلطة الظالمة، وكبير العسس رمزًا للرشوة المتفشية، ومرجان شخصية نسائية رمزًا لعفاف الشعب، وخدا بخش رمزًا للشعب المقهور.



أبو خلف، مروان / من معالم الحضارة الإسلامية في فلسطين.- المغرب: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٩١ص.

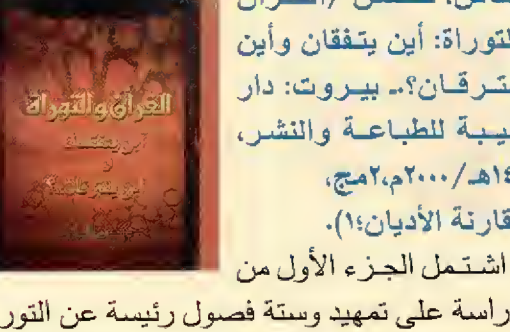
تحتل فلسطين مكانة سامية عند المسلمين ففيها بيت المقدس، وفيها قبلتهم الأولى، وأكرمها الله بحادثة الإسراء والمعراج، وأصبحت فلسطين بلدًا إسلاميًا بعد أن فتحها الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه في عام ١٥هـ، واستمرت العناية بالقدس من الدول الإسلامية المتعاقبة من أموية وعباسية مرورًا بالفاطميين، والمماليك وانتهاءً بالخلافة العثمانية التي ظلت فلسطين جزءًا منها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى حين أصدرت عصبة الأمم المتحدة صكًا أخضعت بموجبه فلسطين للانتداب البريطاني في عام ١٩١٨م، وكان وزير خارجيته (بلفور) قد أصدر وعده المشؤوم الذي قضى بإقامة دولة لليهود على أنقاض الشعب الفلسطيني، فاضطر الأبرياء إلى هجر بلدهم، ودمرت أكثر من ٤٠٠ قرية فلسطينية بما تحويه من موروثات حضارية.

يتناول المؤلف في هذه الدراسة عددًا من المعالم والآثار اختار بعضها ليمثل نماذج العمارة الإسلامية من مساجد، وخانات، وزوايا، وأربطة، وتكايا وقلاع، وأسوار، وجسور، وحمامات، إضافة إلى الخوانق، والأسبلة، التي تمثل معالم حضارية إسلامية في فلسطين. واستعان المؤلف بكثير من الصور الفوتوغرافية والرسومات الهندسية (مخططات أفقية) لتوثيق الحقائق التاريخية التي أوردها عن هذه المعالم .

جودت، سها جلال /رجل في المزاد (قصص).- حلب: دار الثريا للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١١٥ص.

تشتمل القصص الخمس عشرة في هذه المجموعة القصصية على جملة من الهموم والهواجس، التي أقلقت نفس القاصة، فعبرت عنها بشفافية حينًا، ومغلفة بغلالة رقيقة من الرمز حينًا آخر، ولكنه رمز لا يثقل على القارئ، بل يدعه يفكر ويتأمل، ويجد القارئ نفسه أمام أنماط

شتى من الناس، ما بين عوالم الطفولة والشباب والكهولة، وذلك كله محفوف بجمال الطبيعة المعطاء في الريف والمدينة، بما فيها من سماء مقمرة، ونجوم منتثرة، ورياض ناضرة، وشمس تشرق أو تغيب في إطلالتها على الكون، والحياة المّوارة بالحركة والتجدد، فضلاً عن التقنية القصصية التي تتنوع في الأداء والسرد والخطاب، وفي الوصف والغوص على جوانب طريفة، وقضايا إنسانية واجتماعية وقومية محاطة في بعض الأحيان بإطار توحي به الطبيعة والواقع المعيش.



الباش، حسن /القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفترقان؟.. بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م،٢مج، (مقارنة الأديان؛١).

اشتمل الجزء الأول من الدراسة على تمهيد وستة فصول رئيسة عن التوراة صحتها وتاريخها، وجاء الفصل الأول عن «التكوين التوراتي والحقائق القرآنية» ،والفصل الثاني «من آدم إلى الطوفان »، أما الفصل الثالث فعن«الأنبياء الأولين»، والفصل الرابع عن «غياب موسى والخروج»، بينما جاء الفصل الخامس عن «زمن مابعد موسى»، والفصل الأخير«من صموئيل إلى داود وسليمان»».

ويحتوي الجزء الثاني من الدراسة على قسمين رئيسين: الأول يتضمن مقدمة وستة فصول عن علم مقارنة الأديان، ودور الفرق الكلامية في تشعب مفهوم العقيدة، هل اليهودية عقيدة؟ مقارنة الأديان منهج مقارنة النص بالنص، إدخال الأساطير في العقيدة اليهودية، فكان القسم الأول عن العقيدة والمعتقد، أوضح فيه المؤلف عقائد الشعوب القديمة التي عاشت في منطقة الوطن العربي، وشعوب الصين والهند وعالم الشرق القديم، وعقائد الشعوب الأمريكية والإفريقية والأسترالية.

ثم تناول العقيدة اليهودية ورحلة التصور اليهودي للإله، ووازن معالم النبوة ومفهومها بين التوراة والقرآن الكريم، وعالم المخلوقات الخفية بين التوراة والقرآن الكريم، والموت والبعث واليوم الآخر والنعيم والجحيم في التوراة والقرآن الكريم. ثم تطور العقيدة اليهودية على يد الأحبار والفلاسفة: من التحريف إلى الإلحاد.

وجاء القسم الثاني عن العبادات والمعاملات يتضمن سبعة فصول رئيسة تبدأ بمدخل تاريخي عن العبادات والمعاملات لدى شعوب المنطقة، وعن المعبد والعبادة اليهودية في التوراة والقرآن الكريم، وشعائر العبادات اليهودية ، وتناول المؤلف التشريع اليهودي الشخصي، مثل الزواج، والزوجة، والطهارة والنجاسة، والطلاق، والعقوبات بين التشريع التوراتي والقرآني مثل عقوبة القتل والزنا والاغتصاب والقتل والسرقة وعقوق الوالدين، وطبيعة العلاقة بين اليهودي واليهودي، وحقوق الإنسان في العقيدة اليهودية، وحق المرأة، وأخيراً فصل عن دراسة اليهودية من الخارج، يتضمن اليهودية ومواقفها من غير اليهود، ومن هو غير اليهودي، وقوانين الحرب في الشريعة اليهودية وقوانين الإبادة حسب شريعة التلمود، وقوانين سرقة غير اليهود، وقوانين الربا.



السيد، رضوان وعبد الإله بلقزيز /أزمة الفكر السياسي العربي.. دمشق: دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٨٣ص.

ضمن سلسلة (حوارات لقرن جديد) تأتي هذه الحوارية بين مفكرين عربيين يحاولان أن يحللا الظروف الموضوعية للأزمة السياسية العربية التي بلغت أقصى درجات

التـأزم حـول مـسـألتي السلطة والدولة، وتحـاول الدراسة الإجابة عن: هل هذه الأزمـة وليدة الواقع السياسي الحالي أم تمتد عميقًا إلى بدايات القرن مع فترة الهيمنة الاستعمارية على البلاد العربية؟ أم توغل في القدم إلى عصور الخلافة الراشدة وما تلاها من عصور استبدادية؟

فكان بحث الدكتور رضوان السيد بعنوان «أزمة الفكر السياسي الإسلامي»، أما بحث الدكتور عبدالإله بلقزيز فجاء بعنوان «الفكر السياسي العربي ـ التكوين والعوائق».

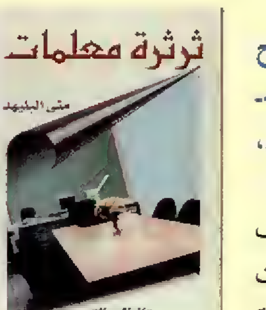


يوسف، يوسف /الأغيار في الثقافة اليهودية: صورة العرب في الأدب اليهودي المعاصر.ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٥٥ص.

تميز أدبيات اليهود بين اليهود وغير اليهود (الجوييم) الأممين، فترفع اليهود منازل لا يرقى إليها إلا الملائكة الأطهار، وتنزل بالأممين إلى أسفل السافلين، فالأغيار في أدبياتهم متخلفون، وجهلة، يجهلون فلسفة الزمان والمكان، وسوف ينضوون تحت راية اليهودية أو الصهيونية لأنهم عبيد، خلقوا عبيدًا لليهود وأعداء، ومنحدرون من أرواح نجسة شريرة تعادي الحضارة، وهم بلا قضية تشغلهم ويضحون في سبيلها، ولذا تراهم يعيشون على هامش الحياة.

كما حاولت أدبياتهم تشويه الإسلام ومبادئه وسيرة نبيه، وتاريخ أتباعه الذين هم ـ في ظنهم ـ مجموعة من البدو والرعاة لا تربطهم بالأرض رابطة تجعلهم يدافعون عنها، والعرب بدائيون متخلفون، منغمسون في اللذات جشعون، أثرياء مترفون، يحاولون الحصول على كل شيء بالمال أو الإرهاب، ويحلمون بالماضي وبالجنس وبالكسب الحرام.

كل هذه الصور للعرب والمسلمين رصدها المؤلف في عدد من الروايات والأفلام اليهودية، وتوغل فيها، وقرأ ظلالها، وما بين سطورها، وفكّ رموزها، فجاءت هذه الدراسة التي تضمنت أربعة فصول رئيسة هي: «التناسخ والفكر الحلولي في الأدب اليهودي»، و«مدخل إلى الثقافة اليهودية في الغرب»، و«الإسلام من المنظور المضاد»، و«آباء وأبناء موشي ويزهار ـ سموم يهودية»، وخاتمة للدراسة.



البليهد، منى بنت صالح /ثرثرة معلمات.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٣٠ص.

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من المقالات والقصص التربوية والاجتماعية المقتبسة من أحداث حقيقية تدور حول شريحة مهمة من المجتمع، وهن المعلمات داخل المدرسة، ويقدم صورة حقيقية لما يدور بين منسوبات المدرسة من أحداث في البيئة المدرسية، ويقدم الكتاب نقدًا للواقع التربوي والاجتماعي بأسلوب أدبي سهل ولغة واضحة.



حامد، رؤوف عباس/المجتمع الياباني في عصر مايجي.ـ القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٠م، ٢٣٨ص.

يرى المؤلف في تقديمه «أن المكتبة العربية تكاد تفتقر إلى الدراسات الخاصة ببلدان آسيا عامة والشرق الأقصى خاصة، إذ ركزت الجامعات ومراكز البحوث في الوطن العربي اهتمامها في الدراسات الغربية

والإفريقية، وكادت تغفل آسيا وتسقطها من حسابها، بينما أولت اهتمامها للبلاد التي انضوت تحت لواء الإسلام دون غيرها».

وتحاول الدراسة إلقاء الضوء على عصر الإمبراطور ميتسو هيتو (١٨٦٨ - ١٩١٢م) الذي تلقب بمايجي، وتعنى (الحكم المستنير) الذي يمثل بداية التحديث في اليابان، وفيه تغيرت ملامح المجتمع الياباني، ومنه نبعت الحركات السياسية والتيارات الفكرية التي حددت مسار التاريخ الياباني المعاصر.

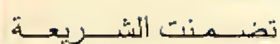
يبدأ الكتاب بتمهيد عن المجتمع الإقطاعي ورياح التغيير التي أدت إلى تفسخه.

ويتضمن ستة فصول رئيسة: إرساء قواعد عصر جديد، والإصلاح الزراعي وأثره في المجتمع الريفي، وحركة التصنيع ونمو الرأسمالية، والتوسع الخارجي، والحياة السياسية، والفكرية.



الصوينع، علي بن سليمان/الكتب العربية النادرة: دراسة في المفهوم والشكل.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢١٥ص.

يتناول الباحث في هذا الكتاب بصفة إجمالية نوادر المطبوعات العربية، واشتمل ذلك على تعريفها وبيان خصائصها العامة، وطريقة الحصول عليها وتقويمها من النواحي الشكلية، وغير ذلك من الموضوعات التي تهم الهوّاة وجمّاعي الكتب، وأمناء المكتبات المعنيين بنوادر الكتب، وتتبع الباحث خصائص الكتب النادرة، والسعي على العثور على حالات وأمثلة توضيحية لبيان مفهوم الندرة وملامحها في الكتب العربية والقراءات المساندة في بعض المصادر عن الكتاب العربي القديم ونوادر الكتب، وتضمن الكتاب قائمة منتقاة لبعض المصادر البيليوجرافية حول الطباعة ونوادر المطبوعات، مع مسرد خاص بالمصطلحات، وكشاف شامل لمحتويات البحث.



ميمني، وجنات عبدالرحيم /المصالح المرسلة واختلاف العلماء فيها.- جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٢١٢ص.

تضمنت الشريعة الإسلامية حقائق حفظت مصالح الإنسان في كل العصور والأجيال، ومكنت المجتهد في كل عصر أن يستخرج لأي حادثة تعرض لها حكمًا يلائم مصلحتها، وكان من مقاصد الإسلام رعاية المصالح، ومنها المصالح المرسلة، وهي مصالح لم يقع التنصيص في الشرع على اعتبارها ولم يرد نص بإلغائها.

ففي هذه الدراسة التي تضمنت ثلاثة أبواب رئيسة، جاء في الأول منها تعريف للمصالح عند بعض الأئمة، ثم أنواع المصالح وأقسامها ، ثم تعرف للمصالح المرسلة تحديداً لغة واصطلاحًا، عند بعض الأئمة.

أما الباب الثاني فجاء عن حجية المصالح المرسلة وشروطها، ثم أوردت المؤلفة آراء القائلين بحجية المصالح المرسلة، إلى جانب آراء الفريق القائل بعدم حجيتها، ثم شروط الأخذ بالمصالح المرسلة، وشروط ترجيح حجية المصالح المرسلة.

أما الباب الأخير فجاء بعنوان «تطبيقات المصالح المرسلة» عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين وعند الأئمة وفي المذاهب الأربعة، ثم أوردت المؤلفة بعض الأمثلة لتطبيقات المصالح المرسلة في الوقت الحاضر.

الذيب، سليمان بن عبدالرحمن/نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية.. الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٢١هـ، ٢٥١ص.



تعد منطقة الجوف من أهم المناطق الأثرية في المملكة العربية السعودية، فقد أثبتت أعمال المسح والتنقيب عن المنطقة في المواقع والنقوش العربية القديمة، وجود مئات النقوش في عدد من المواقع المختلفة، وقد عثر في بلدة قارا الواقعة جنوب مدينة سكاكا على مجموعة كبيرة من النقوش الثمودية تحتوي على خانة كبيرة من النقوش الثمودية، كما يتضمن مئة وواحداً وتسعين نقشاً هي موضوع هذه الدراسة، ويعود تاريخ هذه النقوش إلى الفترة الواقعة بين القرنين الأول قبل الميلاد والثالث الميلادي.

كما تضمنت الدراسة رسومات للنقوش المدروسة مع الصور الفوتوغرافية لمجموعة في نصوص حسب المنهجية العلمية، بالإضافة إلى إدراج قائمة بالمراجع والمصادر.

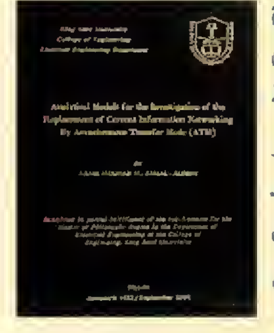
المصري، نديم /الرياضة والغذاء قبل الطبيب والدواء.. دمشق: دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٣٣٦ص.



هل يمكننا فعلاً تجنب ٥٠ - ٧٠٪ من إصابات السرطان، وأمراض القلب، وارتفاع ضغط الدم والسكري باتباع خط صحي في الحياة؟ وماذا يعني عدم ممارسة أي نشاط رياضي؟ وما مخاطر البدانة والمشكلات الصحية التي تسببها؟ وما أفضل التمارين للتخلص من الشحوم؟ ماذا تحتوي الفواكه والخضراوات من السعرات الحرارية؟ وما مكوناتها من الفيتامينات والمعادن والبروتينات والسكريات والدهون؟ ما السعرات الحرارية التي يحرقها الجسم في مجموعة من التمارين الرياضية؟ وما الاعتقادات الخاطئة والشائعة بين الرياضيين؟ وما الرياضة المناسبة عندما تتقدم بك السن؟

كل هذه الأسئلة يجيب عنها هذا الكتاب الضروري في عصر ازدادت أمراضه، وتنوعت مسبباتها، ولكن تظل الرياضة من أهم وسائل الوقاية بعد أن حدت التقنيات الحديثة من حركة الإنسان، وجعلته يخلد إلى الراحة التي تتخفى خلفها الأمراض.

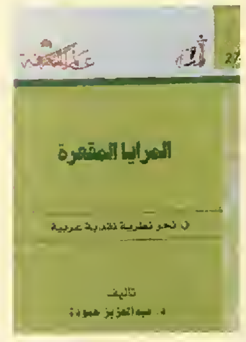
جمال الدين، رفيق /نماذج تحليلية لبحث استبدال شبكات المعلومات الحالية بشبكات تقنية النقل غير المتزامن (رسالة دكتوراه).. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٤٨ص.



يعطي التقدم المتسارع لتقنيات شبكات المعلومات تقنيات جديدة متطورة تؤدي إلى الاستغناء المبكر عن التقنيات القديمة واستخدام الجديدة بدلاً منها، وفي هذا المجال فإن تقنية النقل غير المتزامن تقدم خدمات معلومات جديدة متعددة الوسائط، تشمل الصوت والصورة إلى جانب النصوص عبر قنوات سريعة، لم تكن متوافرة في التقنيات القديمة، وتهدف هذه الرسالة البحثية إلى دراسة مسألة استبدال تقنيات شبكات المعلومات آخذة في الحسبان تقنية النقل غير المتزامن وخدماتها المتميزة.

وتقدم الرسالة فوائد مهمة لكل الباحثين في مجال تقنية شبكات المعلومات والعاملين فيها، فهي تعطي الباحثين منهجية كقاعدة جديدة لأبحاث تقويم تقنيات

الشبكات ودراسة مسألة استبدال تقنيات حديثة بها. كما يستطيع الباحثون ربط موضوع المنهجية التحليلية للتقويم والاستبدال بمنهجية تصميم الشبكات وتطويرها بما يحقق كفاءة أفضل في الاستفادة من خدماتها.



حمودة، عبدالعزيز/ المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية.. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٥١٧ص (سلسلة عالم المعرفة: ٢٧٢).

يعيش العقل العربي منذ القرن التاسع عشر، ما يمكن أن يسمى بـ «ثقافة الشرخ» والشرخ هنا هو التوتر المستمر بين الجذور الثقافية العربية والثقافات الغربية التي اتجه إليها المثقف العربي بعد عصر التراجع والانحطاط، وقد ازداد الشرخ اتساعًا مع بداية القرن العشرين، ثم أصبح خطرًا يهدد الهوية الثقافية مع التحول الحداثي في نهايته، حينما استغل بعض الناس الرغبة الصادقة في تحديث العقل العربي في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م لينقلوا عن الحداثة الغربية في انبهار أعماهم عن الاختلاف أو الخطر. بل إن بعضهم ذهب في تحمسهم إلى التمرد على التقليدي والمألوف، وهو جوهر الحداثة لا إلى الدعوة إلى قطيعة مع التراث العربي فقط بل التقليل من شأنه، وهكذا جاءت إلى الوجود ثنائية «الانبهار» بمنجزات العقل الغربي، واحتقار منجزات العقل العربي، كأنهم وضعوا التراث العربي أمام «مرايا مقعرة» صغرت من حجه وقللت من شأنه.

وتحاول هذه الدراسة رد الاعتبار للبلاغة العربية بوضعها أمام مرايا عادية تعكس الحجم الحقيقي لإنجازات العقل العربي عن طريق قراءة جديدة للتراث البلاغي العربي تهدف إلى تأسيس شرعية التراث لا إلى تأسيس شرعية الحاضر الحداثي، كما تخلص إلى أن البلاغة العربية قدمت نظرية لغوية ونظرية أدبية تشهدان بعبقرية العقل العربي ثم أنهما لو لم يمارس الحداثيون شعار القطيعة مع التراث كان من الممكن تطويرهما إلى مدرستين لا تقلان تكاملاً ونضجًا عن المدارس اللغوية والأدبية الغربية، وتثبت هذه الدراسة أنه لا تكاد توجد قضية لغوية أو أدبية حديثة أو معاصرة لم تتوقف عندها البلاغة العربية في عصرها الذهبي، وبصورة مثيرة للإعجاب والعجب.



الكسر، محمود محمد جميل /كشف اللثام عن أحد محدثي الشام المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .. بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٧٢ص.

تتناول هذه الدراسة واحدًا من محدثي الشام في العصر الحالي وهو الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط الذي وقف نفسه لدراسة السنة النبوية ومعرفة الحديث النبوي، إلى جانب تحقيق كتب التراث الإسلامي.

توزعت الدراسة على أربعة أبواب رئيسة: جاء الأول منها عن سيرة الشيخ، ونسبه، ونشأته، وهجرته إلى دمشق وأهم البلدان التي زارها. وتناول الباب الثاني سيرته العلمية، وموسوعيته، وأهم شيوخه وتلامذته، ورحلاته العلمية، وخلافاته مع علماء عصره، وموقفه من بعض مسائل عصره، ومن التصوف.

بينما جاء الباب الثالث عن اجتهاد الشيخ في الحديث النبوي، وطريقة إملائه للحديث وتدريسه، وطريقة استدلاله بالحديث، ودفاعه عن السنة، ومنهجه في الجرح والتعديل.

وآخر باب عن أعمال الشيخ في خدمة الحديث النبوي ناقش منهجه في التحقيق وكتبه وأهم أعماله، وأقوال الشيخ في ضرورة العلم واتباع الكتاب والسنة، وأقوال علماء عصره فيه.



الثقافية العالمية (س٢٠، ع١٠٦، مايو - يونيو ٢٠٠١م)

صدر هذا العدد من المجلة وبين دفتيه كثير من البحوث والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية المترجمة عن اللغات الأخرى، وقد بدأت بأكثر الموضوعات حضوراً على الساحة الفكرية العالمية، وهو موضوع العولمة، فكتب جوران توربون تحت عنوان «العولمات: الأبعاد والموجات التاريخية والمؤثرات الإقليمية» وترجم المقال: بدر الرفاعي، وعدّد جنز بارتلسون «ثلاثة مفاهيم للعولمة» وقام بالترجمة: سعد زهران، وناقش بيير بتيجرو «مستقبل السياسة»، وترجمه: الدكتور حليم طوسون، وتتبع تيموثي وريباك الشكوك التي أثيرت حول «لوحات فان جوخ المزعومة في بعض متاحف العالم»، وترجم الموضوع د.خالد عبدالفتاح إبراهيم.

وشرح جوزيف بويندكستر وجوزيف داجنيز أهم إنجازات العلم في القرن العشرين حين أجابا عن سؤال: «بأي سرعة نستطيع أن نمضي؟» وقامت بالترجمة: أماني الخياط، وضمّ العدد غير ذلك من الموضوعات والمقالات العلمية الأدبية.

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠، دولة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (س١٣، ع٥٠، المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ مايو - يونيو - يوليو ٢٠٠١م).

صدر هذا العدد من المجلة مشتملاً على كثير من البحوث والفتاوى والمسائل الفقهية، فكتب الدكتور محمد فالح مطلق بني صالح تحت عنوان «أثر الأعلاف الصناعية في طهارة الحيوانات وحلها»، ثم ناقش الدكتور حسين أحمد عبدالغني سمرة موضوع «الولاية والشهادة في عقد النكاح»، وتناول الدكتور محمود بن حسين الحريري «أثر السفر في القضايا الاجتماعية والمالية»، وختم البحوث الدكتور ممدوح محمد يونس بـ «الزكاة وأثرها الاقتصادي والاجتماعي».

وفي باب «فتاوى الفقهاء» اختارت المجلة عدداً من فتاوي فقهاء السلف في القضايا والمشكلات المعاصرة، ومن ذلك «لا يجوز عزل صاحب وظيفة بغير جنحة»، و«حكم الرجلين يكون بينهما خصومة ثم يشهد أحدهما على صاحبه»، و«زكاة الدين»، و«ثبوت المطالبة بالشفعة للصغير إذا كبر».

وفي باب «مسائل في الفقه»، أجاب صاحب المجلة ورئيس تحريرها الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة عن عدد من أسئلة القراء الذين سألوا عن: «حكم الاقتراض بفائدة»، و«حكم الجهة التي تنزع الملكيات الخاصة دون دفع تعويض عادل لأصحابها وحكم العمل لديها»، و«الهجرة ومدى وجوبها أو جوازها»، و«زكاة الأموال ذات الريع (المستغلات)»، و«التعامل بالرشوة والحكم فيه».

والمجلة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية.

العنوان: ص.ب ١٩١٨ - الرياض: ١١٤٤١

هاتف: ٤٣٥١٨٧٢ - ناسوخ: ٤٣٥٢٢٩٧



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٢٧، ع١٠٢، ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/يوليو - أغسطس - سبتمبر ٢٠٠١م).

مجلة فصلية محكَّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت.

زخر هذا العدد من المجلة ببحوث ودراسات متعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والقانونية... إلخ باللغتين العربية والإنجليزية.

ففي باب البحوث تناول د. سالم عباس خداده «الاتجاه الصوفي في الشعر الكويتي: قراءة في شعر خالد سعود الزيد»، وكتب د. صالح عبدالله جاسم عن «الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت»، وأبرز د. سليمان بن عمر السماحي «دور مجالس المناطق في تحقيق

التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية: دراسة استطلاعية»، وختم البحوث باللغة العربية د.أحمد منير نجار بموضوع عنوانه «الخصخصة إحدى وسائل الإصلاح الاقتصادي: حالة الكويت»، وذلك إلى جانب، الأبواب الثابتة: «عرض الكتب ومراجعتها»، و«التقارير الخاصة بالمؤتمرات والندوات الحديثة»، و«البيليوجرافيا (العربية والإنجليزية)».

وفي باب البحوث باللغة الإنجليزية تناول د. مرعي بن حسين محمد القحطاني «الرعي وتأثيره في النبات والتربة في مرتفعات عسير، المملكة العربية السعودية»، وناقشت د. السيدة إبراهيم مصطفى «تطوير مجموعة من المؤشرات البيئية للاستخدام في التحليل الاقتصادي بمنطقة (مينا)».

العنوان: ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١ الكويت.

تليفون: ٤٨٣٣٢١٥ - ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

الصقور (س٢٥، ع ٤٦، ربيع الأول ١٤٢٢هـ/يونيو ٢٠٠١م).

العدل

(س٣، ع ١٠، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ)

مجلة فصلية علمية محكّمة تعنى بشؤون الفقه والقضاء تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

صدر هذا العدد من المجلة وهو حافل بكثير من الدراسات الفقهية والمباحث الشرعية، بدأها الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الحجيلان ببحث عن «حق الزوجة في المبيت وشرط إسقاطه»، ثم حقق الشيخ الدكتور ناصر بن سعود بن عبدالله السلامة مخطوطة «الصلة والعايدة في طريق عمل المناسخات بجامعة واحدة» تأليف: عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العمادة العكري، وتناول الشيخ عبدالله بن محمد بن سعد آل خنين «تسبيب قرار التحقيق في الجريمة»، وحدّد الشيخ أحمد بن عبدالله الجعفري «دية ما في جوف الإنسان من الأعضاء»، وشرح الشيخ إبراهيم بن صالح الزغيبي «تنازع وتدافع الاختصاص». بالإضافة إلى الأبواب الثابتة كـ«رسائل علمية»، و«إجراءات قضائية» التي أعدها الشيخ ناصر بن إبراهيم المحيميد، و«أحكام وقضايا» التي عرضها وحللها الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحسني، وفي باب «من أعلام القضاء»، تناول الشيخ حماد بن عبدالله بن محمد الحماد سيرة «العلامة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك رحمه الله»، ثم هناك لقاء مع فضيلة الشيخ الدكتور جابر بن علي بن مهدي الطيب أجراه أحمد الحارثي، وختمت المجلة بـ «صدى العدل»، وهو أشبه بموسوعة تعنى بالتوعية القضائية وتلقي الضوء على مناشط الوزارة وإنجازاتها. قدّم للعدد معالي الشيخ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل.

العنوان: وزارة العدل - الرياض١١١٣٧ -

هاتف وناسوخ: ٤٠٢٣٣٦٥/ ٤٠٥٩٧١٦

الصقور (س٢٥، ع ٤٦، ربيع الأول ١٤٢٢هـ/يونيو ٢٠٠١م).

مجلة نصف سنوية تعنى بشؤون الطيران والثقافة تصدرها كلية الملك فيصل الجوية.

جاء هذا العدد من الدورية مشتملاً على موضوعات متنوعة في شتى المجالات، كان أبرزها تقريراً صحفياً بمناسبة مرور أربعين عاماً على تولي صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز مسؤوليات وزارة الدفاع في المملكة، وتقرير آخر عن تعيين صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز مساعداً لوزير الدفاع والطيران والمفتش العام للشؤون العسكرية بمرتبة وزير.

ومن ضمن موضوعات العدد «القوات الجوية في الذكرى الخمسين على تأسيسها - تواريخ وإنجازات»، و«٢٠٠١م عام المراقبة الجوية وتوجيه المقاتلات (ملحق خاص)»، و«الإستراتيجية الجوية الإسرائيلية في العقد الأول من القرن ٢١»، و«نبذة تاريخية من دور العرب والمسلمين في تطور علم الأرصاد الجوية»، وغير ذلك من الموضوعات.

و أُرفق بالعدد مطوية خاصة بالشعر الشعبي تحت مسمى «سماء القصيد»، واشتملت على قصائد ومقاطع شعرية.

العنوان: ص.ب ٢٩٧٣ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٧٦٦٥٦٦ - ناسوخ: ٤٧٦١٠٢٢

التململ من المصطلحات الأدبية.. ظاهرة عند العرب المعاصرين

عبدالله السمطي
أبها - السعودية

كان للتغيير الحاد الذي أحدثته البنيوية في مسار النقد العربي الحديث أثر كبير في تحول النظرة إلى العملية النقدية، التي انتقلت من التأثرية والانطباعية والاعتصام بما هو مؤدلج، إلى العملية المنهجية المنظمة، وإزاحة ما هو تاريخي أو نفسي، ليبقى الناقد مع النص الأدبي وجهًا لوجه، لغته، وتراكيبه، وأشكاله. لقد أصبح النقد عملاً موضوعياً شاقًا وماتعًا في آن واحد. وأصبح الاحتفاء بالمصطلح النقدي الجديد هو السمة البارزة لكل العمليات النقدية التي واكبت ظهور البنيوية في سياقنا النقدي.

إن هذا التغيير - كعادة أي جديد - قد صاحبته حركة مضادة من الرفض والاحتجاج ضد المصطلحات النقدية وصعوبتها وغرابتها، وضد الدراسات البنوية بوجه عام. بيد أن المناهج الجديدة أخذت تمضي قدماً صوب تأسيس أرضيات معرفية في السياق النقدي العربي الراهن، وهو ما حدث بالفعل وكما تنبئنا مصادر النقد الحديث التي أعدها الناقد الدكتور عبدالسلام المسدي.

لقد صاحبت هذه التحولات النقدية وفرة كبيرة في المصطلحات النقدية والفكرية، وبات نقادنا على أهبة الاستعداد لإغراقنا الدائم بكل المصطلحات الطالعة.. ولعل هذه الوفرة وفرة حميدة، على حد ما يصف الدكتور جابر عصفور، إذ يرى متكئًا على القول المأثور: «لا مشاحة في الاصطلاح»: أنه لا بخل ولا ضنّة ولا شحّ في الاصطلاح الأدبي والنقدي، فالوفرة مطلوبة والكثرة لازمة؛ لأن الوفرة علامة على تنوع الممارسة الأدبية أو النقدية وتعدد مجالاتها، والكثرة دلالة على تباين مجموعات النقاد واختلاف فئات الأدباء، وكلا الأمرين مظهر غنى ودليل ثراء؛ لأنه كلما زاد الاصطلاح الأدبي والنقدي كماً وكيفاً دلت الزيادة الكمية والكيفية على اتساع دوائر الدوال الاصطلاحية، سواء في اشاراتها إلى المدلولات التقنية أو الأشكال أو الأنواع أو الأدوات الفنية في موازاة المجموعات والحركات والمدارس والمذاهب والاتجاهات والتيارات (الحياة ١ يونيو ١٩٩٨م العدد ١٢٨٧٢ص١٣).

لكن الأمر اللافت للانتباه هو أن هذه الوفرة المصطلحية لم تكن محكومة برؤية نقدية تسعى إلى توحيد المصطلح، بل إن كل باحث توجه صوب المصطلح بجهده الخاص، وبـ «أناه» أحياناً، كأنه يقول بنوع من الاعتزاز: هذا هو مصطلحي وأنا الذي قمت بتعريبه، أو بصكه، أو بنحته!! لقد أصبحنا نشكو من تخمة في المصطلح، وربما غيبت هذه التخمة وعينا حيال فهم المصطلح، وحيال المقصود به، إن الناقد فخري صالح يصوغ هذه المسألة بقوله: «لعل هذا التعقيد في لغة النقد، واضطراره للاقتراض بصورة متواصلة من المعارف المجاورة، يبينان بعض أسباب غموض لغة النقد العربي المعاصر، واضطراب المصطلح الأدبي المستعمل، واتساع شقة الاختلاف بين النقاد ودارسي الأدب على موضوعات كانت تثير القليل من الخلاف في الماضي، ولكنها أصبحت في الوقت الحاضر مثار جدل واسع ونقاش صاخب» (الحياة العدد ١٢٩١٤ - ١٣يوليو ١٩٩٨م ص١٢). إن الغموض، وعدم دقة المصطلح، واختلاف تعريبه هي قضايا رئيسة تواجه القارئ، وتواجه الدارسين بوجه عام. ولا يوجد ثمة اتفاق على أي مصطلح يظهر في الساحة الأدبية، كالاختلاف في تسمية الشعر الحر أو الجديد والحديث، والمعاصر، والتفعيلي، والحداثي، والخلاف حول مصطلح: البنيوية أو البنائية، والبنيانية، والبنوية...إلخ، وإزاء ذلك فإن بيان لمحات من هذه القضايا سيضع المسؤولية حيال النقاد، لتحفيز قدر من الوضوح والشفافية لديهم، وقدر من الفهم وعدم الالتباس.

مراودة المصطلح

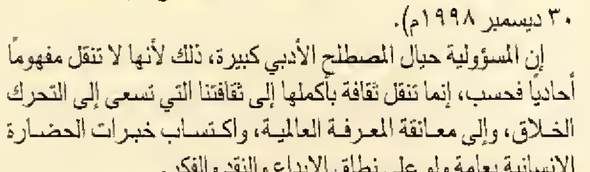
لا يأخذ المصطلح سيرورته بمجرد ترجمته، بل من خلال تقبله من القارئ، ومن خلال وضوح مفهومه. والشائع أن كثيراً ممن يترجمون المصطلحات، ولاسيما النقاد، لا يتوخون كثيراً هذا الوضوح، ونظرة واحدة إلى الكتب النقدية المترجمة ستؤكد ذلك (نراجع مثلا ترجمات النقاد المغاربة للكتب النقدية الفرنسية مثل: كتابات جوليا كريستيفا، وتودوروف، وميشيل فوكو، وجاك دريدا)، والمفارقة أن بعض نقادنا تراهم واضحين جداً في كتاباتهم النقدية الأدبية، لكنهم حين يتصدون للترجمة يقدمون أعمالاً غير مفهومة إلى درجة العجمة، مما يعقد العملية النقدية برمتها؛ ذلك - وكما يقول فخري صالح - «لأن غموض لغة النقد هو في الحقيقة ذو طبيعة مزدوجة، إذ إنه متأت - أولاً - من صعوبة المصطلح بالعربية، وعدم تمكن القارئ من إحالته إلى نسق معرفي متداول في لغتنا. تحيلنا الصعوبة الأخيرة إلى مشكلة الترجمة، بل فوضاها وعدم انضباطها، وتجرؤ العارفين باللغات المترجم عنها، وغير العارفين بها، على نشر ترجمات أقل ما يقال فيها أنها تزيد القارئ بلبلة، وتضفي غموضاً جديداً على المعارف المنقولة إلى العربية بصورة متجزئة» (الحياة، العدد ١٢٩١٤ السابق).

إن الوعي بأهمية المصطلح هو وعي حقيقي بأهمية الترجمة للتواصل مع العالم، وآخر مؤتمر نقدي عقد حول قضايا المصطلح الأدبي في المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة في الفترة من ١٦ - ٢٠ مايو/أيار ١٩٩٨م، ركز في أن قضية المصطلح قضية دائمة الحضور خلال فترات التاريخ الفكري والإبداعي، ومن هنا تنوعت البحوث من

خلال وجهات تاريخية وآنية، مما يؤكد أن المصطلحات الجديدة حاضرة في كل وقت، وركز المؤتمر في دور المؤسسات المختلفة في احتضان المصطلح ورعايته ونشره، خاصة من قبل مجامع اللغة العربية التي تبذل جهداً ضخماً في الترجمة والتعريب، ولكن ذلك كله يظل مكدساً في المخازن ولا يخرج إلى الناس، وقد كانت توصيات المؤتمر: «وضع ضوابط مقبولة لتعريب المصطلحات الأجنبية بما يضمن قواعد الصياغة المستساغة في اللغة العربية، إضافة إلى إنشاء بنك للمعلومات الاصطلاحية المتصلة بالأدب والنقد يكون نواة لإنتاج معجم اصطلاحي عربي».. هل نفذ شيء من هذه التوصيات أم ظلت محض توصيات كعادتنا العربية؟!

مقاتل الترجمة

ثمة ترجمات لمصطلحات نقدية كثيرة تنتشر في سياقنا النقدي والأدبي الراهن، ولكل مصطلح عدد كثيف من المترادفات التي أنشأها ناقلو هذا المصطلح أو ذاك، من قبيل تباين الترجمة والانتشاء بهذا التباين. وسنقف مع أبرز هذه المصطلحات التي تعزز من التشتت المفهومي، ومن البلبلة النقدية من جهة، كما تشي بالأنانية وعدم رغبة هذا الناقد (الناقل) في أن يشيع مصطلح الناقد الآخر دون مصطلحه، ومن أمثلة هذه الترجمات:



- يترجم كمال أبو ديب Discourse بـ «إنشاء» أو نموذج كلي (الاستشراق ص:٢٢)، ويترجمها يوسف الصديق بـ «الحديث» أو «القول» (المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ص٧٩) بينما يترجمها كل من: جابر عصفور (عصر البنيوية ص ٣٧٩) بـ «خطاب» وأيضا سعيد الغانمي (السيمياء والتأويل ص ٢٤٥) وسعيد بنكراد (مدخل إلى السيميائيات السردية ص ٩٤).

- يترجم كمال أبو ديب كلمة Code بـ «تقنين» المصدر السابق ص:٢٤، بينما يترجمها سعيد بنكراد بـ «سنن» (المصدر السابق ص ٩٤)، ويترجمها سعيد الغانمي بـ «الشفرة» (المصدر السابق ص ٢٤٨)، وكذلك يفعل جابر عصفور (المصدر السابق ص٣٤٧).

- يترجم كمال أبو ديب كلمة Paradox بـ «المفارقة الضدية» (المصدر السابق ص ٣٢)، ويترجمها محمد عصفور بـ «المفارقة» (البنيوية وما بعدها ص ١٢٨)، بينما يترجمها سعيد الغانمي بـ «المغالطة» (المصدر السابق ص ٢٥٧).

- يترجم ميجان الرويلي وسعد البازعي كلمة Deconstruction بـ «التقويضية» (دليل الناقد الأدبي ص٤٩)، ويترجمها عبدالملك مرتاض بـ «التقويض» «نظرية التقويض: مقدمة في المفهمة والتأسيس - علامات العدد ٣٤ ديسمبر ١٩٩٩م ص ٢٧٧ - ٣٠٢)، ويترجمها سعيد الغانمي بـ «التفكيك» (المصدر السابق ص ٢٥٥)، وكذلك يفعل كل من كاظم جهاد (الكتابة والاختلاف ص ٢٧)، وجابر عصفور (النظرية الأدبية المعاصرة ص ١٣٥).

- يترجم ميجان الرويلي وسعد البازعي كلمة Intertextuality بـ «عبر النصية» (المصدر السابق ص١٢٥)، ويترجمها جابر عصفور بـ «التناص» أو «التضمين» (عصر البنيوية ص٣٩٢)، ويترجمها سعيد الغانمي بـ «التناص» (المصدر السابق ص٢٤٤)، ويترجمها صبري حافظ بـ «تفاعلية النصوص» (مجلة ألف العدد ٤)، ويترجمها محمد بنيس بـ «التداخل النصي» (الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها)، ويترجمها عبدالملك مرتاض بـ «السرقات الأدبية».

- يترجم عز الدين إسماعيل Reception بـ «التلقي» (نظرية التلقي ص ٣١)، وكذلك يترجمها كل من: محمد علي الكردي (علامات العدد ٣٢ مايو ١٩٩٩م ص٨)، وحافظ إسماعيل علي (علامات العدد ٣٤)، وعبدالله إبراهيم (التلقي والسياقات الثقافية - علامات العدد ٣٤)، ويترجمها شكري المبخوت بـ «جمالية التقبل» (جمالية الألفة: النص ومتقبله في التراث النقدي).

- ويترجم صلاح فضل كلمة Paragmatic بـ «التداولية» وتترجم عند باحثين آخرين بالنفعية، أو الانتقالية.

- يترجم عبدالله الغذامي كلمة Poetic بـ «الشاعرية»، ويترجمها عبدالمطلب بـ «الأدبية»، ويترجمها كمال أبو ديب بـ «الشعرية»، وكذلك صلاح فضل، ومصطفى ناصف، وسامي سويدان، ومحمد مفتاح.

وهكذا نجد أن ترجمات المصطلحات النقدية لا تتم بشكل منظم جماعي، بل بشكل فردي بحت، على الرغم من سهولة الاتصال بين هؤلاء النقاد وتواصلهم الدائم من خلال المهرجانات والمؤتمرات الأدبية التي يشاركون فيها في مختلف أرجاء الوطن العربي.

إن المصطلح - فيما يقول سعيد السريحي - يشكل ما يمكن أن يكون الشكل الميكروفيزيائي لسلطة المعرفة من حيث البناء الهرمي لتركيبتها التي تبدأ من قمة الهرم حيث يتم سك المصطلح على يد أهل الاختصاص، وتنتهي إلى قاعدة الهرم حيث يتم تداوله في الدراسات التي تهتم بالعلوم التي تواجهها، ويعد مفتاحاً لها.

ويضيف السريحي: «إن الثقافة مطالبة بإعلان الثورة على مصطلحاتها؛ لأنها بذلك تعلن حريتها ورغبتها في البحث عن أرض لم تعلن عليها التصورات إقامة إمبراطورية المصطلح» (علامات العدد ٣٠ ديسمبر ١٩٩٨م).

إن المسؤولية حيال المصطلح الأدبي كبيرة، ذلك لأنها لا تنقل مفهوماً أحادياً فحسب، إنما تنقل ثقافة بأكملها إلى ثقافتنا التي تسعى إلى التحرك الخلاق، وإلى معانقة المعرفة العالمية، واكتساب خبرات الحضارة الإنسانية بعامة ولو على نطاق الإبداع والنقد والفكر.

مجلة الأدب الإسلامي

مجلة فصلية تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية

- الإبداع والنقد
- الأصالة والتجديد
- منبر الأدباء الإسلاميين
- الأقلام الواعدة
- مسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية



قسيمة اشتراك

❖ سنة واحدة (٦٠ ريالاً) ❖ سنتان (١١٠ ريال)

الاســم: ....

العنـوان: ....

المدينـة: .... الدولـة: ....

الرمز البريدي: .... الهاتف: ....

عنوان المراسلة: المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب: ٥٥٤٤٦ - هاتف وفاكس: ٤٧٩٣٢٣٤ هاتف:٢٩١٠٧٩٩

تدفع قيمة الاشتراك لدينا أو ترسل باسم مجلة الأدب الإسلامي أو حوالة لحساب مجلة الأدب الإسلامي(شركة الراجحي المصرفية للاستثمار) الرياض - فرع العليا (١٦٦) رقم الحساب (٣/٨٠٠٨) وترسل إلى المجلة صورة الحوالة مع قسيمة الإشتراك.